

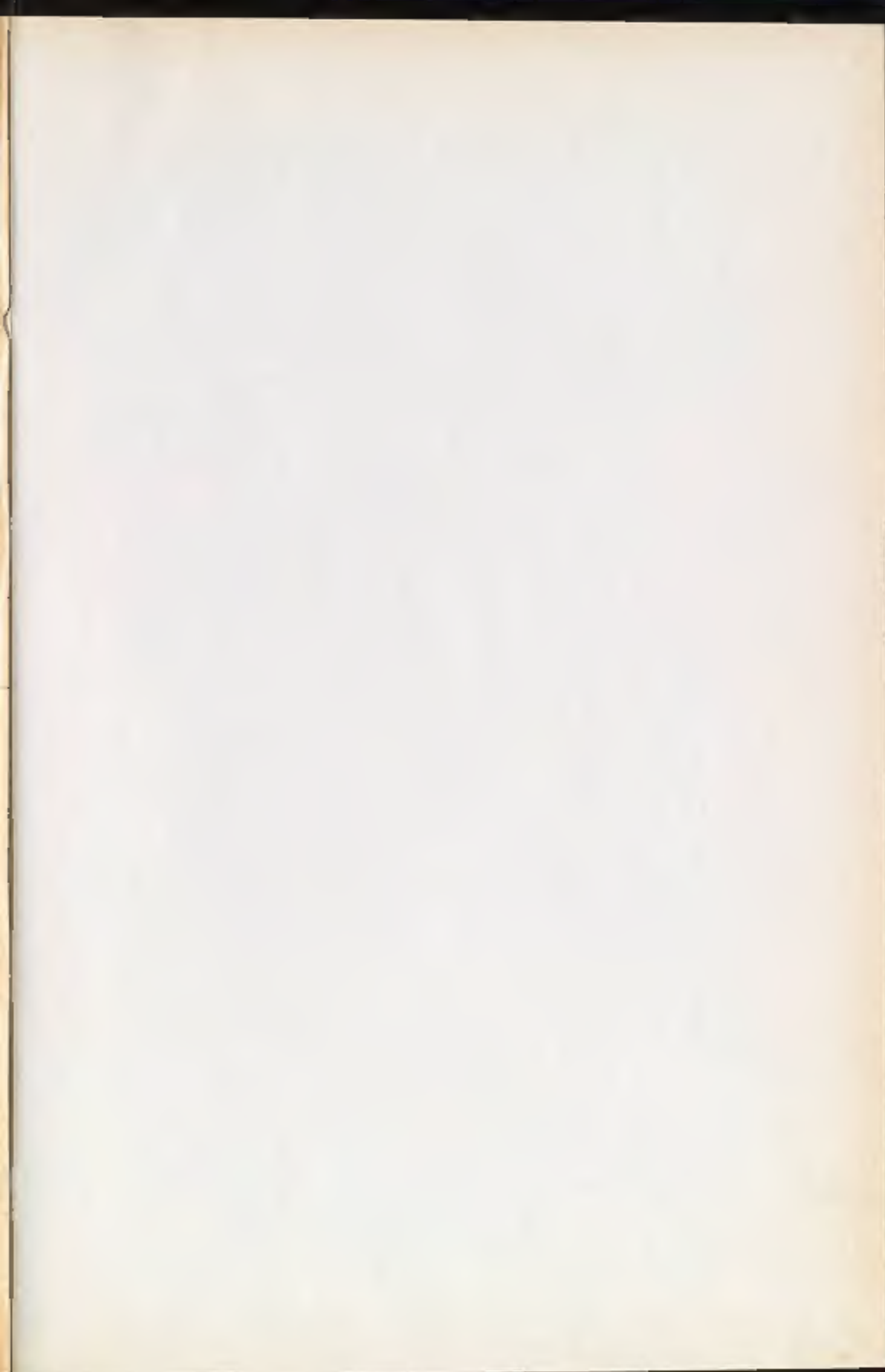




**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**





Yūsuf, Zakarīya 'Alī

الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره

/al-Imān wa-āthāruh/

للاستاذ

ذكرتيا على يوسف

Front

N. Y. U. LIBRARIES

B

مطبعة الامام ١٣ شارع فرقول المنية بالقلمة بمصر

near East

BP

165

.Y8

C-1

N. Y. U. LIBRARIES

Not to be used for other than library purposes

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطاب مفتوح

إلى إخواني أئمة المساجد والوعاظ الدعاة إلى الله :

غنى عن البيان أن آثار الإيمان لا تظهر إلا بعد استقرار الإيمان في القلوب ، وأن أول واجب عليكم هو بث هذا الإيمان ، لكنني وقد عاشرتكم واستمعت لكم سنين ههنا اكتشفت أمراً خطيراً رأيت أن أصرحكم به على هذه الصفحات ، قياماً بالواجب على نحو ديني وأمتي (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب)

لقد تبين لي أنكم فريقان : فريق فهم وظيفته في الحياة حق الفهم وأدرك واجبه نحو أمته ودينه حتى الإدراك ، فعلم أن طلبه للعلم لم يقف عند نيله الشهادة ، ولم يمتد بوصوله إلى الوظيفة ، بل رأى أن ما ناله من ذلك إنما هو وسيلة لا غاية ، وأنه واجب عليه أن يراجع نصوص دينه من نبيه الصائفين من جديد ، وعليه أن يفهم ذلك بعقله وفهمه هو لا بعقل غيره ، وعليه أن يبلغ ذلك للناس ، أحبوه أو كرهوه وأنه مسئول أمام الله عما وجبه من هذه الأدوات وعن حسن استعمالها ، فمن قام بذلك فقد حفظ كرامته ، وأدى فقه ودينه حق وظيفته .

وفريق آخر أثر العافية والراحة ، فرأى أنه قد وصل إلى الغاية التي من أجلها تعلم ، وأنه حقق الغرض الذي كان يسعى إليه ، فاعلمه إلا أن يسارع في مرضاة العامة ومتابعة أهوائهم ، ليلتفوا حوله ، ويكثروا من الجلوس بين يديه ، فلا يسمعون منه إلا ما يهبون ، أما ما هم عليه من عادات سيئة ، وأخلاق مردودة ، وجاهلية أضرم من الجاهلية الأولى ، فكل ذلك لا يطرق له باب ، وإن طرقة فلاعتذار عنهم وتأويله لهم ، بل واستحسانه منهم ، والاحتجاج بالآباء والشيوخ .

ولما كان هذا من العوامل التي أخرت الأمة وأحترت بها أبلغ الضرر ، رأيت أن أصرح هؤلاء بأنهم هم المسئول الأول أمام الله عنها ، لأن الله جعلهم أطباء لأمراضها ، فأبوا إلا أن ينشوا المريض ويقولون له إنك بخير وعافية ، فيتماد عن العلاج حتى أوشك على الفناء .

ألا وانا نرى أن المخرج من كل ذلك في أن يقوم حضراتهم بإرشاد الأمة الى هذه البتود التي نذكرها بعد ، والأمل كبير في استجابتهم لهذا الرجاء ، فإننا نعتقد أن فطرهم سليمة ، وأن ما أصابهم لم يكن في صميم الفطرة ، ولكن مرض يزول بحسن التوجيه والإخلاص الخفية :

(١) دعوة الناس الى التوحيد الخالص المطهر من جميع أرجاس الشرك وأدرانته وشوائبه ، والى حب الله تعالى حيا صحيحا صادقا يتنزل في طاعته وتقواه والوقوف عند أمره ونهيه ، وإرشادهم الى أن أول ما يجب عليهم معرفته من هذا الدين هو فرارهم الى ربهم عز وجل بأن يعبدوه وحده لا شريك له (ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ، ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر اني لكم منه نذير مبين) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة) وذلك بأن يجرؤوا عبادتهم له من كل شائبة ، والقرآن كله ، تؤازره السنة ، شرح لهذه الواجب التي تحيط بالأعمال ، وتجملها يوم القيامة هباءً منثوراً (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)

(٢) إرشاد الناس الى أخذ دينهم من نبيه الصافين : صريح الكتاب وصحيح السنة ، لأنه ان يسعدم في الدنيا وينجيهم في الآخرة الا اتباعهما ، فإعدادهما من أقوال الناس يحتمل الخطأ والصواب ، فالصحيح ما حكى بصحته ، والباطل ما حكى بهطلانه ، أياً كان قائله ومهما نال من اجلال واكبار ، فالدين هو الجزاء المنتظر للعبد يوم القيامة ، وهو يترقب - ثواباً وعقاباً - على مبلغ التقسك بقول الله ورسوله أو الانحراف عنهما .

(٣) إرشادهم الى أن نصوص الكتاب والسنة لا يحيد عنها البتة وأن دين الله محصور في ظاهر هذه النصوص التي قصت حكمة الله أن ينيط بها صلاح خلقه في دينهم ودنيائهم ، فالزمهم اتباعها ، ونههم عن اتباع ما تشابه منها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فمن اطمأن قلبه بالايمان وسعه ما وسع الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيه باحسان . فكل هراء الصوفية وتأويلاتهم وشطحاتهم ، ودعواهم بأن للقرآن

والسنة ظاهراً وباطناً إن هو إلا كذب صريح على الله ورسوله دسه أعداء هذه
 الأمة للقضاء عليها ، والكلام في ذلك طويل سنتأوله في رسالة مستقلة .

(٤) الدعوة إلى حب رسول الله ﷺ حباً صادقاً صحيحاً يحمل على اقتضائه مثلاً
 أعلى ، وأسوة حسنة ، والاقتداء به في عباداته ومعاملاته وأخلاقه ، وبجانبه كل
 ما لم يكن عليه أمره وأمر أصحابه وتقديم قوله على كل قول أياً ما كان قائله (وما
 آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)
 (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلمكم ترهعون)
 ومن قوله ﷺ في ذلك المعنى : لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

(٥) الدعوة إلى بجانبة البدع ومحدثات الأمور ، والوقوف عند قول رسول الله
 ﷺ . كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ، فكل ما جاء به في حياته فهو دين إلى قيام
 الساعة ، وما لم يأت به فليس يدين إلى يوم القيامة لقوله تعالى في آخر آية أنزلها إليه
 (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتها عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)
 (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)
 ومحاربة الخرافات والمفاهيم الفاسدة التي ليس لها سند من الكتاب أو السنة ،
 والعمل على هداية الناس إلى الحقائق التي لا تقبل شكاً ولا جدلاً .

(٦) إرشاد الناس إلى أن حياتهم الدنيوية والآخرية مرتبطة أوثق ربطاً
 بتلاوة القرآن حتى تلاوته وفهمه وتدبره والعمل به والتخلق بما يدعو إليه من خلق ،
 واستعداد العبادة والذكرى منه لأنه كما قال منزله لعريقاً بحقيقته (وكذلك أوحينا
 إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه
 نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) وكما قال يافا
 لوخليفته (أرأيت من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في
 الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون)

فكل قلب لم يحمى به فهو ميت ، وكل قلب لم يستر به فهو مظلم وعلى ذلك فالتخاطب
 حجباً تشبيهاً من الأمراض أو تهاشم تقى العين أو اقتناؤه بركة أو فراقه في جنازة
 الموتى وعلى ظهورهم أو غير ذلك مما هو ليس من غرضه ، فنقول إن هذا جميعه من

الحرمات التي ليس لها أصل في الدين الصحيح ، وإنما هي تقاليد يتوارثها الناس من غير تفكير ولا هدى ولا كتاب منه .

(٧) ارشادهم الى أن الله تعالى وصف الخير وودعه فاعله بالخير والمعصية ، ووصف الشر وأودعه آتبه باللعنة وسوء الدار ، ولم يميز أشدّاء بأعيانهم ولا أمة بديانها ، بل الناس أمام هذا المبدأ السامى سواء ، لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) (ليس بأمايكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) وأنه من قصر به عمله لم يسرع به نسبه (فإذا دفع في الصور ملا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ويكفى أن يطبق الرسول الأكرم هذا المبدأ على بضعة الطاهرة فاطمة رضى الله عنها فيقول لها : يا فاطمة سلبنى من مالى ما شئت ، اعلمي فلر أغنى عاك من الله شيئا .

(٨) ارشادهم الى أن ارتكاب الذنوب وانتهاك الحرمات بغير مبالاة مع قطع ما أمر الله به أن يوصل من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة إنما هو نتيجة لازمة لعدم إيمانهم باليوم الآخر ؛ يشير الى ذلك قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أهل يكتونوا يرونها بل كانوا لا يرجون مشورا) وذلك راجع الى تورطهم في ضروب الشرك التي تورط فيها الناس من قبل والتعلق بغير الله ، فلو أنهم آمنوا به وقدروه قدره ورجعوا رحمته وحده وخافوا عذابه ، لما تعدوا حدوده ولا انتهكوا حرمانه هذه الحرامات المعجبة والاستهتار العاصح . والقرآن يثبت بجانب الذنوب الذي أخذ بها الأمم السابقة أنهم كانوا به مشركين ، فنسبة الشرك الى الذنوب نسبة المقدمة الى النتيجة .

(٩) ارشادهم الى أن الالتزامات التي ألزم الله بها عباده . أمرا كانت أو نهيًا ، ليست الا رحمة بهم (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وأن ما ورد منها في الكتاب أو في السنة إنما هو مجموع واحد ، لا يقل التجوّه ، فنأخذ منها شيئا وترك شيئا فهو بمن آمن بمص وكفر بمص ، وأن من هوّنها على الناس باسم العلماء فهو من حيل إبطالها ماصيرها كأن لم تكن . كحيلة إسقاط الصلاة

واسقاط الركاة - مهم المحرمون الذين يعترف بعض أهل النار بأنهم سبب ما هم فيه بقولهم (وما أصنأنا إلا المحرمون) ولا عرة مطلقا بورود هذه الحيل في كتب الفقه أو نسبتها الى بعض المذاهب ، فهذا كله لا يفنى من الحق شيئا

(١٠) ارشادهم الى أن الرسول ﷺ اذ يحرم تشريف القبور واتخاذها مساجد وابتعاد السرح عليها واقامة التماثيل ودعاء غير الله والنذر لعيره والطواف حول القبور والتسبح بها - وما الى ذلك من مفردات الفريضة - فهي حرام لا نحل أبداً الى يوم القيامة مهما حاول المطلقون أن يلبسوها من الحكم ما يوافق أهواءهم ، مخفائق الاشياء ثابتة لا تتغير ، فالفرك الذي وصفه الله بأنه شرك لا يكون ايمانا ان فعله المنتسبون للأمة الاسلامية ، ثم بقى شركا ان أناء أهل الجاهلية ، فاصطلاح الناس على فعل شيء بعينه لا يجعله حقا الا اذا كان حقا في نفسه ، والكتاب حجة عليهم ولست أقعالم حجة على الكتاب ، وان وافقهم عليها من في الأرض جميعا .

كلمة لا بد منها

سعون أقوه في صرحه و رقى على انه

من كلمة الإسلام ، الإيماء من كل من منوط في واقع الحجة بين الناس ، وأصبحنا لا نجد لها صدى ، ولا في بطون الكتب وفوق المدار ، أما بوقاه في المعاملة ، أما حسن المعاشرة ، أما حتى المحاوره ، أما المواقف الكريمه عند حدوث ما يشق على النفس ، فهذا شيء مصى أوباه والعصى زمانه !!!

و قد يشد عن هذه الساعة بين نادر ، والنادر لا حكم له
اكتفى لكثير - من الأكثر - من الأشياء بأسمائها ، متى درج أجدهم على الأرض وله اسم من الأسماء الإسلامية فلا عليه بعد ذلك أن يفعل ما يشاء ، وباعتنا بالثاني ١١
أريد شاعراً على ذلك ، روى البخاري أن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا في نبوت لمي (ص) عن عبادته التي يقوم بها بعيداً عن أعين الناس ، فكانهم هالوكها - تأمل فقالوها . يا الله - وقالوا

أمر نحن من رسول الله - يا رسول الله قد عجز له ما نرى من ذنبه وما تأخر
وقال أحدهم أما أنا فأصلي أربعين يوماً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر وأنا أعز النساء ولا أعز الرجال فجاء رسول الله (ص) إليهم فقال :
أنتم الدين علمكم كذا وكذا ، أما والله إني لأحس كبريائه وأهكم له ، ولكي أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأأمر وح الله - فمن رغب عن سنتي فليس مني أحرجه شيخان
أي - هذا الحديث مره بعد مره ثم انظر إلى المسلمين في هذا العصر ١١

لهم إذا طولوا بالاعتقاد رسول الله وان يتجددوا أسوء لهم في حياتهم قالوا
أمر نحن من رسول الله - نفس أصداء ونفس الالفاظ ١١ ولكن شتان بين معناها
هناك ومعناها هنا ١١ هناك الإيمان الذي حاطت بشاشته القلوب ، وهنا الإيمان الذي لا يجاوز اللسان ١١

٥ ٥
إن سنة الله في عبادته - ماضيه ولاحيته - واحدة لا تتغير ولا تتبدل فمن انحرف عن صراطه : انصرف عن نصرته وإسعاده .

وشهدنا على ذلك معاملته تعالى لأصحاب رسوله الكريم وهم من صفوة خلقه أجمعين :
خرجوا إلى بدر بعد أن علموا أن أمأ سفيان هرب بالتجارة والمال : ولم يبق أمامهم

إلا قتال العدو لتكون كلمة الله هي العلى فكان حربه وحده . فكان نصر
الذى تحدث به التبرج إلى يوم

. ثم حروا إلى أحد . وعند سظيم عقوق أمر النبي (ص) بعض الجند
ماوقوف في مكان معين ليحصى صبر الجيش من الخوم وقال لهم لا ترحوا مكانكم
سواء كانت يدثرة لنا أو علينا . ولكن عند طيو . وادر نصر أحد بعض الجند
بجمع الغنم . فسار هؤلاء الدرف هم لى (ص) لا ترحوا مكانكم إلى برك
المكان . ومشاركه حواهم في جمع الغنم . فكانت الديعة أن قريش عند فرارهم
رأوا طهر الجيش خالياً من رحته . فحسوا على المسلمين وكانت موقعة حسر فيها
الإسلام نحو لسحر من أنطاله

أرأيت أن الله أذهب حجة رسوله (ص) حتى لا يدر من بعدهم . وتسير سميعة
الحياة هم في طريق معروف المعالم والمعروف

والإيمان الذى سنبلا آثاره ونمرااته صفحات هذا الكتاب إنما هو الإيمان الفطرى
الصادق الذى لم تمتد إليه يد الفسقة . ولا صناعة غباء الكلام : فإن الفلاسفة والمتكلمين
يعيشون في مناهات وصلالات لا بجاه لصاحبها إلا بهراقها . وهذا الرازى وهو من
أكابرهم يقول

لعمري لقد صفت المعاهد كلها ورحلت طرق . لك العوام
فلم أر إلا دمهناً كلف حار . على دهن أو قارعة . سس دهم

٢ ٥ ٥

وأرواحهم في وحشه من حوصا . وحاصل ردينا أدى ووبان
ولم نعد من بحثا طول عمرنا . سوى أن جمعنا فيه قيل وفان

أمنى كبير أن تولى هذه صفحات شريها من النبوة إلى الإسلام من جديد .

حالة العرب قبل الإسلام وبعده

كان الناس عراً وبعيداً يعيشون حياة جاهلية يسودون فيها لكل ما خلق لأجلهم
 ويضع لإرادتهم وينصرفون لا شيء يتبع عذار ولا يعتد بأصناف عقوبته ولا
 يأمر ولا ينهى فكانت بينهم سطوة دنيئة في حياتهم ليس لها سلطان على أرواحهم
 ونفوسهم وقهوه ولا تأثير لها في أخلاقهم واجتماعهم كانوا يؤمنون بأفكارهم
 عملهم وأعمالهم وسائر عن ملكهم لأنهم جميع عداية خلقهم الربوية فأخذوا بأبدنهم
 أزمة الأمر ونحوها إداره المسكينة - غير شيوخهم - يبيع أبقارهم إلى غير ذلك من
 مصالح الحكومة المنظمة وكان إيمانهم بالله لا يربطهم على معرفة تاريخه فكان
 إيمانهم بالله وإحسانهم خلق السموات والأرض من الله لا يختلف عن جواب تلميذ
 من تلاميذ المسيح يقول من هو هذا المصطفى العظيم - فليس ملكاً من الملوك
 الأقدمين من غير أن يحافه وعصاه له فكانت لهم عداية عن الخسوع لله ودعائه وم
 كانوا يعرفون عن الله ما عده يهود وكان لهم فهمه منبهه عاصيه فاصره محله لا يثبت
 في نفوسهم هيبة ولا عظمة

انتهى العرب والذين آمنوا من هذه المعرفة فمدته لدمعه الخبيثة إلى معرفة عظمه
 وحججه - حبه ذات - من الله على أرواحهم ونفوسهم - قلب وأخوار - ذات تأثير في
 لأخلاق والاحياء ذات سطوة على حياتهم وهم يسمعون - أمر الله الذي له الأسماء
 حسنى ولشأن الأعالى آمنوا رب العالمين - الرحمن الرحيم ذات يوم الدرس - له الخلق
 والأمر يده ملكوت كل شيء يعزى - لا عطاء إلى آخر ما جاء في القرآن من
 وصفه - ثبت فالحق وصدقنا - بسط أرواحهم في إنشاء ويمر - يعلم الحق في
 السموات والأرض ويعلم خائنه الأعين وما خفى - يتدور في آخر ما جاء في القرآن من
 قدرته وقصره وعظمته - فأنعت نفسه - هذا لأعمال أوسع العميق الواضح أنبلا
 عجباً في آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله أنزلت حياته طراً للصل - يعمل
 الإيمان في أحشائه وقسرت إلى جمع عزمه ومشاعره وجرى منه بحرى أرواح والدم
 واقتناع حرائم الجاهلية وجسودهم - وعمر العبد ولقلب يقضاه - وجمع منه رجلا
 غير أرواح وطهر منه من - واتع الإيمان والصدق والصدق - وشجاعة - ومن حوارق
 الأنعام والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وناريج الأخلاق - ولا تزال موضع حيرة
 ودشده منه إلى الأبد - وعمر العلم عن تعليله شيء غير الإيمان الكامل العميق

ولا نتيجة . سوح الإيمن ومراقبة الله واستحضر الله في كل مكان وزمان .

حدث الطبري قال لما هبط المسلمون إلى مصر وجعلوا الأقباص أقصر رجس عاق معه
فدفعه إلى صاحب رقباص قال ما لدي معي ما أيا مثل هذا فقد ما بعده
ما بعده ولا يقاربه فقالوا من أحب منه شئ فقال أما والله لولا الله ما أيتكم
به فمروا أن يرحل شأه فمروا من تحت و لا والله لا أحركم لتحمدوني ولا
غيركم ليقرطوني . ولكني أحسد به وأرضى شؤه فأسعه رجلا من التمن إلى
أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس الخ الطبري ج ٤ ص ١٦

وكان هذا الإيمن بالله . حبه . ور . مع . نسيم عالي . قام صمحه عنه فلم . من لغير
الله أبدأ . لا لماث حذر . ولا حذر . من الأحرار . ولا أنيس دين . ولا ديون . و ملا
قوسه . وعوجه . تكبر . به . دني . وعظمت . دلت . فيها . وجود الخلق ورغبات الدنيا
ومظاهر العظمة والرفعة . وقد ر . الأحرار . وحشهم . وما هم فيه من قرف ولعم
ري به . وحرف . فكأنهم يتصرفون إلى صبر . ودني . قد كسيت ملايس .

عن أبي موسى قال . شهدنا إلى لحدث . وهو جالس في مجلسه وعمره من العاص عن
نبيه وعمره عن بساره . ونفسه . حوس . سمع . وقد قال له عمرو وعماره أنهم
لا يسعدون لك . فبأنه يدور من عنده من . يسيس . والرهان . اسجدوا لذلك
فقال . حمر لا يسجد إلا لله الخ ج ٢

أرسل سعد بن عبد الله بن عبد الله بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الحيوش الفارسية
وأمرهم . فدخل عنده . وور . رسوا مجلسه . ما عاري . والرأي . الخريز . وأظهر اليواقف
واللأق . اثنية . عظمت . عده . تاجه . غير . دك . من الأمانة الثمينة . وقد جلس على
سرير من ذهب . وح . ر . من . ثبات صمغه . ورس . ورس . وصيره . وم يزل راجها
حتى داس بها على طرف . ساعد . ثم . و . و . طلب . بعض . ال . الوسائد . وأقبل عليه
سلاحه . ودرعه . ويصته على رأسه . فقالوا له . صغ . للاحث . فقال . إن لم آتكم وإعما
جئكم . ح . دعوموني . فإن . تركتموني . عك . ولا . رجعت . ح . رسم . تدوا .ه . فأقبل
توكأ على ر . فوق . انما في لخرق . عات . و . و . ما . ح . فقال . الله . اندها . لخرج
من شدة من عاده . فعد . إلى عاده . و . ومن صيق الدلب إلى سعتها . ومن حور
لأ . ي . إلى ع . الإسلام

ولقد بعث الإيمن بالآخرة في فلوب المسيس نخاعه حارقه للعاده وحثينا عربيا إلى
لحمة واستباه نادره بالحياة . بمشوا الأخره . ونحت لهم اخيه شعائنا كأنها رأى عن

فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوى على شيء . تقدم أنس بن الصمر يوم أحد وانكشف المسلمون ، فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب الكعبة إلى أحد رجبها من دون أحد ، قال أنس فوجدنا به نضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته بنتائه . متفق عليه

قال رسول الله (ص) يوم بدر . قوموا إلى حنة عرصها السموات والأرض فقال عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله . حنة عرصها السموات والأرض ؟ بح . قال فقال رسول الله (ص) ما يحملك على قولك بح ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال فابت من أهلها . فأخرج نمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قل : لنسأ ما حبيت حتى آكل نمرات هذه إنها لحبة طويلة ، فرس بما كان معه من الفرس ثم قال لهم حتى قتل . رواه مسلم

عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال . سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله (ص) إن أبواب الجنة تصف خلال السيوف ، فقام رجل رث الهيئة فقال . يا أبا موسى أنت سمعت هذا من رسول الله ؟ قال نعم . فراجع إلى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام . ثم كسر جفن سبعة وألفاه . ثم منى بسبعة إلى العدو فضرب حتى قتل .

كان عمرو بن الحو ح أعرج شديد العرج . وكان له أربعة دين شباب يعززون مع رسول الله (ص) إذا غزى . فلما توجه أي أحد أراد أن يتوجه معه . فقل له ببوه إن الله قد جعل لك رخصة . فلو قصدت وبحس مكعبك . وقد وصع الله عليك الجهاد . فأتى عمرو بن الحو ح رسول الله (ص) فقال : رسول الله إن بي هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك ووافقه أني لأرجو أن أستشهد فأطأ بمرجى هذه في الجنة فقال له رسول الله (ص) أما أنت فقد وصع الله عنك الجهاد . وقال لبنيه وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة . فخرج مع رسول الله فقتل يوم أحد شهيدا .

قال شداد بن الهاد . جاء رجل من الأعراب إلى النبي (ص) فأمن به واتبعه

فقال أهاجر معك فأوصى به بعض أصحابه فلما كانت غزوة حير غم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقسمه وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله (ص) فأخذه حياء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ما هذا يا رسول الله ؟ قال قسم قسمته لك ، قال ما على هذا اتبعك ولكن اتبعك على أن أرى ههنا ، وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة ، فقال : إن تصدق الله ليصدقك ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتول ، فقال أمو مو ؟ قالوا نعم فقال صدق الله فصدقه .

وكانوا قبل هذا الإيمان في فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك والأخذ والترك والسياسة والاجتماع لا يحصون لسلطان ولا يقرون بنظام ولا يحرطون في سلك ، يسرون على الأمواء ويركبون العمياء ويخبطون خبط عشواء ، فأصبحوا الآن في حظيرة الإيمان والعبودية لا يخرجون منها واعتزفوا لله بالملك والسلطان والأمر والنهي ولأنفسهم بالرعية والعبودية والطاعة المطلقة وأعطوا من أنفسهم المقادة واستسلموا للحكم الإلهي استسلاماً قاملاً ووضعوا أوزارهم وتنازلوا عن أهوائهم وأمانتهم وأصبحوا عبداً لا يملكون مالا ولا يمسا ولا تصرفوا في الحياة إلا ما يرصاه الله ويسمح به لا يجارون ولا يصالحون إلا بإذن الله ولا يبدون ولا يحطون ولا يطمون ولا يمتعون ولا يصلون ولا يقطعون إلا بإذنه ووفق أمره

ولما كان القوم يحسنون اللغة لئلا ينزل بها القرآن وتكلم فيها الرسول ، عرفوا الجاهلية وعرفوا الاسلام وعرفوا أنه حروح من حياة إلى حياة ومن ملكة إلى ملكة ومن حكم إلى حكم أو من موصية إلى سلطة . ومن حرب إلى استسلام وحضوع ومن الأناية إلى العبودية فإذا دخلوا في الاسلام . فلا اقتيات في الرأي ولا نزاع مع القانون الإلهي ولا خيرة بعد الأمر ولا مشاقة للرسول ولا تحاكم إلى غير الله ولا إصدار عن الرأي ولا تمسك بتقاليد وعادات . ولا ائثار بالنفس ، فكانوا إذا أسلبوا انتقلوا من الحياة الجاهلية بخصائصها وعاداتها

وتقاليدها إلى الاسلام بمخصاته وعادته وأوصاعه ، وكان هذا الانقلاب العظيم يحدث هي أثر قول الاسلام من غير تأن .

هم فضالة بن عبيد بن الملوح أن يفتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فلما دأب منه قال له رسول الله (ص) أفضالة ؟ قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لا شيء ، كنت أدكر الله ، فضحك النبي (ص) ثم قال استعمر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى مني ، قال فضالة فرجعت إلى أهلي فررت بامرأة كنت أحدث إليها قالت . هم إلى الحديث ، فقلت بأن الله عليك والاسلام راد المعادج ٢ ص ٢٢٤

إن هذا الايمان بأفقه وارسله واليوم الآخر ، والاسلام لله ولدينه أقام عوج الحياة ورد كل فرد في المجتمع النشوي إلى موضعه لا يقصر عنه ولا يتعداه ، وأصبحت الهيئة الشريفة بأفقه زهر لا شوك فيها ، أصبح الناس أسرة واحدة أبوم آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لمعجمي على عربي إلا بالتقوى يقول النبي صلى الله عليه وسلم . كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، وليتمين قوم يفخرون بأنهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجملان ، تفسير ابن كثير سورة المجرات .

وقال صلى الله عليه وسلم . يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتمظيها بآبائها ، فالناس رجلان . رجل يرتقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ، رواه ابن أبي حاتم . ويقول صلى الله عليه وسلم . إن أفضاكم هذه ليست لمسبة على أحد ، كلكم بنو آدم طيف الصاع لم يمنعه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى ، رواه الامام أحمد

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال . انظر فإنك لست بفير من أحد ولا أسود إلا أن تفضل بتقوى الله ، ويسمع الناس يقول في ما يباحي به ربه في آخر الليل . وأما شهد أن العباد كلهم إخوة ، رواه أبو داود

الايمان وأثره في الحب والطاعة

عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم طبائع النعموس وغرائزها ، فأخذ يسوسها في رفق ، ويعاملها كواحد منهم ، فأحبه رجال أمته وأضاعوه حباً وطاعة لم يسمع مثلاً في تاريخ العشاق والستيمى ، ووقع من حواري الحب والأصمحلل والتفانى في سبيل طاعته ورياسته على النفس والأهل والولد ما لم يحدث قبله ، ولن يحدث بعده .

وطلّى أبو بكر من أن قدوة في مكة يوماً بعدما أسد وحرب ضرباً شديداً ، ودنا منه هتة من ربيعة فجعل يصربه سعينين بحصوتين ويصره ما لوجه وزرا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أفعه ، وحملت نونير أبو بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في مرته ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فسوا منه بالسنانهم وعدلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه ياد ، فلما حدث به الحث عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله (ص) ؟ فقالت : واقه مالى غير تصاحك ، فقال اذهبي إلى أم جميل بك الخناب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى حامت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تعلم أن أذهب معك إلى أمك ، فأتى فأتى ، فقصت معها حتى وجدت أبا بكر صريها دوماً ، فأتى أم جميل وأعلنت بالصباح وقالت : والله إن قوماً ماوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإنى لأرجو أن يقدم الله لك منهم ، قال فما فعل رسول الله (ص) ؟ قالت هذه أمك تسمع اقول فلا شيء عليك منها ، قالت سام صالح ، قال أين هو ؟ قالت في دار الأرقم ، قال بين الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً ، أو أتى رسول الله (ص) فأمهلتها حتى إذا هدأت أرجل وسكن الناس خرجا به يركب عليهما حتى أدخلتهما على رسول الله (ص) ابداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠

خرجت امرأة من الأنصار تهنى أبوها وأخوها ورجعها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ما فعل رسول الله ؟ قالوا خيراً ، هو محمد الله كما تحين قالت أريه حتى أنظر إليه ، فلما رآه قالت كل مصيبة بعدك تنور رواه ابن اسحق إمام المعارى . ورواه البيهقي مرسل

رفعوا حبياً صلى الله عليه عن الخشب وما دونه ياشدونه : أنتخب محمداً مكانك ؟
قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفتدى بشركة يشاكها في قدمه ، فصحكوا منه
الذابة والنهاية ج ٤ ص ٦٣

قال زيد بن ثابت . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد
ابن أبي ربيع ، فقال لي إن رأيته فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله كيف
تجذبك ؟ قال فجعلت أطوف بين التلّي وثنته وهو بأحر رمق وفيه سبعون صربة
بالسيف ورمية بسهم . فقلت يا سعد . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ
عليك السلام ويقول لك أحسن كيف تجذبك ؟ فقال . وعى رسول الله السلام ،
وقل له يا رسول الله أجرح الحية ، وقل لعوى الأبلار لا هذر لكم عند الله
إن حضر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفكم عن تطرف ، وفامست نفسه .
من وقته . زاد المعاد ج ٢ ص ١٣٤

وتوس أبو دجاجة يوم أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بطهره ولعل يفزع
فيه وهو لا يتحرك . زاد المعاد ص ١٣٠
ومصر مالك الحدرى جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أشفاه ، قال له
يجه . قال والله ما أعجبه أبداً . زاد المعاد ص ١٣٠

وقدم أبو سفيان المدية يدخل على أمية أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش
رسول الله (ص) طوته به ، فقال يا أمية ما أدرى أرغمت في هذا الفراش
أم رعبت به عني ؟ فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك
نحس . زاد المعاد ص ٢١٦

وقال عروة بن مسعود الثقفي لأصحابه بعدما رجع من الحديبية . أي قوم والله
لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والحباشي ؛ والله ما رأيت ملكاً يعظمه
أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً . والله إن تخم بحامة إلا وقعت في كف رجل منهم
فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم اقتدروا أمره . وإذا توصوا كادوا يقتتلون
على وصوته ، وإذا تكلم حمضوا أصواتهم عده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له .
زاد المعاد ج ٢ صفحة ١٧٥

ولم يرل لا لقياد والطاعة من جود (الحب) المتطوعة . فلما أحبه القوم بكل قلوبهم أطاعوه بكل قوتهم . يمثل ذلك خير تمثيل ما قال - عدى - معاذ هو نفسه وعن الأنصار قبل بدر (إن أقول عن الأنصار وأجيب عنهم . فأعلمن حيث شئت وصيرل حبل من شئت . أقطع حين من شئت . وخذ من أموالنا ما شئت . واعطنا ما شئت . وما أحدث منا كان أحب إلينا بما تركت . وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك . هو الله لئن مرت حتى تلعب البرك امرأ بمك . والله لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضاه لمك) زاد المعاد ص ١٣٠

وكان من شدة حاجتهم له أنه صلى الله عليه وسلم حى أهل المدينة عن كلام الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . (كان من الناس إلا أن أضعوه . وأصبحت المدينة لمؤلا كآها مدينة الأموات ليس بها داع ولا مجب

يقول كعب . ونهى رسول الله (ص) عن كلاما أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه . قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى نسكركم لى فى بعض الأرض . فإمضى بالأرض التى أعرف - أى أن قل - حتى إذا صال عى من جموعة المسلمين مشى حتى تسورت جدار حائط أو فتادة وهو ابن عى . وأحب الناس لى . فسلمت عليه هو الله ما رد عى السلام . فسلمت له . أنا فتادة أشدك باقه هل نعدى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فسلمت فاشدده فسكت . فسلمت فاشدده فقال : الله ورسوله أعلم . فقامت عى وتوبيت حتى تسورت الجدار متفق عليه

وكان من طاعته أيضا وهو فى موضع عتاب وجفوة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتبه ويقول له . إن رسول الله يأمرك أن تتزل أمر أنك . فقال أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال لا لى . عثر لها فلا تقربها . فقال لامرأته : الحى بأهلك فسكونى عندهم حتى يعصى الله من هذا الأمر

وكان من حبه لرسول (ص) وبثاره عى كل أحد فى الدنيا أن ملك عسان محط وده ويستلحقه بنفسه . وتلك محبة عظيمة فى حال الجفوة والعتاب . وإسكنه رخص ذلك . قال . بينا أنا أمشى فى سوق المدينة إذا بطى من سط أهل الشام عى قدم الطعام يبعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس بشيرون

له إلى حتى جاء مدفع إلى صكتنا من ملك عسان ، وكنت كابا فقرأته فإذا فيه
 (أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جمعك ولم يجمعك الله بدار جوان ولا مصيعة
 فالحق بما بواسطك ، ففتحت حتى قرأها ، وهذه من البلاء فيصمت بها التنوير فسيرتها)
 ومن غرائب الطاعة وسرعة الانقياد ما حدث عند نزول النبي عن آخر في
 مجلس شرب . فمن أتى بريدة عن أبيه قال . بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن
 نشرب آخر إذ قمت حتى أتى رسول الله (ص) فأسد عليه . وقد نزل تحريم آخر
 (يا أيها الذين آمنوا إنما أحر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان)
 إلى آخر الآيات . فهل أنتم متنبون) قال . ونهض القوم شربته في يده شرب بعضا
 وبقي بعضها في الأنا ، فقال بالاناء تحت شفته العاليا بما يفعل الخدام . ثم صبوا ما في
 باطنهم . فقالوا : انهما رشا . بهيارنا . تصير الطرى ح ١
 ومن غرائب الطاعة للرسول وإثاره على النفس والأهل والعشيرة . ما روى
 عن عبد الله بن عبد الله بن أبي

روى ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال . دعا رسول الله عبد الله بن عبد الله بن
 أبي قال . ألا ترى ما يقول أموك ؟ قال ما يقول أن ماني أمي وأمي ؟ قال يقول
 (لن رجعتا إلى المدينة لبحرجي الأعز منها الأدل) فقال . محمد صدق والله
 يا رسول الله أنت واقع الأعز ، وهو الأدل ، أما والله لقد قدمت المدينة
 يا رسول الله ، وأن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني ، وش كان يرضى الله
 ورسوله أن تهما رأسه لأيهما به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا)
 فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي بها باليسف لأبيه ثم قال
 أنت القائل . لن رجعتا إلى المدينة لبحرجي الأعز منها الأدل ، أما والله لنتعز
 العزة لك أو لرسول الله (ص) والله لا يأويك حله ولا تأويه أبدا إلا بإذن من
 الله ورسوله . فقال للبحرج . أن بمعنى . نى . فقال والله لا يأويه أبدا إلا بإذن
 منه . فاجتمع إليه رجال فكلود . فقال والله لا يدخله لا بإذن من الله ورسوله
 فأتوا إلى صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال . اذهبوا إليه فقولوا له حله ومسكبه .
 فأتوه . فقال . أما إذا جاء أمر النبي فنعزم .

دخل الايمان إلى قلوب الأمة العربية الصائفة والى قلوب أداس من غيرها ، فابته العالم أن رأى منهم بواع كانوا من عتات الدهر ، وسواح التاريخ ، فأصبح عمر الذي كان يرعى الابل لآليه الخطاب ويهره ، وكان من أوساط قريش جلادة وصرامة ، لا يتروأ منها امكانة احبها ولا يحسب له أمره حساباً كبيراً ، اذا به يماجى العالم بصغريته وعصاميته ، ويبحر كسرى وقصر عن عرشهما ، ويؤسس دولة اسلامية تجمع بين مملكتيهما وموقفيهما في الادارة وحسن النظام ، فضلا عن الورع والتقوى والعند الذي لا يزال به المثل السائر

وهذا اس الوليد كان أحد فرسان قريش الشبان ، انحصرت كفاءته الخربة في نطاق محلى ضيق يستمر به رؤساء قريش في المراك الملية ، فيال قتهم وثانهم ، ولم يحرر الدهرة النافقة في بواحي الحورية . اذا به يلبع سبعا الهيا لا يقوم له شيء الا حصده ، وينزل كالمصاعمة على الروم ، ويترك ذكراً خالداً في التاريخ .

وهذا أبو عبيدة كان موصوفاً بالصلاح والامانة والرفق ويقود سرايا المسلمين ، اذا به يتولى القيادة العظمى بسببهم ، ويطرد هرقل من ربوع الشام ومروجها الخصراء بالى عليها نظرة الوداع ويقول : سلام على سورية سلاماً لا لقاء بعده

وهذا عمرو بن العاص كان بعد من عتلاء قريش وترسه في سمارتها الى الحبشة لتسترد المهاجرين المسلمين ويرجع خاناً ، اذا به يفتح مصر وتصبح له صولة عظيمة وهذا سعد بن أبي وقاص ، لم يسمع به في التاريخ العربي قبل الاسلام كقائد جيش ورتبته كتيبة ، اذا به يفتح معاوية امدائن ويبسط باسمه فتح العراق ويران

وهذا سدان الفارسي كان ابن موبدان في احدى في فارس ، لم يزل يقتل من رقى الى رقى ومن قسوة الى قسوة . اذا به يطلع على أمه كحاكم لعاصمة الامبراطورية الفارسية التي كان بالأمس أحد رعاياها

وأعجب من ذلك أن هذه الوظيفه لا تغير من رعايته وتقدمه ، فيراه الناس يسكن في كوخ ويحمل على أسفه الأثقال .

وهذا بلال الحبشي يلبع من فضله وصلاحه مبلغاً يلقه فيه أمير المؤمنين عمر بالسيد .

وهذا سالم مولى أبي حذيفة يرى فيه عمر موصفاً للحلابة يقول - لو كان حياً لاستحاطته . وهذا يزيد بن حارثة يقود جيش المسلمين إلى مؤتة ، وفيه مثل جعفر ابن أبي طالب وعالم بن الوليد ، ويقود ابنه أسامة جيشاً فيه مثل أبي بكر وعمر وهذا أبو ذر والمقداد وأبو الدرداء وعمار بن ياسر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب نهب عليهم نعمة من نفعات الإسلام فيصبحون من الزهاد بعدد دين والعلماء الراغبين

وهذا علي بن أبي طالب وعائشة وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس قد أصبحوا في أحضان النبي الأبي صلى الله عليه وسلم من علماء العالم الذين يتفجر العلم من جواهبهم ونطق الحكمة على لسانهم ، أثر الناس قلوباً وأعماقهم هلياً وأفلمهم تكلفاً ، يتكلمون فيصت أزمان ، ويحاطبون فيسجل قم التاريخ ثم لا يلبث العالم المتقدم أن يرى من هذه المواد الختم المعثرة التي استهانت بقيمتها الأمم المعاصرة ، وسخرت منها البلاد المجاورة ، لا يلبث أن يرى منها كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أحسن منها أزماناً ، كأنها حلقة مفرغة لا يعرف طرفها ، أو كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره ، كتلة فيها الكفاية الشاملة في كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية ، كتلة هي في غنى عن العالم ، وليس العالم في غنى عنها ، وصمت مدلتها وأست حكومتها ، وليس لها عهد لها ، فله نصير إلى أن تستعير رجلاً من أمة أو تسعين في إدارتها بحكومة ، أست حكومة تمد رواقها على رقعة منسقة من قارئ عظيمين وملأت كل ثمر وسدت كل عور رجل يجمع بين الكفاية والدينية والقوة والأمانة .

تأسست هذه الحكومة المنشعبة الأضواء فأعدها هذه الأمة الوليدة التي لم يحس عليها إلا بعض العقود كله جهاد ودفاع ومقاومة وكفاح - رجل من الرجال الأكفاء ، فكان منها الأمير العادل والحارر الأمين والقاضي المقسط ، والقائد العابد والوالي المنورع ، والجندى المتق ، وكانت بهضبة التربية الدينية التي لا تزال مستمرة وبعض الدهوة الإسلامية التي لا تزال سائرة ، مادة لا تقطع ومعين لا يهت ، وهنا ظهرت المدنية الإسلامية بظهورها الصحيح

المعركة العاصلة

بين الحق والباطل

« فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى
 قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَّاكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي فَلَمَّكُمْ
 السَّحَرُ ، وَقُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأُذُنُكُمْ مِنْ حِلَافٍ ، وَلَا صُلْبَ لَكُمْ
 فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ، وَاتَّعَلَّكُمْ أَيُّهَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا
 كُنْ نُؤْتِرُكَ عَلَى مَا نَحْنُ مِنْ آمِنَاتٍ وَالَّذِي قَطَرْنَا ، قَافِضٍ
 مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَهُنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا
 لِنَغْفِرَ لَكَ عَطَايَا ، وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ
 وَأَبْقَى إِنَّهُ مِنْ بَابِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَلَنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا
 وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ حَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
 الدَّرَجَاتُ أَعْلَى حَتَّىٰ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى

« وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِمِثْرَتِي فَاضْرِبْ لَهُمْ
 طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ، لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ، فَاتَّبَعَتْهُمْ
 فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ
 قَوْمَهُ وَمَا هَدَى

ليس من هنا هنا سرد قصة موسى وفرعون ولا تحقيق ما في القصة من ألفاظ وبلاغة ، فإن ذلك مشقة عما فيها من العبر ، وإنما العرض تصوير ما في هذه الآيات من آثار الإيمان عندما يستقر في القلب عن دليل واقتناع ، فإنه لا يبالى بما يترتب عليه من تهديد ووعيد .

ونستطيع أن نشير في إيجاز إلى دور العلم في إيمان هؤلاء السحرة ، وأنه كان عاملاً قوياً في إيمانهم ، ولولاد لظنوا على ما كانوا عليه كسائر العامة هؤلاء السحرة كانوا في خدمة الطاغية ، وجاءوا لمعالجة موسى ونشيت ملك فرعون ، ولكنهم حينما لاحظت لهم الآيات عرفوا الحق فأمنوا به عن حب ويقين .

وهكذا يفعل الإيمان الصحيح بأهله ، يستعدون العذاب في سبيل عقيدتهم ، أما الإيمان التقليدي الموروث فإنه لا يملك أن يدوب عند بوادر الاختحان .
وقد مرّ بك - ومياتيك - عشرات من اوقائع الثبات في الصبر والاحتفال بما لا مجال فيه لوم أو خيال .

« قَالَتِ السَّحَرَةُ مُعْجَظًا ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى »

إنها اللمة تصادى العصب الحساس فينفص الجسم كله ، وتصادى ، الزر ، الصبر فيبعث الور ويشرق الطلام ، إنها لحظة الإيمان للقلب النشوي تحوله في لحظة من الكفر إلى الإيمان .

ولكن أن للطاعة أن يدركوا هذا السر اللطيف ؟ أن لهم أن يدركوا كيف تنقلب القلوب ؟ وهم قد نسوا الطول ما طمعوا ونعوا ، ورأوا الاتباع ينقادون لإشارة منهم ، نسوا أن الله هو مقلب القلوب ، وأنها حين تنصل به وتسلم منه وتشرق بنوره لا يكون لأحد عليها سلطان :

« قَالَ آمَنَ لَهُ قُلُوبُ أَنْ آدَنَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَيْكُمْ السَّعِيرُ . فَلَا تُطِيعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبُوا فِي حُذُوعِ النَّخْلِ ، وَلْتَعْلُنَ أَيْمَانُكُمْ عَنِهَا وَابْتَغُوا الْوَعْدَ »

(آمنتم له قبل أن آذن لكم) . . قوة الطاغية الذي لا يدرك أنهم هم أنفسهم

لا يملكون ، وقد لمس الايمان قلوبهم ، أن يدمعوه عنها . والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبله وكيف يصاه .

(إنه لكبيركم الذي عسكم السحر) فذلك سر الاستسلام في نظره ، لأنه الايمان الذي دب في قلوبهم من حيث لا يحتسبون ، ولا أهايد الرحمن تكشف من بصائرهم غشاوة الضلال .

ثم التهديد العيظ بالعداب العليظ الذي يعتمد عليه الطغاة ، ويسلطونه على الجسوم والأبدان حين يهجرون عن قهر القلوب والأرواح (فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف . ولا تصلنكم في جنوع السحل)

ثم الاستعلاء بالقوة العاشمة ، قوة الوحوش في العابة ، القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال ، ولا يفرق بين إنسان يفرع الحبة وحيوان يفرع الثاب (وانعملن أهنأ أشد عذابا وأبقى)

ولكنه قد فات الأوان ، كانت للمسة الايمانية قد وصلت الذرة الصغيرة بمصدرها الحال . فإذا هي قوية قوية ، وإذا القوى الأرضية كلها صنبة صنبة ، وإذا الحياة الأرضية كلها رعدة رعدة ، وكانت قد منحت لهذه القلوب آفاق مشرقة وصنبة لا تباي أن تنظر بعدها إلى الأرض وما بها من عرص رائل ولا إلى حياة الأرض وما فيها من متاع ناه .

(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيات والذي فطرنا ، فاقص ما أنت قاصر إنما تقصى هذه الحياة الدنيا . إما آما ربنا ليعمر لنا حظا نأفوا وما أكرهنا عليه من السحر ، واقه خير وأبقى)

إلهامسة الايمان في القلوب التي كانت منذ لحظة نسو لمرعون وتمد القرى منه معنا يتسابق اليه المتسابقون فإذا هي بعد لحظة تواجهه في قوة ، وترخص ملكه وزخرفته وجاهه وسلطانه :

(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيات والذي فطرنا) فهي أمر وأغنى وهو جل شأنه أذكى وأعلى (فاقص ما أنت قاصر) ودورك وما تملكه لنا في الأرض (إنما تقصى هذه الحياة الدنيا) سلطانك مقيد بها ، وما لك من سلطان علينا في غيرها ، وما أقصر الحياة الدنيا ، وما أهون الحياة الدنيا ، وما تملكه لنا

من هذاب أيسر من أن يخفاه قلب يتصل بالله ، وبأمل في الحياة الخالدة أدا
(إنا أما يربا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) مما كنت تكلمنا به
فلا يملك لك عصيانا ، فاعل يايماننا برسا بعمر لنا خطايانا (والله خير وأبقى) خير
قسمة وجوارا ، وأبقى معنا وحراء ، ان كنت تهددنا بمن هو أشد وأبقى .

والهم السحرة الذي آموا رهم أن ينفوا من الطاعية موقف المعلم المستعلى :
(انه من بات وبه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، ومن يأت مؤمنا قد
عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
وذلك جزاء من تركي)

فإذا كان يتهددم بمن هو أشد وأبقى ، مها هي دى صورة لمن يأتى ربه مجرما هي
أشد هذابا وأدوم (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا) فلا هو ميت فيستريح ،
ولا هو حي فيتمتع ، انما هو العذاب الذي لا ينتهى الى موت ولا ينتهى الى حياة .
وفي الجباب الآحر الدرجات العلى . جنات الإقامة بدية بما يجرى تحت غرفاتهم من
أنهار (وذلك جزاء من تركي) وتظهر من الآثام .

وهرأت القلوب المؤمنة بتهديد الطغيان الجائر ، وواجهته بكلمة الايمان القوية ،
وباستملاء الايمان الرائق ، وبشعير الايمان الصانع ، ورجاء الايمان العميق
ومضى هذا المشهد في تاريخ البشرية أعلاها حرية القلب البشرى باستملائه على
قيود الأرض وسدطان الأرض ، وعلى النعم ، في المثوبة والخطوف من السلطان ،
وما يملك القلب البشرى أن يحجر هذا الاعلان القوى الا في طلال الايمان
وهنا يسدل الستار لير مع على مشهد آخر وحلقة من اقصا جديدة

انه مشهد انتصار الحق والايمان في واقع احياء المشهود ، بعد انتصارهما في عام
السكره والمعقبة ، فلقده مضى السياق بانتصارية العصا على السحر ، وانتصار
المفيدة في قلوب السحرة على الاحتراف ، وانتصار الايمان في قلوبهم على ازعج
وإرهاب : والتهديد والوعيد ، فالآن ينتصر الحق على لأطل والهدى على الضلال ،
والايمان على الطغيان في الواقع المشهود : والبصر الأخير مرتبط بالنتصر الأول .
فما يتحقق البصر في عالم الواقع الا بعد تمامه في عالم الضمير ، وما يستعلى أصحاب
الحق في الظاهر الا بعد أن يستعلاوا بالحق في الباطن . ان للحق والايمان حقيقة متى

تجسست في المشاعر أخذت طريقها فاستعلت ليراها الناس في صورتها الواقعية .
 فأما اذا طل الايمان مظهر ألم يتجسم في القلب ، والحق شعرا لا ينبع من الضمير ،
 فإن الطغيان والباطل قد يطبان ، لأنهما على مكان قوة مادية حقيقة لا مقابل لها ولا
 كفاء في مظهر الحق والايمان يجب أن تتحقق حقيقة الايمان في النفس وحقيقة
 الحق في القلب ، فتصيحان أقوى من حقيقة القوى المادية التي يستعنى بها الباطل
 ويصول بها الطغيان . وهذا هو الذي كان في موقف موسى - عليه السلام -
 من السحر والسحرة ، وفي موقف السحرة من فرعون وملكه ، ومن ثم انتصر الحق
 في الأرض كما يعرضه هذا المشهد في سياق السورة :

(ولقد أوجنا إلى موسى أن أمر بضادى ، فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ،
 لا تخاف دركا ولا نخشا ، فأتاهم فرعون بمجوده فعشيبهم من اليم ما غشيبهم ،
 وأضل فرعون قومه وما هدى)

ولا يدرك لسباقها ما الذي كان بعد مواجهة الايمان للصبيان في موقف
 السحرة مع فرعون ، ولا كيف تصرف معهم بعدما اعتصموا برأيهم مستبشرين
 لتهديد والوعيد بقلب المؤمن الملتزم ربه . المستبشرين بحياة الأرض وما فيها ومن
 فيها ، انما يعقب هذا المشهد ، مشهد الانتصار الكامل لينصل النصر القلبي بالنصر
 الواقعي ، وتتحلى رعاية الله لمواده المؤمنين كامنه حاسمه . ولنفس الغرض لا يطبل
 هذان مشهد الخروح والوقوف امام البحر - كما يطبل في سور أخرى - بل يبادر
 بمرح من مشهد النصر بلا مقدمات كثيرة ، لأن مقدماته كانت في الصبائر والقلوب .
 ومن هو ، لا الإيماء لموسى أن يهرج بعباد الله - بني اسرائيل - ليلا ، فيصرف
 لهم طريقا في البحر يبسا بدون تفصيل ولا تطويل - فنعرضه نحن كذلك كما جاء -
 معطفاً الى أن غاية الله ترعاهم فلا يخاف أن يدركه فرعون وجوده . ولا يخشى
 من البحر الذي اتخذه له طريقا يأساً فيه ، ويد القدرة التي أجرت الماء وفق
 الساموس الذي أرادته قادرة على أن تكشفه بعض الوقت عن طريق يأس فيه
 (فاتبعهم فرعون بمجوده فعشيبهم من اليم ما غشيبهم ، وأضل فرعون قومه
 وما هدى) ..

هكذا يميل السياق كذلك ما غشى فرعون وقومه ، ولا يفصله ، ليبقي وقعه في

في النفس شاملا مهولا ، لا يعمده التفصيل ، وقاد فرعون قومه إلى الضلال في الحياة كما قادم إلى الضلال والبحر ، وكلامه ضلال يؤدي إلى اليوار .

ولا تعرض عن تفصيلات ما حدث في هذا الموضع ، كي يتابع السياق في حكمة الاحكام ، إنما نفث أمام العبرة التي يتركها المشهد ونسج لإيقاعه في القلوب . فقد تولت يد القدرة إدارة المعركة بين الايمان والطغيان فلم يتكف أصحاب الايمان فيها شيئا سوى اتباع الوحي والسرى ليلا ، ذلك أن القوتين لم تكونا متكافئتين ولا متفارتين في عالم الواقع . موسى وقومه صعدوا مجردون من القوة وفرعون وحده يملكون القوة كلها ، فلا سبيل إلى حوص معركة مادية أصلا ، هنا تولت يد القدرة إدارة المعركة ، ولكن بعد أن اكتملت حقيقة الايمان في نفوس الذين لا يملكون قوة سواها . بعد أن استعلن الايمان في وجه الطغيان لا يحشاء ولا يرهو ، لا يرهب وعيده ولا يهاب في شيء عما في يده . يقول الطغيان (فلا تقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبكم في جذوع النخل) فيقول الايمان (فاص صاأت قاص ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) . عندما بلغت المعركة بين الايمان والطغيان في عالم القلب إلى هذا الحد تولت يد القدرة راية الحق لترهبها عالية ، وتكسر راية الباطل فلا جهد من أهل الايمان .

وعبرة أخرى

إنه حين كان بنو إسرائيل يؤدون حربية الدل لفرعون ، وهو يقبل أبناءهم ويستجى نسائهم لم تتدخل يد القدرة لإدارة المعركة . فهم لم يكونوا يؤدون هذه لصربية إلا دلا واحتكاكة وحوفا . فأما حين استعلن الايمان ، في قلوب الذين آمنوا بموسى واستعدوا لاحتمال التعذيب مره هو الرموس يمهرون بكلمة الايمان في وجه فرعون دون ملحاح ودون تحرج ، ودون انقاء للتعذيب ، فأما عند ذلك فقد تدخلت يد القدرة لإدارة المعركة ، وإعلان النصر الذي تم قبل ذلك في الأرواح والقلوب .

هذه هي العبرة التي يبررها الساق بذلك الاحكام ، ويتابع المفسدين بلا عائق من انفصليات ليستيقها أصحاب الدعوات ، وهم لولا متى يرتقون النصر من عند الله وهم مجردون من عدة الأرض ، والطاعة يملكون المال والجهد والسلاح .

ضحايا الاخدود

وَلِسَمَاءَ ذَاتَ الرُّوحِ ، وَالْيَوْمَ مَشْهُودٌ ، وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ ،
قَتِيلٌ مُصْنَعٌ ، الْأَخْدُودُ ، السَّرْدُ ذَاتَ لَوْقُودٍ ، ذُتْهُمْ قَلْبَيْهَا
قُودٌ ، وَهِيَ عَلَى مَا يَفْتَنُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُودٌ ، وَمَا يَقْمُوا
مِنْهُ لَا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، أَدَى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

أراد رب العزة سبحانه أن يثبت المذمومين السابقين من هذه الأمة ، ويحلمهم على
الصبر على ما يملهم من أذى أهل مكة ، وعلى ما يقول من الشدائد والحن في سبيل
الاحتياط بعقيدتهم والثبات عليها ، وأن يذكرهم بما جرى على من سبقهم من الأمم
وما أصاب من تقدمهم من أضرار الحق من المذهب على الأيمان ، وإلحاق ألوان
الأذى والنكال ، وما كانوا يقابلون به ذلك من الصبر الحلي ، والاحتفال الرزين
والثبات الوفور ، حتى يأمسوا بهم ويصروا على ما كانوا يلقون من قومهم . ويعلموا
أن كفارهم ليسوا حيارى عدا الله من أولئك ، بل هم بمثابة جديرون بأن يمسهم
العداب ويدوقوا مال أمرهم ، ويقال فيهم : قتل المكذوبون من قريش ، كما قل :
قل أصحاب الاخدود ، كما أراد سبحانه أن يوجه الكافرين المنكرين إلى الظرف
بعض آثار قدرته ، وعليه وحكته . وإلى بعض آياته في الآفاق مع الإشارة إلى البعث
الذي ينسكروه ويستبدونه ، ليقروا بوجوده تعالى ، ويعترفوا بوحدايته ، حتى
إذا آمنوا بقدرته تعالى المشتقة في روث الخلفة وذائع الوجود لم يصحهم إلا
التسليم بالبعث والايمان بالقدور . فأزل هذه الصورة الكريمة معتجلا بقوله
سبحانه (والسماء ذات الرُّوح ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود) يقسم سبحانه
بالسماء في عظمتها واتساع أحكامها وانفراج نواحيها وسعة آفاقها وتغلي روائع
آياته فيها ، ويجز الإنسان عن الإحاطة بأنظارها ، أو اللوع بالآدمها ، ثم يصعبها

سبحانه بأنها ذات الروح، والروح فيما كان العرب يعرفون جميع روح، وهو مجموعة من النجوم لها شكل خاص محفوظ هي الدوام لا يتغير ولا يبدل تسير دائماً أبداً بسرعة واحدة لا يتخلف بعضها ولا يسبق بعض. كأنها مسدورة على لوح على ما بينها من شاسع الأبعاد، وملايين الأميال

بعد أن أقسم رب العزة بما أقسم بيده إلى آثار وجوده وقدرته وعلمه وحكمته أراد أن يأتي بما يدل على جوار القسم المحذوف، وما يكون فيه عراء للتوحيدين، يحملهم على الصبر على ما يقاسون من المحن والشدائد وما يصفون من أعدائهم الكفار فقال تعالى (قتل أصحاب الأحدود ^(١)) وهذا تعبير دعائي ومقطع معروف في كلام العرب إذا أرادوا أن يذعروا على أحد ما شيع ما يمتنون له من لشر قالوا. قتل فلان أي قتله الله وأهلكه، وقد جرى القرآن الكريم على أسلوب العرب ومتعارف تعبيرها وامة خطابها. فأتى من التعبير بمثل ما كانوا يأتون، غير أن له في كلام الله تعالى معنى غير الذي كانوا يعنون، وهذه العبارة أشبه بأن يكون اجباراً بأمر كوني وقع به القول على أصحاب الأحدود، أي ولما هم اهدكوا، ولا هلاك أشد من اللعنة والعطرد من رحمة الله تعالى.

وقد قال المفسرون في أصحاب الأحدود أمموا لا كثيرة، ولعل أشبهها بالصواب وأقربها إلى الحق قول من قال: إنهم ذوو نواس الحميري وأعوانه، وكان ذو نواس قبلاً من أقبال اليمن (ملوكهم) وكان يدين باليهودية ويتعصب لها، وقد انتهى إليه أن النصرانية تسربت إلى أهل حمران إحدى قرى اليمن عن يد مسيحي من الذين اعتنقوا المسيحية في إبان ضمها، وقد أتاهم أن المسيح الذي بشرت به التوراة قد أرسل قاصده، فأقام ذو نواس في صحبه وأهواه ويردعه إلى اليهودية، وأمر بأن يحفر أحدود وأن يوضع فيه الحطب الجزل وأن تفعل فيه النار، ثم دعاهم وحجّهم بين العودة إلى اليهودية مع السلامة وإرضاء الكرامة، وبين البقاء على المسيحية مع الالتقاء في النار. أما صغاف الإيمان وحائروا الترائف فقد ارتدوا

وأما أقرباء الإيمان الذين حالط الإيمان شعاف قلوبهم وامترح بلعومهم ودمائهم ،
 فأبوا أن يرتدوا ، وآثروا الحريق نار الدنيا على الحريق نار الآخرة ، وكذلك
 الإيمان إذا حالطت بشاشته القلوب بهون هي صاحبه أن يضحي بجانيه وأن يحتمل
 أقصى ما يسلط عليه من ألوان العذاب في سبيل الاحتفاظ بعقده والاستمسك
 بأهداب دبه ، ولا جرم أن هذه القصة كانت مستفيضة عند العرب يتحدثون بها
 في أسفارهم ويقصونها في مجالسهم ، ومن أجل ذلك ذكر الله بها المؤمنين ليكون لهم
 أسوة حسنة في هؤلاء الذين آثروا الموت احتراقاً بالنار مع الثبات على دينهم
 والاحتفاظ بعقيدتهم على الحياة والسلامة مع الردة والخروج من دين الحق .

ثم أراد سبحانه أن يبين المراد من الأحود فقال (النار ذات الوفود) وقد
 وصف سبحانه النار بأنها ذات الوفود ، أي صاحبة الخطب الجزل الذي أعد لها
 لتوقده ، فهي نار هائلة رهبة مرعة تشع نقشع لمظارها الأبدان وترتعد الفرائص
 (إدام عليها قعود) أي لمن الله أصحاب الأحود حين كانوا قاهدين على شفير هذا
 الأحود المتلئلا بأسار جالسين على حمال هذه النار الموقدة ، وقلوبهم القاسية
 المتسحرة لا ترحم هؤلاء الصغفاء وهم ينون من حرها ، وتلوى أجسادهم من فرط
 الألم ، وليسيل شعومهم فتريد النار نوحها واشتعالا

(وهم على ما يفعلون المؤمنين شهدود) وهم يشاهدون ما يكاد هؤلاء المؤمنون ،
 ويظفرون لهم وهم يترون ألما . فلا يشبهون بوجوههم ، ولا ينصون أعينهم
 لأن قلوبهم القاسية لا يبعد لها شعاع من أشعة الرحمة ، ولا تهب فيها نسمة من
 سمات الرحمة ، فلا يتأول لها بصيص أرواحهم في الشربة ، بل يتلذذون بمشاهدة
 عذابهم والاستماع إلى نالهم وأنهم

لقد لبى السائقون لأولو من المؤمنين من ألوان العذاب وأقاصي الآلام ما أقوا
 فدا وهو لما أصابهم في سبيل الله ، وما لانت لهم قناة ، وحسبك ما لبى آل ياسر
 حين كان كهار مكة يعدونهم بالنار ، فيمرهم رسول الله (ص) فيقول لهم : صبرا
 يا آل ياسر ، وما لبى بلال بن أبي رباح حين كان يلقبه سيده في الرمضاء ويضع على

الإيمان وأثره عند المغاضبة

ورد في أحاديث لآل عن أبي الدرداء قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر أحد أطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي (ص) :
 يا صاحبكم قد عاهد

، جاء أبو بكر فسموه ، خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى كان بيني وبين ابن الخطاب
 شيء فأساءت إليه ثم دمت ، فسألته : يعمر لي قولي عني فأقبلت إلهث
 فقال النبي (ص) : يعمر لله لك يا أبا بكر (هذا ثلاثاً)

ثم إن عمر بن الخطاب دم ، فأرسل أبو بكر فسال أمه أو بكر ، فسلوا لا ،
 فأبى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسموه ، فسموه ، فسموه (ص) : يتمتع (١) حتى أشفق
 أبو بكر فشد عني ركبتيه وقال يا رسول الله ، والله أكرهت أظلم (هذا مرتين) فقال
 لي (ص) : يا بني ، لكما هتتم كدب ، وقال أبو بكر صدق وواساني نفسه وماله
 ومن أتم تركوني صاحبي (هذا مرتين) فداؤن أبو بكر بعدها

هذا هو الإيمان ، وهذا أثره ، أما نحن الآن فعندما ينزغ الشيطان بيني وبين أخي
 فدخل ما يركب رأسه ، ويد مدحج أحد للصلح فإن كلا منا يتمسك بموقفه ، ويملئ
 شروطه ، ويصمم أحاه كما يصمم لأعداءه ، ويفشي كل منا ما بينه وبين أخيه من سابق
 الود والصفاء

أثر الإيمان عند وقوع شيء بين الزوج والروحة

عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء النبي (ص) إلى بيت لاطمة فلم يجد عليها ، فقال
 : أين من عمت ؟ ، فقالت كائ بيبي وبنته شيء فعاصيني فخرج ، فقال النبي للإنسان : انظر
 أين هو ، فقال هو في المسجد راود ، جاء وهو مصطحع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه
 تراب ، فلعن النبي (ص) يقول : فم يا أبا تراب ، فم يا أبا تراب .

قال سهل وما كان له اسم أحب إليه منه أحرجه لشيحان .

هذا درس ينبغي ، محذر لهم عن وضعه ، فهو يصور لنا في غير تكلف حياة البيت
 المسلم وما يجب أن يكون عليه الزوج والارأه ووالدها من الأخلاق الحميدة التي عليها عمار
 بيت وهداه ، والتي ما نحن نبهت المسلم إلا بسبب تحليه عنها

هذه روضة أنت قد نصبت مدارجها ، شأها في ذلك شأن كل شيء يظهرها الله على ذلك ، وهذا يعين الرجل المزمع العرف بالطوائف ، يترك لها هذه الفرصة حتى تهدأ ولا تلهي عن النار ما يربا شتتها ، فسرعان ما تطفئ ويحل أو تاتم محل الخصام وهذا سبب الخلق يذهب إليه ، الله وره جها في بيده ، قد تم بحمد سألها عنه فأبانه أنه وقع بين يدي ما شيء مما وقع بين الرجل وروحه شرح ، نصبت ، فذهب حتى الله عليه وسلم إليه بنفسه ولطفه وصاحبه وأرجعه إلى أهله ، وذلك كله دون أن يتدخل رسول الله بين الرجل وروحه ، فلم يستأ ، عما وقع منهم ، ولم يدافع عن الله ولم يأخذها من بيته حتى يختصر روحها صاعداً

وكأن بعض الناس يقول : هذا من و مصفى ومصفى أمه ، ثم يوم فقد حدثت عايلين وعاديت أخرى ، وسواء لا يسبح آخر هذه الآلهة إلا أن يصحح له أوها

الايان يأتي بالخوارق

لقد كان من أعجب الامور أن لم تكن من حوافها أن أنكر صدق أمكبه بعد ما بولي الخلافة أن يتبع على أعالي الإسلام من العرب على أن من أن حوشهم كانت أصناف حيثية ، وعنادهم أكثر من غده ، ومواقفهم أقوى حصينا من مواقع حيوشة ، في عام واحد أو أكثر قد لا

من هناك ما هو أعجب وأعرب لا هو أن هذا من الحطية لودع ، قد ذهب من ما يشبه الصواعق تحق كل ما يقابلها ، والتجارب بعينه تحرق كل ما يعترضها ، لقد كنسح صبيبه الكدوب ، وطلدحه من حوبد ، وسجاح ومن وراء هذه لأسماء من قاتل وأدب ، ولم يهف عدد هذا الخلد ليسرريح وريح حيوشة ، من قدس بها في دولي الدنيا عن ذلك العهد - وهذا العرس و - وم - ذلك معقلهم وبقوت أصهم وتوعل وبها ، تتقدمها الإلهام ، وحيثما لآلة ما ات ، وحيثما نجد من كل جانب

لقد كانت حلاقة أي نكر أفر من ثلاثة أعوام ، ولكن ما أجزه فيها من الاعمال الجسماء كان من شأنه أن يسرق عشرات الأعوام ، ولكن الله تارك فيه وعليه ، وجعل أيامه شواهد حادثة على قوة لغيره ، ومضاء الهمة ، وإوام ، وما يمكن أن يشره الإيان صحيح

عمر بن الخطاب

يسير المدارس السيرة مير لمؤرخين عمر بن الخطاب أمر بأمر حوماً ذلك هو كيف
لنسى هذا الرجل الشيء في حصانه الخديوية . المتصل إلى بيته اجتماعه لم يمسها ثقافة ولا
هدهتها حصده . أنه بلغ ما سمع في محال لسياسة ولتدبير من يعوق مبرز بل يروع معجز
من هذا الرجل من حياه المعجزة في سبسته ولم يقتسأ في بيت ملك ، ولا ورث
سأله بيته سياسيه ، فكيف تهبأ له أن يفتي دولة من علم في الأول في النظم والإحكام
واسطر الأمور وسد الشوكة .

زهد له طره سببته لأول في كيف تسوء محالا صاخاً فرغرت ، وإنه لإيمان
لصادق تعامل الإسلام وما تم نفورته . ومعه من من نصي له طريقه ، وفلس
من حكيمه شريح صدره بحاسن الأمور . وعنه مبادئها

لم آت له الخلافة شئت منه عمر في ساس حتى حاده صدر واحد لك .
وواجب من تملأحق رجال ، الدية في كل مكان ، وكان كل واحد منهم بحسب حسب
الحيثية في كل من بعد . وفي كل مكان من نفسه . ومن باب من سكر في أن المسلمين قد
قبولوا هذه سياسة الخرمه من غير برم أو كرهية . ذلك أنهم كانوا موقفين بأن حبهم
يخشى من فيهم ، ولا يديهم عن طمأنينة من بعده ، ولا يحدد من سلطانه سلك بلاستلام
عليه . أو يشار منه أو أن . حدد من ورثه غير دورهم

حدث مره أن من رايه أحد الأمراء وشأ فوراً عن الصحابة بالتساوي ، ولم
يكن يصيب نفرد يكتي لبعض ثوب كامل منه . ولكن أحد المسلمين شاهد عمر بعد ذلك
وهو يمشي في كاهلا من هذا القماش فاحتج عليه . فنهف عمر بإبائه عبد الله ، وقال
أجب بعد الله . فوجه ، أحد محتج أنه حاول لأبيه عن صفيه من هذا القماش وبذلك
تهبأ له أن يمشي ثوبه منه .

وهكذا كان المسئول سدد عمر ، يستعمل مبادئه السديدة بالرضا والهنو ، لأنهم
من مبوب تصدده موشو . عدله . وأنه لا يريد من لمك شئت لنفسه أو لغيره
وهكذا استمر الأمر وبذلك النظام . ومضت أمور الدولة على خير ما رام . ودهست
الدعوة الإسلامية كل مدعب . وكان الفصل في كثير من الفوحات وإفاد الناس عن
الدين لما شبر عن عمر بعده . عن أهم "مري" والأسام الأصيبين من العدل والرهف

والاستقامة بعد كل عمر لا يفتأ ذكر ولاد المسيح في الامصار التي فتحت عليهم بحق
هو على هؤلاء الامصار ، الاول من غير المسيح عدم ووجوب عايدهم وتكليمهم من
الاسباب التي تكفل لهم حاد صاحبه مطمئن ، ودرس أن يذكر هذا المعنى في اوصيه
التي اوصى بها وهو مختصر ا

احتس المطر عن الخمار في اسمه السابعة عشر هـ بهجرة ، فحرق المرعى وهدكت
ابشيه وجام العرب ، إذ كان عداؤهم قائم على أسبها ولجوها ، فبرعوا إلى المدرسة
مستعشرين باخية ، وحف عمر بن استفاحه ، وأرلهم ساحات لاديه ومدرها وكل
فضاء بها ، وعين طائفة من غيا المسيح لسجين أسماء القرمين ، وتعين أماكن إقامتهم
والإشراف على توصيل الاطعمة إليهم

ثم كتب إلى ولاد الامصار يستنهم هذه النسخة ، ويطلب إليهم أن يمدوه بأوصى
ما يستطيعون جمعه من مواد الطعام : حبوب أو دقيق ، أو سم أو زيت ، على أن يكون
من أحضر طريق وأقرب وقت مستطاع .

ودح عمر يركي أمامه من أطراف لسه ، ويدعوا الله أن لا يحسن هلاك أمه محمد
على لاديه ، ثم صلى صلاة الاستسعاء مع عامة المسيح بالمدرسة ، فاستجاب له لده ، وأر
عليهم العيث مراراً عنده أمام مقاليات ، حيث شربت الأرض بعد عطش شديد ،
واتمش أهل الحجاز بعد امتحان قليل ا

الايان واثرة في المال

تسير سيره عثمان رضي الله عنه بمكرمه كثر في موقف عظيم ، فأمد شكرمه الكثر
في عفاؤه بماله في سجين الله ، وسد كثر من عن ذلك أو لم
كان رجل يهودى بالمدينة ملك له أعبده الملاء تسمى ومه ويعني ثم مايت عن
أصحابه ، فشكوا منه إلى النبي (ص) فقال : من يشري رومه فيجعلها للسلين نصيب
مدلوه في دلائهم ، وله بها شرب في الجنة .

فأتى عثمان اليهودى يساومه في شرائها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها بأثنى عشر
ألف درهم ، فخلعه للسلين وافق معه على أن يكون بئر يوماً له ويوماً لليهودى ، فكان
المسلون إذا جاء يوم عثمان يسعون ما يكفيهم من الماء يومين ، فبدأ رأى اليهودى ذلك
فان أدب عن ركيق (أي بئر) فاشترى النصف الآخر ، فاشترى عثمان ثمانية آلاف
درهم وأطلقها كلها للسلين .

إلى فلان وهذه خمسة إلى فلان حتى أبعدها كلها إلى ذوى الحاجة من المسلمين
ورجع الغلام إلى عمر فأخبره بما حدث ، فأعطاه أربعمائة دينار أخرى وقال له :
أذهب بهذه إلى معاذ بن جبل ، فقال معاذ : وصله الله يا جارية ، أدهى إلى بيت
فلان بكذا ، ولبيت فلان بكذا ، وهى يعدد البيوت ويعين مقادير ما يرسل إلى
كل منها ، فأطلت امرأته عليه وقالت :
ونحن والله ساسكين فاعطنا .

وكان قد نفي دياران من الأربعمائة فأعطاهما لها
ورجع الغلام إلى عمر فأخبره بما رأى وسمع ، فحدث وقال لهم إحوة
بعضهم من بعض

(الأيمان والتضحية بالروح)

لما أحببت قريشا الجبل في محاربة الدعوة الإسلامية وعدلوا بتحالفه مع الأنصار
أدركوا مبلغ ما هم معرضون له من الخطر ، إذ كانوا على غير سراعة الأرض
والخروج في القتال وعراققتهم في ممارسة الحروب ، فاجتمعوا بدار الندوة وقرروا
أن لا يخرج لهم من هذا المأرق الا يقتل محمد بن عبد الله ، ولكن معزوا بنى هاشم
عن المطالبة بدمه اتفقوا على أن ينتخب كل بطر من بطونهم فتى شديد البأس ، على
أن يتولى هؤلاء الفتيان جميعا قتله حتى يتورع دمه على فريش كلها ، ويجدد منو هاشم
أن لا يقبل لهم محارب أهل مكة جميعا .

وفي الليلة التي عرفت لتبذ هذه المؤامرة ، انتهى أمرها إلى النبي ﷺ فأحضر علياً
بها ، وطلب إليه أن يرتدى لباسه وينام في فراشه ليوم الثمرين أنه — أى النبي
المكرم — في داره وفي فراشه كما دته ، ثم انصرف مهاجراً من مكة إلى المدينة
ومعه أبو بكر الصديق على ما هو معروف

وقد قبل على هذه المهمة الفدائية بنفسه مطمئنه ، وجنان ثقت ، وكان يحس في
ذلك الوقت أنه أسعد الناس طراً بأن يقدم بنفسه فداء لبيده وحبيبه العظيم

وظل المتآمرون بين آوة وأخرى يتطلعون من حلال الباب فيرون علياً نائماً
وهم يحسبونه محمداً ، فيطمثون إلى موقعهم ، وكانوا قد رأوا من الحكمة أن يؤجلوا

فعلتهم الى اهزيع الأخير من الليل ، وبينما هم على هذه الحال من الترهص والانتظار
إذا بأحد الناس يفاجئهم بأن محمداً قد بارح داره وهم غافلون
واقترح المتآمرون الدار ومحموا على المرائش ، فإذا بهم يجدون فيه حل من
أن طالب لا محمد بن عبد الله يسقط في أيديهم ، ويمنون ما شنع خيبة لاقوها في
حانهم ، ولا يجدون منفذاً لتصرف غيظهم غير أن يشتموا عليها ويصربوه ،
ويحبسوه ساعات ثم يطلقوه .

(الإيمان والفهم الدقيق)

قال رجل من فريش لعمر بن الخطاب : ألا تزوج أم كلثوم بنت أبي بكر فتحفظه
بعد وفاته وتعلمه في أهله ؟ فقال عمر : بلى إني لأحب ذلك ، فذهب الى عائشة فأذكر
له ذلك وعد اليه بجوابها ، ومضى الرسول الى عائشة فأخبرها بما قال عمر فأجابته
الى ما طلب وقالت حياء وكرامة

ودخل عليها عقب ذلك المعيرة بن شعبة مرآها مهمومة ، فقال لها : مالك
يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر وقالت ان هذه جارية حديثة السن وأردت
لها ألين حبسا من عمر

فقال المعيرة : على أن أكرمك ، وخرج من عندها ودخل على عمر فقال : بالرفاء
والخير ، فقد بلى ما أيتته من صلة أبي بكر في أهله وحطبتك أم كلثوم .
فقال عمر : قد كان ذلك .

فقال المعيرة : مالك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهله ، وهذه صبية
حديثة السن فلا تزال مسكر عليها الشيء فتصيرها فتصبح فبذلك ذلك وتأنم له عائشة
ويدكرون أبا بكر فيكون عليه فتجدد لهم المصيبة مع قرب عهدها في قل يوم
فقال عمر : متى كنت عند عائشة وأصدقني ؟

فقال : كنت عندها آنفا

فقال عمر : أشهد أنهم كرهوني ، قصصت لهم أن تصرفني عما طلت ،
وقد أعفيتهم .

الايان والكياسة

ولى عمر المعرة على البحرين ، وكان بها كبير من الأعاجم على دينه فكرهوه وأعملوا الخبيثة في عزله ، فشكوه إلى عمر فمزلوه ، ولكيهم حافوا أن يعيده إليهم بعد أن يقف على بطلان شكواهم منه ، فجمعوا من بينهم مائة ألف درهم وأحضرها دهقان^(١) إلى عمر ، فقال ما هذه ؟ قال هذه أموال احتياها المعرة فأودعها عدى فدعا عمر المعرة فسأله عن جلبه الأمر فقال : **ككذب الدهقان** ، إنما كانت مائتي ألف ، فقال عمر : وما حملك على ذلك ؟ قال كثرة العيال .
فـ **نـقـيـط** في بد الدهقان ، وراح يحلف بأعاط الأيمان أن المعرة لا يودع عنده قلبا ولا كثيرا .

فقال عمر للمعرة : ما حملك على هذا ؟ قال

إنه افتري على فأردت أن أخزيه

الايان وأثره في مواقف الجند

كان لسعد بن معاذ موقف ليس كئله في نصرة الاسلام ، وليس من المبالغة في شيء القول بأنه لولا موقف سعد هذا لما كان أحد يجرم إلا لاقه مادام سيكون مصير الدعوة الاسلامية ، ومتى تطهر بالفرصة التي نبيها لها العور ولا شبر إذا فانتها هذه الفرصة السانحة .

وقد عينا : لما ذكرنا موقفه يوم در حين حرج النبي ﷺ بأصحابه ليلاحق نخاعة فريش ، وتوقع أن تكون هناك حرب بينه وبينها ، وقد علم أنها خرجت لتدافع عن تجارتها ، لقد كانت كثرة أصحابه الذين خرجوا معه من الأنصار ، ولم يكن العهد الذي قطعه الأنصار على أنفسهم من ماصرة الرسول يلزمهم أن يحموا معه خارج المدينة ، فأراد أن يطمئن إلى موقفهم ، فشرح الأمر لأصحابه جميعا ، وكيف أن احتمال الحرب أصبح قريبا ، ثم قال : أشهروا على أيها الناس ،

(١) الدهقان : بضم الدال أو كسرهما مع سكون الهاء لقب رياسة عند الأعاجم

وقف بعض المهاجرين وقال خيراً ، فأعاد النبي ﷺ ما قال ، وظن سعد بن معاذ إلى قصده ، فقال : والله لكانت تريد يا رسول الله

فقال : نعم

فقال سعد : يا أمي ، وأما لك وصدقائك وشهداءك ما جئت به هو الحق وأعطيته على ذلك عهداً ومواثيقاً على الصبح ، جماعة ، فامض يا رسول الله ما أردت معك معك ، هو خير ، يعني ما جئت به هو الحق وأعطيته على ذلك عهداً ومواثيقاً على الصبح ، جماعة ، فامض يا رسول الله ما أردت معك ما تحلف ما رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا عدواً ، إنما نصر في الحرب صدق عند اللقاء ، ليس الله بك مما ما نكره به عليك ، فسر لنا على بركة الله

وقد مرّ النبي ﷺ بمائة سبعة وقال : يا أيها الذين آمنوا الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم

ولما وافق الغمام وأبى فقال جاء سعد بن معاذ بن النبي (ص) وهو

يتوسط صفوف المسلمين وقال :

يا رسول الله ، ألا لي لك عرشاً أكون فيه ، وتعد لك ركنك ثم تلقى عدونا ، فإن أعز الله دعائي وطهرنا على عدونا كان ذلك ما أحسن ، وإن كانت الأخرى جلست على ركنك فلحقت من وراءنا ، فقد تحلف عليك أقوام ، يا سي الله ما نحن أشد لك حياءً منهم ، ولا أخوع لك بعة منهم في الحمد والثناء ، ولو طردوا أمك لم يحرأ ما نخلصو عنك ، إنما طردوا أمها العبيد ، يمدك الله بهم ، ويناصرك ويجهدون معك

فقال عليه الصلاة والسلام : أم يقضى الله خيراً من ذلك ، أي النصر ، ومع ذلك أقيم انبريش على أنه تدبير من سائر الوقاية السليمة ، وكان على قل مرتفع يشرف على المعركة ، وقف على يانه سعد بن معاذ وجماعة من صفوف المهاجرين والأنصار لحراسة الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) أي النصر أو الاستيلاء على نخاعة قريش

الايهان وقاطع الطريق

كان أبو ذر الغفاري في الجاهلية قاطع طريق وأحد الذين يسعون في الأرض فساداً . قال خفاف بن إيماء (١) :

كان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق . وكان شجاعاً ، يهرد وحده يقطع الطريق ، ويعير على الإبل والعاقبة في عمية الفصح عن طهر مره أو عن قدميه كأنه السبع ، ويأخذ ما يريد ، وسمع عن النبي ﷺ في هذه الدعوة ، وهو يومئذ يدعو عتقياً ، فأقبل يسأل عنه

وحاء أبو ذر إلى النبي (ص) في قصة طويلة ذكرتها كتب السيرة ، وطلب أن يعرض عليه الإسلام فأجابه إلى ما طلب ، ثم سأله : من أنت ؟ فقال حدث من غفار .

قال أبو ذر : فرأيت الدمشق والمحب في وجهه لكرمه ، وكان فيهم - أي في قومه عمار - من يسرق الخاج ، وكنت رابع الإسلام ولما أسره أبو ذر قال له النبي (ص) : ارجع إلى قومك فأحرهم واكنم أمرك عن أهل مكة ، فإن أحشاء عليك ،

فقال : والذي نفسي بيده لأصون بها بين طمأينهم

، فخرج أبو ذر حتى أتى المسجد الحرام فبارأ على صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فثار الحوم إليه وضربوه حتى ألقيوه على الأرض فاقتلوا الحراك ، فجاء العباس بن عبد المطلب وبحي فوقفه بظهره لبحيمه ، وقال ويحكم ألسنة تعبدون أمه من عمار ، وأن طريق نحر تمكم إلى أشام عليهم ، وأبقده منهم ثم عاد أبو ذر من بعد إلى مثلها ، فضربوه كما فعلوا بالأعس ، وأبقده العباس منهم كذلك .

وهكذا ما حل لإيمان الصادق بقلب لا جعله كتلة من الصراخنة جريماً على الباطل ، يستعذب العذاب في سبيل الله وإن كان وحده

(١) سر أعلام النبلاء للذهبي الجزء الثاني طبعة معهد المخطوطات العربية ص ٣٨

الإيمان الصحيح في القلوب ، ويثمر ثمرته الصلة من الجهاد وحب إعلاء كلمة الله
 حملوا للقرآن نصراً من أوقاسكم أي يتفوقوا في رواية الجرائد والجلوس على
 أنفاسهم واندهاب إلى الملاهي لقد حررت ما أتم عليه هؤلاء ، خربوا ذلك قليلاً
 قاروا بين إيمان فقراء الصحابة رضي الله عنهم الذين جاءوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حين استعددهم بمروءة نوك بادل كل ما يملكون ، وهي أرواحهم
 ودمائهم ، طالبين منه صلى الله عليه وسلم أن يمدحهم بوارث الحرب فلا يمدحهم الله
 عليه وسلم ويصرفهم ويتركهم ليكون لعجزهم عن تسخير ثقتهم في سبيل الله ، فأزل
 الله في شأنهم ليس عن نصعاهم لا على المصطفى لا على الذين لا يجدون ما يفعلون
 حرج إذا نصحوه الله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله عفو رحيم ، ولا
 على الذين رد ما أتوك لتعلمهم قلت لا أجزم أحداً عليه بولوا وأعينهم بعض
 من الدين حرماً أن لا يجدوا ما يفعلون

هذا هو الإيمان الصحيح وهذه آثاره يدور أرواحهم في سبيل الله فعاروا
 بإحدى الحسنيين في كلا الحاديين ، إن علموا فاروا بشرى نصره ، وعلموا الكلبة ،
 وانفزع بالعين ، وإن قتلوا ما وأبصاه أعلى من هذه الحياة ، ذا الخلود ، يجدون
 فيها ما أخره الله لهم من عظيم الأجر والتكريم

١٠ الإمام أحمد عن السدي رضي الله عنه قال : أنت رسول الله (ص)
 لا أبعه فاشترط على شهادة أن لا إله إلا الله ، أن يمدحهم ورسوله ، وأن أقيم
 الصلاة وأن أؤدى الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم شهر رمضان ، وأن
 أحاهد في سبيل الله ، فقلت ما رسول الله أمّا أنت هو الله ما أطعمهما ، الجهاد
 والصدقة ؛ فإبهم رعموا أن من وى الدين فقد باء بعصب من الله ، فأخاف أن
 يصيرت تلك جشمت نفسي ، كرهت الموت - وأصدقة هو الله ما إلا عزيمة وعشر
 د ، من رسول (أهلى وحمولته) قال فقص رسول الله (ص) يده ثم حرك

() أي أن كل ما هو غيب من العلم ، لا ينال ، والهدوء من الابل قبل هو
 ما بين الثلاث أي لعشر ، وأرس أي ألقى ، أي من ذوات لبن صغار أهلى
 وحمولتها : يحصلون عليها أنقالم

يده ثم قال : فلا جهاد ولا صدقة فلم تدخل الجنة إداً ؟ ، قال قلت أنا أبايعك .
قال فبايعت عليهن كلهن

في هذا الحديث . أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول
التوحيد والصلاة والصيام والحج . وهذا دليل على كذب ~~كثير~~ من مسلمي اليوم
في دعواهم بالإيمان

ولقد اذ في قهر المسلمين إمساكهم المال عن البذل في سبيل الله ؛ فز يعطفوا
على الناس ، ويواسوا المنة . ويطعموا المسكين وصنوا عليهم حتى يحققهم من
رعاية الروح وأمان ، فكثرت حرائم السرفه والتهب ، والاحتيايل والصب حتى
أصبحت في حاجة إلى أن يكون عند كل بيت رجل من البواليس ، حتى تطمش النعموس .
وقد أراد بعض ذوي العيرة لدينه والجنة الإسلامية . أن يفاوضوا هذه
الجرائم بسبب روح الدين ولارشاد من طقات الأمة ليعرف الأعياء واحتمهم نحو
السائل والمحروم ، وبهم الفقراء ما في الصبر من الخير العظيم ، وأسوا لذلك كثيراً
من المواد ، في مختلف الجهات والبلاد . وصاروا يملكون في الجرائد اليومية
والأسبوعية عن مواعيد المحرمات وأما كتبها ، فاعرض عنها الأعياء إلا قليلاً
وافقراء لا يستطيعون إلى الدل سبيلاً ، ولما كان عماد هذا المشروع هو المال
كي ينسى تسديد أحر المسكين والنور المقعد وغير ذلك فقد مات كثير من هذه
ال مواد لامسك المسلمين عن إمدادها لا شتراك الشهري . وما هو وركب ما لكثير
المعجز ، فهو حمسة فوش سحق مثلها يومياً في الدخان وغيره ، فكيف تقوم لها
قائمة بين الأمر ، وقد سدما القانون الإلهي الذي حث على الاساق في سبيل الله ،
ووجد مضاعفة الأجر عليه

ومن بدر قوله تعالى : وألقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . .
تبين له أن الآية صريحة في أن من أمسك يده عن البذل في سبيل الله فقد ألقى يده
إلى التهلكة . أما من جعل النهي عن الافاء في التهلكة حجة للتخلط عن الدواع
فقد غفل

الإيمان والفهم البصير

وهل هناك أهم بصيرة وأخرى غير بصيرة ؟ نعم وإليك هذا الحادث الواقعي
دخلت أحد المساجد المنسوبة إلى جمعة إسلامية شرعة مأمدة لأصل العرب ،
وكانت الجماعة قد انصرفت ، والمسجد أصبح فارغاً أو كاد ، فاستجبت دججه وأقيمت
الصلاة وأحدثت في قراءة الفاتحة جهراً ، روى كاتب العمارة جهرية أكثر من
اللام ، وإذا رجع لمظهر رجل صلى في ليله وفي شكاه ، يصيح ما هذا
الصوت يا الله بتصل ، وطى صوتك

فقطع على حشوه في الصلاة ووجبت صوتي سمع وطاعة

ولما انتهيت من الصلاة قلت له . يا سيدي إن رسول الله (ص) رأى رجلاً
يسرع في صلاته إسراعاً يطلها ، فتذكره صلى الله عليه وسلم حتى أتمها ثم قال له
ارجع فصل ذلك لا تصح وهو حديث صحيح مشهور عند العلماء . فكان الألف
بك أن تصح حتى أصلي ثم تعلى بما عليك الله

فماح وماح وأنا مكنت في غير الموضوع . فقلت له . إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصحابه رأوا رجلاً يقول في المسجد فأراد الصلابة أن يعموه ، فأمرهم
(ص) أن يركوه حتى نال ثم قال له . إن المسجد لا تصلح لشيء من هذا ، إنما
بنيته لذكر الله وإقامة الصلاة .

فيجب قبل أن نعلم بهذه المظاهر أن نتعلم هذه السنة النبوية حتى لا نكون
سبة في حين الإسلام ١١١

إن الإيمان والتقوى يبران لصاحبهما طرق الدين والهدى ، فلا يحطو خطوة
إلا والتوفيق حليمه ، ولا يطلق بكلمة إلا والسادد صاحبه ورفقه . وهذا تصديق
قوله تعالى (إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا)

والفرقان ها هو التمييز بين الحق والباطل ، وبين النور والظلام

القول بالذسخ في القرآن من كمال الايمان

بداية القصة :

في أحد أيام الجمع من أيام ربيع الأول سنة ١٣٨٠ حضرت صلاة الجمعة في دار (أصدر السنة) وكان الخطيب الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، رئيس الجماعة ، وكلمت الخطبة في موضوع الذسخ في القرآن ، وكان التوفيق بحاجته وبحالعه من جهتين : من جهة احتيار الموضوع ، من جهة العادة بالكلام في هذا الموضوع على مدار الجمعة ، ولكن لكل له عذراً ، فقد سبقه سلفه (الخطيب) وجعل إحدى خطبه في مسجد الهداية في موضوع الطلاق ، وهو احتيار غير كريم

درج الناس في القديم والحديث على أن يكون موضوع خطبة الجمعة عظة تؤثر في القلوب ، وتذكر آيات الله ، وتكمل الصدور بما علق بها طوأل الأسبوع ، ويهدوا مثل مباحث الذسخ والطلاق إلا في الكلمات التي يقال بعد الصلاة

هذه واحدة - والجمعة الثانية التي حاليها فيها التوفيق هي إعلان رأيه وما يذهب إليه من إنكار الذسخ في القرآن مطلقاً . ونسكب بأويل آيات الباطنة بالذسخ ، وقد عهدنا به الطلاق والمصاحح والوعى وقوة الحجج إذا تكلم في سمات الصوفية وسعادات الخولية ، أما في هذا الموضوع فكان ظاهر التمسك والاحتباس ، وكان كأنه يصعد إلى مرتقى صعب وعمر .

ولم يكتف بإعلان رأيه حتى أحد يجلب بحمله ورجله في تسميه المخالين له ، في غير إنصاف ولا عدل ، ولما ذكره أحد المصلين ببعض الأحاديث الصحيحة التي ترد عليه ، ضمن في الحديث ورده ، مع أنه صحيح غير مردود .

وهنا مر بياله ما رواه البخاري في صحيحه بما يؤيد الذسخ فيها معجوماً هيباً ، وقال إن المحققين من علماء الحديث ذكروا أن في البخاري نحو عشرة أحاديث غير صحيحة .

وكيف أحب الأستاذ أن يحذف هذا من خطبته لأميرين أحدهما أن هذه

الأحاديث التي أشار إليها قد تصدى لها دكثرة الحديث وسوا صحتها ، وذكروا لها طرقاً وأسانيد أخرى ، ودافعوا عن ليحارى دفاعاً مجيداً
والأمر الثاني أن هذه الأحاديث التي أشار إليها ليس فيها شيء من أحاديث
الصح في القرآن ، وهذا يقطع بصحة أحاديث نسخ هذا الخلف والموافق
وبعد الصلاة نقابلت مع بعض إخواني القديمي ، جماعة عن آخر أن لهم صلة
بالحديث السنن ، كما أنه أن عدم "شجاعة الأدبية التي يستعملون معها أن يعدوا
رأيهم ، وإن خالف رأي الأستاذ الرئيس

نقابلت معهم وسألهم هل أنعمكم ما قبل في حطة الجمعة ؟ قالوا لا قلب :
والعمل ؟ قالوا إن الموقف يحتاج إلى شيء من الحكمة والتريث ، حتى يفيد العلاج
قلت لهم : لا ينبغي عليكم أن تكونوا على سلفة (العظيم) أدى به إلى أن صار
ضائعة يقول ما يقول من لاراء العجوة ولا يمس فيها مناقشة ، ويفعل ما يفعل
ولا معقب عليه ، حتى كره كثير من الخرافة أن يحملوا معه ودرر تده فاته وانصرفوا
عن المسجد ، وأصبح من الواضح اليقين أن المسعد لا يمتلي يوم الجمعة ، بعد أن كان
يضيئ بأعله فتنت الصفوف في حارجه حتى يتهدد البرور عن الناس

• • •

ونحن هنا سناقش الموضوع في أدب ، حتى يعلم من لا يعلم أن رأي الأستاذ
الرئيس في إمكار السج لا يعبر ولا عن نفسه ، وأن رأى الجماعة ورأى أثمتها غير
رأيه ، وأكبر طمى أن الأستاذ الرئيس سيتسع صدره لهذه المناقشة ولا يصعنى
كما صغنى سلفه (العظيم)

سنته سيئته

لقد ظهر في النصف الأول من القرن الرابع عشر عالم أزهري كبير العقل ،
على الهمة ، ولكنه كان قليل الصلة بعد الحديث ، رأى ما عليه أهل الأهر من
الخرود والتأخر ، فخاربه وحارب ، وكان له بعض المريدين الذين لم يحصروا عليه
وم يستمعوا له ؛ ولكنهم سمعوا به وقرأوا له ، وأحدوا يخرجون على الأمة بأراه

وأقوال معشوشة يذهبونها إلى هذا الرجل وإلى غيره من السابقين من يدهون لهم الاجتهاد .

هذا الرجل هو الأستاذ محمد عبده .

وهذا المريد هو الدكتور صدقي .

ومن هذه الأقوال القول بعدم المسح في القرآن .

ومن هنا بدأ ظهور هذه الغريبة في العصر الحديث

ومن هنا جرى الاستناد رئيس الجماعة وراء هذا المراءى دون نزول ولا تحقيق

واعتقد أن الدكتور صدقي لم يكن له من لدرايه والعلم ما يؤهله لمحو من في

مثل هذه الأبحاث ، ولم يكن هذه من الورع ما يجعل رأيه فوق مستوى القسماة ،

ولكنه سأل من بعده المرأة وعدم انتعري للحقائق الثابتة ، بل والتروبر والتدليس

أحياناً ، وعزروا أقواله في ثقات لم تصدر عنهم كما سنبينه

مجلة المنار

ظهرت هذه المجلة بظهور الأستاذ محمد عبده ، وكانت مجلة دسمة لا يهضمها أصحابها

إلا كبار العلماء والمفكرين ، وقليل ما هم ، وحاربها علماء الأهرام نماً لحاربهم

لأستاذ محمد عبده ، فقد كانت تنشر آراءه وأفكاره وتدافع عنها .

ومن هنا قل نوبتها ، وعجزت عن أن تجمع نقادها ، فأخذ صاحبها يعمل

على رواجها ، ففتح في باباً لباحرات ، كما بدأ نشر مقالات للدكتور صدقي طيب

سبحان طره ، وكلها أو أكثرها فيه انحراش عما ثبت في السنة الصحيحة ، وظهرت

فيها هذه النعمة المزدولة : الإسلام هو القرآن وحده ثم

أحاديث الأحاد لا يعمل بها ، الرسول ليس له معجزات غير القرآن إلخ

وكانت حجة صاحب المنار في نشر هذه المباحث : حرية النشر ، حرية الرأي

وقد انتقد عليه بعض القراء نشر هذه المباحث وسكوته عليها ، فاعتذر بعذر

(لا نصفه أداماً مع مقامه) كما في ص ٩٢٠ من المجلد الثامن من المنار

اضبط ...

قال الدكتور صدق ما نصه

« ذهب جمهور المسلمين إلى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير ، واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية وبعض آيات وردت فيه ، وقالوا في المسألة حتى أنهم جعلوا جزءاً عظيماً من القرآن منسوخاً ، ولم يبقوا عند هذا الحد بل رادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالنسخة ، حتى جروا بالتحصوم على الطمس في الكتب العزيز ولكن قنص الله لهم في كل زمن من رد علمهم في أكثر هذه الدعاوى أو في جمعها من علماء الإسلام المحققين ، فقد ظهر من نسخهم من أهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم أن لا نسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذي لا يصلح الرد ، مثل الإمام الشوكاني وغيره ،

وحتم هذا المراء بقوله ، ومن أراد أن يحتاجني في ذلك فعليه بالقرآن وحده ،
ص ٧٧٥ مجلد ٨ منار

هذا نص كلام الدكتور صدق ، وهو لا يريد من نصحه أسطر من صفحات المنار ، ولكنه يحمل في ذمته عدة معالطات كان هذا أسوأ الأثر فيما بعد

(١) زعم أنه قد ظهر في المسلمين (في كل زمن) من أنكر النسخ في القرآن ، ولم يذهبوا أسماهم ، والصحيح أن عبداً كل عصر كانوا يقولون بالنسخ كما سيأتي

(٢) عجز عن ذكر كل أو بعض المنكرين للنسخ إلا الشوكاني ، وقد افترى عليه في ذلك ، وسنقل لك نص كلام الشوكاني من مسيره ، فتعلم أنه يقول بالنسخ مع جمهور المسلمين .

(٣) حتم الدكتور كلمته بأسوأ ما يجتم به رجل كلامه . فهو يدعو من ينكر عليه رايه إلى الاحتجاج بالقرآن وحده . أما السنة ولو صححت فلا يقيم لها وزناً

(كلام الشوكاني)

قال الشوكاني ج ١ ص ١٠٧ (ما نسخ من آية أو ناسها مات بحبرها أو مثلاً)

الفتح في كلام العرب على وجهين (الوجه الثاني) الإبطال والإزالة ، وهو المقصود هنا ، وهذا الوجه الثاني يقسم إلى قسمين عند أهل اللغة : أحدهما إبطال الشيء ورواله وإقامه آخر مقامه ، ومنه : فسحت الشمس الظل إذا أدهته وحلت محله ، وهو معنى قوله (ما نفي من آية)

وقد اتفق أهل الإسلام على ثبوت مدعى وحلتها ، ولم يخالف في ذلك أحد ، لا من لا يعتد بخلافه ولا يؤيد لقوله

وقد اشتهر عن اليهود أقدم الله بكاره ، وهم يحوجون بما في التوراة ومعنى (بات مخبر منها أو مثلها) فأتى بما هو أضع للناس منها في العاجل والأجل أو في أحدهما ، أو بما هو مماثل لها من غير زيادة

ومرجع ذلك إلى أعمال النظر في المسوح والناسخ ، فقد يكون الناسخ أحسن فيكون أضع من في العاجل ، وقد يكون أفضل وثوابه أكثر فيكون أضع من في الأجل ، وقد يستويان فتحصل المنة

وقوله (أم نعم أن الله على كل شيء قدير) يفيد أن النسخ من معدوداته وأن إنكاره إنكار للقدرة الإلهية . أم

هذا كلام الشوكاني وهو صريح في القول بالنسخ ، بل أشار إلى أن إنكار النسخ من عمل اليهود

ونكتني بهذا في بيان ريب كلام الدكتور

أما رئيس الجماعة فهم له ، بل ما سبق - كلامه المأثور أن كثير وهو من أئداد ابن القيم وتقليد شخ الإسلام ابن تيمية

قال ابن كثير ج ٢٧٥ طبعة المنار :

(ما نسخ من آية أو ناسخا بات مخبر منها أو مثلها) أي في الحكم بالنسخة إلى مصلحة المكملين كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (بات مخبر منها) يقول خير لكم في المنفعة وأرفق بكم وقال أبو العالبيه ، ما نسخ من آية ، فلا يعمل بها

وقال قتادة (أت محير منها أو مثلها) يقول آية فيها تحفيف ، فيها رخصة ، فيها أمر ، فيها نهي

وقوله (أذ تعز أرب) لله على كل شيء قدير ، أذ تعز أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (يرشد عباده تعالى هذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء ، فله الخلق والأمر ، وهو المتصرف ، فكما خلقهم كما يشاء ، ويمسك من يشاء ، وبشيء من يشاء ، كذلك يحكم في عباده بما يشاء ، فيجعل ما يشاء ويحرم ما يشاء ، ويبيع ما يشاء ويحظر ما يشاء ، وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويختار عباده وطاعتهم لرسوله بالغش ، فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ، ثم يهيئ عنه لما يعلمه سبحانه وتعالى .

فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره وإباح رسوله في تصديق ما أوحوا ، واعتزال ما أمروا ، وترك ما عنه زجروا .

وفي هذا المقام رد عظيم ومبين يسلح لكفر اليهود وتزييف شهتهم أنهم الله في دعوى استعالة النسخ ، إما عقلا كما عهدهم جهلا وكفرا ، وإما نقلا كما تخرجه آخرون منهم افتراء وإفكا

قال الإمام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله :

فتأويل الآية : أذ نعم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانها دون غيري ، أحكم نسما وفيها نسما بما أشاء ، وأمر فيهما بما فيها مما أشاء ، وأنهي عما أشاء ، وأمسح وأبدل وأعير من أحكامي التي أحلها في عبادي بما أشاء إذ أشاء

ثم قال وهذا الجبر وإن كان خطأ من الله تعالى لكنه ^{مفهوم} على وجه الجبر عن عظيسته ، فإنه من جن نأوه تكذيب اليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة (قلت - أي إن كثير) الذي يعمل اليهود على البحث في مستأنة النسخ إنما هو الكفر والعباد فإنه ليس في العقل ما يدل على إصباح النسخ في أحكام الله تعالى ، لأنه يحكم ما يشاء ، كما أنه يفعل ما يريد ، مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة

وشرائعه الماضية - إلى أن قال ما نصه : . والمسلمون كلهم متفقون على جوار
النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة الباعية ، وكلهم قال بوقوعه
وقال أبو مسلم الأصماني المفسر : لم يقع شيء من ذلك في القرآن ، وقوله ضعيف
مردود مردول ، وقد نصف في الأجوبة عما وقع من النسخ ، من ذلك قضية العدة
بأربعة أشهر وعشر بعد الحول ، لم يجب عن ذلك بكلام مقول ، وقضية تحويل
القبة إلى الكعبة عن بيت المقدس ، لم يجب شيء . الخ الخ
هذا كله كلام الحافظ ابن كثير ، وهو قد نقل كلام إمام المفسرين ابن جرير ،
وهو صريح في وقوع النسخ

كلام القرطبي

والقرطبي ومقامه بين المفسرين كبير - نكلم عن آية (ما نسخ) في ٨
صفحات كبار (٦١ - ٦٨ ح ٢) ما يعنى تمام ما مع ما نقلناه سابقا ، ولا حاجة بنا
إلى نقله كله . حيث يطول ما الحديث ، ولكننا نكتفي منه بما نصه :

(ارامنة) أنكرت طوائف من المنتسبين للإسلام المتأخرين جواره : وهم
مجموعون بإجماع السلف السابق على وقوعه في تشرهفهم . وقد صرح الحارثي
المتوفى سنة ٥٨٤ هـ في مقدمة كتابه ، الاختصار في النسخ والمسح من الآثار ،
بوقوع النسخ في القرآن كما صرح بذلك الإمام الشافعي ، ولم يعارض إلا في نسخ
القرآن بالحديث ، وكذلك ابن القيم

فإن كان الأمر أمر بصوص فقد أشيعوا أبحاثهم بالصوص ، وإن كان الأمر
أمر بهم وإدراك فلا شك أن هؤلاء لأنهم أصبح فيها وأقوى إدراكا من سواهم .

.....

وليس في وسعي أن أقتنى جميع كتب التفسير حتى أنقل منها اتفاقهم على هذا
الأصل وهو وقوع النسخ في القرآن . ما كنتي بما نقلت عن هؤلاء الأئمة ، وأنتقل
إلى الكلام على الآيات التي تعرض لها رئيس الجماعة بالتأويل الذي أخرجها
من ظاهرها

(فتاويل حرام على غيرنا وحلال لنا)

فعلت من شينى (بحق) العلامة أن الصبر أن الكلمة قد يكون لها في لغة العرب عدة معان ، ولكن إذا جاءت هذه الكلمة في سياق ما فلا بد أن يكون معها ما يبين المراد منها ويحدده ، فلا يكون القارئ في أمر مريب ، خصوصاً إذا كانت هذه الكلمة ضمن آية من القرآن فلا بد من وجود المنس ، لأن القرآن جاء للهداية لا للاضلال

فتلا كلبه ، يد ، تطلق في لغة العرب على الثمة وعلى الجارحة للحلوق ، تقول لعلان عندي يد أى له عدى معروفاً وجمعة فإذا جاءت كلمة يد ، في سياق ما فلا بد أن يكون معها ما يبين المراد منها ، فإذا وصفت لها المعنى الثانى في هذا السياق فقد أهدت وأحطت ، إذ لا يترى من صلاحية اللفظ لمعنى ما ، في تركيب ما ، صلاحيته له في كل تركيب

ولنفصل في الموضوع

استعمل الأستاذ رئيس الجماعة عدة ألفاظ مرأى أن كلبه (آية) تطلق على الآية القرآنية ، وعلى الآية الكونية ، فراح يزول جميع الآيات التى صادى بالمدح بأنها الآيات الكونية (المصحات) وبأنها طبع تنعيم ، تبدل بها المصراع أصحابها ، أما أن آية قرآنية تغير حكم آية أخرى فلا

ويمحى ربه أن يكون من المصممين ، وذكر سياق الآيات القرآنية التى تقول بالنسخ فيظهر الحق جلياً دون إرهاب .

١ - قال تعالى في سورة البقرة (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من قبل ربكم ، والله بمحض رحمته من يقضاء ، والله ذو الفضل العظيم ما مسح من آية) الخ

٢ - وقال تعالى في سورة النحل (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . . . وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قلوا إنما أنت مفسر بل أكثرهم لا يعلمون)

سياق هذه الآيات صريح في نسخ القرآن ، القرآن ، فضلا عن أنه قد جاء فيهما
كلمة (يرل) وهذه لفظة تتحدد معنى التبدل والنسخ في الآيتين بأية التمييز ، وبأن
لفظة الآية فيهما يراد بها آية قرآنية إذ لا يبعد في أسلوب القرآن أن يستعمل لفظة
(يرل) في الآيات الكونية ، وذلك الدليل ، قال تعالى .

- ١ - ذلك بأن الله يرل الكتاب بالحق (الفقرة)
- ٢ - يرل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه (آل عمران)
- ٣ - آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي يرل على رسوله (النساء)
- ٤ - وقد يرل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم نيات الله يكفر بها
- ٥ - إن ولي الله الذي يرل الكتاب (الاعراف)
- ٦ - تبارك الذي يرل الفرقان على عبده (الفرقان)

(نيات منسوخة عند جمهور العلماء)

١ (والذين يتوفون منكم ويدرون أرواحا وصية لأرواحهم متاعا إلى الحول
غير إخراج) الخ

قال ابن كثير (ج ١ ص ٥٨٦ طبعة المنار)

قال الأكثرون هذه الآية منسوخة ماثي قلبها وهي قوله (والذين يتوفون
منكم ويدرون أرواحا يتوصى بأنفسهم أربعة أشهر وحشا)

قال البخاري . حدثنا أمية حدثنا يزيد بن ربيع عن حبيب عن ابن أبي مليكة .
قال ابن الزبير : قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويدرون أرواحا وصية
لأرواحهم متاعا إلى الحول) قد نسختها الآية الأخرى فلم يكتبها أو قدعها ؟ قال
يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه
قال ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية :

ومعنى هذا الإشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان : إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة
الأشهر ، فما الحكمة في إعاد رسمها مع . وال حكمها ، وبقاء رسمها بعد أن نسختها

يؤم بقاء حكمها؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي وأما وجدتها منته في المصحف كذلك بعدما فأنتها حيث وجدتها

(أقول) ومحل الشاهد أن هؤلاء لصحابة كانوا يقولون بوقوع النسخ في القرآن

٢ - (إن يكن منكم عشرون صابرون يطولوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يطولوا ألفاً من الذين كفروا بأهم قوم لا يفتنون الآن حصف الله عنكم وهو أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يطولوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يطولوا ألفين يا ذن الله)

قال الحافظ ابن كثير (ج ٤ ص ٩٢ طبعة المار)

ثم قال تعالى مبشراً للذين آمنوا وأمرأ (إن يكن منكم عشرون صابرون يطولوا مائتين) كل واحد عشرة ، ثم نسخ هذا الأمر وتبقيت الإشارة .

ثم قال . وقال محمد بن إسحاق . حدثني ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال : لما رلت هذه الآية نقت عن المسند وأعظموا أن يقابل عشرون مائتين ، لحصف الله عنهم فأنسخها بالآية الأخرى فقال (الآن حصف الله عنكم)

خاتمة البحث

نكتفي هذه الأمثلة على وقوع النسخ في القرآن ، وليس من هنا استقصاء عدد الآيات الماسحة حيث أن هذا ليس موضوع الكتاب

وقد شنع الأستاذ رميس الحماة على القائلين بالنسخ بما وقع بينهم من خلاف ، حيث أن البعض حدد الآيات المسوخة بعدد معين ، وحددها آخرون بعدد آخر ، ونحن نسمنا أن يسم معنا الأستاذ بوقوع النسخ ، ثم يجتهد في هذه الآيات ، فما أداه اجتهداه إليه قرره ، فما على المحسن من سهل

أثر الإيمان في نفوس الصحابة

روى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال كنت أسقى أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة الأنصاري وأبي بكر شرباً من فصيح (نوع من الخمر) فقاموا فقالوا - إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة قم يا أنس إلى هذه الجرار (أواني الخمر) فأكمرها ، فقمتم إلى مهران لما نصرتنا بأسلحة حتى كسرتها

وأحب للقاري أن يتأمل هذا الحديث من جهتين الأولى أن هؤلاء الصحابة كانوا يشربون الخمر - قبل تحريمها طعناً - وأحر من أمسيات التي يصعب على متعاطيها ركبها ، ولكن هؤلاء الكرام لم يلبثوا حين جاءهم حبر التحريم أن تركوها وكسروا آلتها ، وما ذلك إلا من أثر الإيمان في نفوسهم

(الجهة الثانية) أن الذي جاءهم وأحرمهم رسول تحريم الخمر ومعه مقتضى حرمه هو - جل واحد - وهذا دليل مضمّن لمن في قلبه عرج ، وفي صدره عرج ، من أحبار الأحاد ، وقولهم إنها لا تفيد العلم

قال ابن القيم ، ووجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قول حبر التحريم حيث ثبت به التحريم ما كان حلالاً ، وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله ﷺ شهادتها وأكد ذلك بقبول إتلاف الإماء وما فيه ، وهو مال ، وما كان يقدم على إتلاف المال بحبر من لا يميده حرمه العلم عن رسول الله ، ورسول الله إلى جبهه ، فقام حبر ذلك الآن معه ، وعند من معه مقام السباع من رسول الله ﷺ بحيث لم يشكروا ولم يهابوا في صدقه ، والمتكفرون يرفعون أن مثل ذلك الحبر لا يعيد العلم لا بقربة ولا بغير قرينة . اهـ

وقد نشرت مطبعة الإمام قريبا كتاب قيم في الذب عن حديث رسول الله (ص) وهو بأفلام بعض جهالة السنة في هذا العصر سميناها (دفاع عن الحديث السوي وتفنيد شبهات حصومه) وهو ردود قوية على كتاب طهر قريبا ينكر حججة الحديث ويسى أكثره آحادى .

حظ المرأة من هذا الكتاب :

الإيمان وآثاره

عند زوجة عمر بن عبد العزيز

لا يهونا أن يحلى هذا القسم من كتابنا بعض آثار الإيمان عند بعض النساء .
بين الإيمان كما عمر قلوب الرجال ، كذلك سكن في قلوب النساء .

وليس معنى اقتراح هذا القسم مدح عمر ، ووجه عمر ربه الله برأيه فسينا عمر
نفسه ، وإنما ركناه لأنه أكرم من هذه الصفحات ، ولأننا نشرنا سيرته بالتفصيل
قريباً للإمام ابن الجوزي

وهذه البدة عن ربيعة عمر كتبها الأستاذ محب الدين الخطيب في مقدمة كتاب
(آداب الزفاف في السنة المطهرة) قال

إن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان كان لأبيها - يوم تزوجت - السلطان
الأكظم على الشام والعراق واليمن وجزيرة العرب والسند وافيقياس والفرج وما
وراء البحر إلى بحار وجنوة شرقاً ، وعلى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر
والعرب الأقصى وإسبانيا غرباً ، ومكة فاطمة هذه بنت الخلقة الأكظم وحسب
بلى كانت كذلك أحت أربعة من خول خلفاء الاسلام ، وهم الرشيد - عبد الملك
وسليمان بن عبد الملك وريد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، وكانت فيما بين
ذلك ربيعة أكظم حليفه عمره الاسلام بعد خلفاء الصدر الأول وهو أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز

وهذه الشهادة التي كانت بنت حليفه ، وربيعة حليفه ، وأحت أربعة من الخلفاء ،
خرجت من بنت أبيها إلى بنت زوجها يوم رقت إليه وهو مثقف بأئمن ما تملكه
امرأة على وجه الأرض من الخلق والنحوهرات ، وبها إن من هذه الخلق فرط
ماريه اللذين اشتهرا في التاريخ ، وتبعى بهما الشعراء ، وكابا وحدهما يساويان كبراً .

ومن فصول القول أن أشير إلى أن عمرو بن عبد العزيز كانت في بيت

أيها تعيش في نعمة لا تعلم علما عيشه امرأة أخرى في الدنيا لذلك العهد ، ولو أنها
استمرت في ست زوجها نفس كما كانت تعيش قبل ذلك لفلأ كرشها في كل يوم
وفي كل ساعة بأديمها كولات وأندرها وأعلاها ، وتتم نفسها بكل أنواع العيم
أي عرفة البشر ، لاستطاعت ذلك ، إلا أن لا أذيع بحولا من الدس إن قلت ،
إن عيشه الدج والترف قد نصرها في نحتها من حيث يسمع بالعافية المعتدلون ،
وقد مكسبها هذه العيشة الجهد والجد والكرامة من أهل العاقبة والمقدمين ، رد
على ذلك أن العيشة مهما اختلفت ألوانها تكون مع الاعتد مألوفة ومملولة ،
والذين يلغوا من العيم أقصاه يصطدمون بالعاقبة عندما تطلب أنفسهم ما وراء ذلك
فلا يجدونه ، سيما المعتدلون يعمدون أن في مشاغل أيديهم وراء الذي هم فيه ، وأهم
يجدون في شأوا ، غير أنهم احتاروا الجرد منه ومن سائر الكماليات ليكفوا
أرفع منها ، وليكفوا غير مستعدين لشهواتها

ولذلك احتار الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز - في الوقت الذي كان فيه
أعظم ملوك الأرض - أن تكون حقه بينه أصمه ذراع في اليوم ، ورصيت بذلك
زوجته الخديجة التي كانت تحت خدمته وأحت أربعه من الخلفاء ، فكانت مضطرة
بذلك لأنها تدوقت دة القناعة ، وتمتعت بحلاوة الاعتدل ، فصارت هذه اللذة وهذه
الحلاوة أصب لها وأرضى نفسها من كل ما كانت تمره قبل ذلك من صوف
الدج والوان الترف

من أفرح علما زوجها أن ترفع عن عمله الطغولة وتحرج عن هذه الألاهيبة
والنفاس التي كانت تفرحها أدبيها ، عبقها وشعرها ومعصبيها بما لا يسمن ولا
يمنى من جوع ، ولو بيع لأشبع ثمه بطون شمت برجله ومسانه وأحماله ،
فاستجابت له واستراحت من أهمل الخبي والمحوررات وللأى والدرر التي حملتها
معها من بيت أبيها ، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين

ونرى عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولم يخلع بزوجته وأولاده
شيئا ، فجاءها أمين بيت المال وقال لها إن بحر ترك يا سيدتي لا تزال كما هي ،
وإن عبرتها أمانة لك ، وحفظها لهذا اليوم ، وقد حثت أمتأذيك في إحصارها ،

لأجاسته بأها وهنتها لبنت مال المسلمين طاعة لأمر المؤمنين ، ثم قالت : وما كنت لأطيعه حياً وأعصبه ميتاً ، وأبت أن تسترد من مالها الخلال الموروث ما يساوى الملايين الكثيرة ، في الوقت الذي كانت محتاجة فيه إلى درهمات ، وبذلك كتب الله لها الخلود . وها نحن نتحدث عن شرف مصداق ورقيع مبرتها بعد عصور وعصور ، رحمها الله وأعلى مقامها في حبات النعيم

الخنساء

وهذه سيدة أخرى (الخنساء) وضى الله عنها تدفع بها الأرملة إلى القتال في سبيل الله ، وترعهم فيه بعارات تشجع الحان ، بل تحرك أحماد ، فقد روى ابن عبد البر عن الزبير بن بكار أنها شهدت حرب القادسية ومعها أربعة نساء لها ، فقالت لهم من أول الليل : يا بني إناكم أسيرة طائمين ، وها نحن مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو إناكم لسو رجل واحد ، كما إناكم سو امرأة واحدة ، ما نحن أناكم ، ولا مضحت خالك ، ولا مخنت حبيبكم ، ولا عيرت نسبكم ؛ وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وراغبوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فإذا أصبحتم إن شاء الله سالمين ، فاعدوا إلى قتال عدوكم من نصري وفاقه على أعدائه من نصري ، وإذا رأيت الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لطي على ساقها ، وحلت راعي أرواقها ، فيمضوا وطيسها وحالفوا رتبها عند احتدام حمسها ، تطمروا بالعم والكراة في دار الحلد والمقامة فلما كان القتال في العد كان يهجم كل واحد منهم ويقول شعر يذكر فيه وصية المجور ويقاتل حتى يقتل

فلما بلغها خبر قتلهم كلهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو رب أن يجمعني بهم في مستقر رحمة

أسماء بنت أبي بكر

هي أسماء بنت أبي بكر ، والدها أبو بكر ، أول من دخل في الإسلام ، ودافع
عن الرسول ، وصاحبه في الهجرة ، وصلى الناس في مرضه الأخير ، وتولى
الخلافة بعد وفاته .

أخت أم المؤمنين عائشة لأبيها ، وشقيقة الصحابي هذافه بن أبي بكر ، وروح
الريز من العوام ، وأم العليفة الشهيد هذافه بن أرمز
أسلمت مع أختها عائشة ، وهما يومئذ صديرتان ، بعد أن أسلم قلما ثمانية عشر
من العرب ، وتعد أسماء بذلك من السامعين في الإسلام
شمت قوية الإيمان متمسكة بدينها ، منعة نعالجه بعيدة عما يعرض الله ورسوله ،
يشهد بذلك ما روى من أن أمها جاءت إليها بدينة - وكانت لا تزال من دين
قريش ، ولم تؤمن بمحمد - وردتها - ولما ألحت عليها ذهبت أسماء إلى النبي عليه
السلام وأخبرته قائلة :

يا رسول الله بن أبي قدمت إليك وهي راعية . أفاصلها ؟ وهل قوله تعالى
(لا إنما كم الله عن الدين لم يقاقلوكم في الدين ولم يحرجوكم من دياركم أب تروم
وتفسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)
فقال لها الرسول : نعم . رضى أمك .

...

تزوجت أرمز من العوام ، وتخلت معه شطاف لعيش ، ثم تركها وهاجر إلى
الحشة حينما زاد اضطهاد المشركين لمحمد وأصحابه مكة ، ولكنه ما لبث أن هاد
إليها ليستعدا للهجرة إلى المدينة وهناك أقاما شراب وكان الزبير معدما ، ماله
شيء غير حمله الذي يستقي عليه ، وغير مرضه فكافت بفت الصديق تقوم بعلف
مرضه ، فإذا فرغت خرجت تملأ الماء ، ثم تعود لتصلح من أمرها وكانت لا تحسن
المسح فتستعني بجاراتها من الأنصار ، فإذا انتهت من حمل البيت انطقت إلى أرض

الزبير التي أقطعها إياه رسول الله - وهي على ثلثي فرسخ من الدار - لتعمل بها ، حتى إذا غابت الشمس عادت إلى دارها ، لتحضن بها عبد الله

روى أنها حملت الولي من أرض زوجها يوما وانطلقت إلى الدار ، وفي الطريق قابلت رسول الله ومعه نفر من الأنصار ، ورأى النبي حملها بها ، أن يحملها على راحلته حلقه ، فهتف أسماء ، ثم قال لعبد الله ، اح - اح ، ليديح لعبد الله

واكر أسماء لم تتقدم ، فلقد ذكرت شدة عبدة الزبير ، فعرف رسول الله أنها استعيت أن تسير مع الرجال

. . .

اشتركت مع المسلمين في الجهاد ، وذهبت لتعزو مع الرجال ، وشهدت البرموك فلقد تجهزت للحروب مع زوجها الزبير ، ووقفت مع النساء ويدها سيف مشهور تعد أمر القائد خالد بن الوليد الذي أسر النساء أن يقتل كل مسلم يولى من المعركة فلما تبقت القتال ، وانتهز الناس ، ولطاردت الفرسان ، واستمرت رحي الحرب دائرة ، وأحد النساء بصرى من اهزم من المسلمين بالحشب والحجارة كانت أسماء تصيح في الرجال ، وتحبهم للقتال - لحصل الرجال من الفرار ، وغادوا إلى المعركة وقد عرفوا على الموت أو النصر فاهزم الأعداء - ورأى النساء هذا فاستلقن للاشتراك في الجند بصرى من كل من وقع فيه من الكفار

عاشت هذه أسماء مقامها في المدينة بين التعليم والهدى والعبادة ، تفقه الدين عن رسول الله ، وأما ابن مكر ، وأختها عائشة أم المؤمنين

كانت جراحة كثيرة العطاء لا تعرف لعدوها حساء ، تنفق ما يأتها بحلة صادقة وطبيعة سمحة ، تمرص المصلحة فتعق كل مملوك لها ،

يقول الزبير بن العوام ، ما رأيت قط أجود من أسماء وعائشة ، وجودهما يختلف أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وصحته مواضعه ، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لعدو ،

ولعل أسماء دور خالد في هجرة الرسول ، ويذكر التاريخ بالعجز موقوفها

العظيم فلقد بلغت محنة لاصطهاد أنفسها ، ولسل المسجون ناعا من مكة ، وصبق الكفار على ارسول الخفاق في ليلة حرجة . وكان الموت قاب قوسين أو أدنى . وفي كل لحظة ينظر القوم فيطيشون لوجود الذي مكانه ، ويحسون أن ساعة الخلاص قد قرئت . وقد اجتمعوا لها من كل قبلة . ولكن شامت الوجوه ، وعميت الانصار ، وحرح ارسول من بهم ، واتخذتا طريقهما إلى غار ثور بأسم من مكة .

شعلت أسماء بتدبير الطعام ، فكان إذا حن الماء انطلقت به ، ومارعم من أن قريشاً كانت منتشرة في كل مكان تبحث عن محمد ، إلا أنها استطاعت أن تؤدى مهمتها في خفاء وحرص من منقطعي النظر .

منى اركب متجها إلى المدينة ، وعادت أسماء إلى البيت . وما كادت تستقر حتى طرق الباب ، فقامت بثقة معه من الخس ، قامت افتح الباب ، فإذا بها أمام وجه أنى جهل وقد صهرت عليه علامة الحمد القديم ، وهم أن يدف عليها الكلام . ولكنها تكلمت الابتنام والحدود .

جهل أبو جهل يسأل أسماء عن أسماء . ويلج في السؤال عن محمد ، ولكنها لا تعرف أن هو الآن أحد يهددها ويتوعددها ولا تستضع أن يعرف شئ منها . وطال سؤال أبي جهل في تحولت أسماء ، فأحد يهدد ويتوعد وحرح عن صورته لما أهنته الجبل وأهوى بكفه المظ على وجه أسماء . رضى الله عنها بلطفه صيرت فرطها وسال الدم من أذننها .

كسحت عظمها واعتصمت بإيمانها ، ثم دخلت وأرصدت الباب ووجهه

(أسماء وولدها عبد الله بن الزبير)

حملت عبد الله في أرحح ساعات المسلمين . وقامت بأعب أدوارها وهي مثقلة به . ثم هاجرت إلى يثرب لتطره بين يوم وآخر . ولما ولدته عككت على تربيته . وهي ترجو أن يكون كجد وأحواله وأبيه . فصبغ نغياً ورعاً شجاعاً . عليه أبوه القتل والصالح ، ومره على الصبر في الجهاد ، وكان يحمله حمله في

المجوم ويصره بأساليب الكر والفر ، ثم تركه رجلاً قوياً جليداً
عاشت أسماء بحبابه — بعد أن تركت بيت الربير — معززة مكرمة فأحبته
وتعلقت به ، ولم كان مرحها يوم أن حصنت له جبل البلاد ، ودانت له بالخلافة
وأصبح بلقب بأمير المؤمنين .

وم تسترح أسماء كثيراً من جهة أسب . قالت الخصاص أن ألب عليه الامصار
وذهب إليه في حاضرة ملكه ، وحاصره ، وصيق عليه الحقيق فأمره ذلك وآله أن
تري أمه نهايته

وعند الله بهذا كان يحس نهايته ، فلقد صر هي حصار احتياج أكثر من صفة
أشهر في غير حصن ولا معه ، ومن غير طعام ولا شراب إلا ثمر رمزم وحده
أسماء وما عادوا يعيرون صبراً على الحرب والقتال ، فلا تمر ساعة إلا ويخرج أهل
مكة إلى الخصاص يطلبون الأمان ، ولا تمر لحظة إلا ويسأل الناس : أفضى الله
أمراً كان مفعولاً ١٤

أذن سعد ، مؤذن لحليفة ابن الربير للمعمر ، واجتمع الناس في المسجد ،
وتقدم عبد الله بن أبي بكر ، ثم استأذن البقية الباقية من أسماء أن يودع أمه
وأسماء بفت أن بكر .

دخل عليها ، وإياها امرأة صالحة عجوز عمياء ، صوالة كأنها مريحة في ثيابها ، وقد
أمسكت بمصافق الباب ، تصرف وجهها إليه حديثاً انقل ، تبعده وثنيه ،
نادبه وتقول له : يا عبد الله ، يا بني ، أما أمك التي حبلك ، وإني احفستك ،
لأنني ولا تمنع ، يا بني انذل مبهجة نفسك ، ولا تبتعد إلا من النار ، يا عبد الله
لا تبتعد إلا من النار ! أشهدك الله ،

الشرك ومظاهره

أما بعد : فإن حق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، وأن نسبة الشرك من التوحيد نسبة الليل من النهار ، والمضى من الأضداد ، يعرض للأمم الموحدة كما يعرض الطلام للضياء ، ويطرأ عليها كما تطرأ الأسقام على الأجسام غير أن الطلام باعث قوم الأضداد لإعادة الراحة للأشباح أما الشرك فعلة قوم الضمائر الموجب لشقاء الأرواح ، وإذا كان حائط الصحة بالعداء والدواء ، فإن حائط التوحيد بالعداء والدعوة ولا يحيط لتوحيدهم كهر الكتاب والسنة ، ولا تجعل للشرك دعوة كالدعوة بأسلوبهما

وقد سررت أعصر أهل جل العداء فيها شأن الدعوة أو حدودها فيها عن أسلوب القرآن والحديث ، فمن جمهور المسلمين عقائد الإسلام أو حتى عليهم ما ينافيها ، وطال عليهم الأمد ، فطرأ عليهم ما حراً على لآدم قلبهم من عقائد رثة وبدع سائفة ، حتى طموا الإسلام حديبه تمشي مع الأساب ، لأنه عقائد وآداب تنال بالتلفين والاكتساب ، فإن من الله عليهم عن يتلو عليهم اسكتد ويمطهم بآياته كانوا أشبه حالاً بالدين وصهم الله بقوله (وإذا تلى عليهم آياتنا بدأت تعرف في وجوه الذين كفروا اسكر يكادون يسطون ليس يتلون عليهم آياتنا) بل كم سطوا وبفسادهم اغتبطوا .

أضحت أمة حاتم النبيين إلى ما أضحت إليه أمم الأساء الأوائل ، فكانوا كالذين أدبوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ففتت قلوبهم وكثير منهم فاسقون ، وكاد دين الإسلام يعتري الأديان قبله ، فتضنى بدع أهله على سننه وتغشاها ، لولا ما حص الله به هذا الدين من حائطه يحفظ كتابه ، وبقيام علماء ربانيين على تبليغه قال تعالى (إنا نحن ربكم الذكر وإنا له لحافظون) وقال صلى الله عليه وسلم ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم

طاهرون ، أخرجهم الشيطان ، وهم ليجري هذه الضممة بأهل امر ، وقال أيضا
 ، إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، رواه
 أبو داود والطبراني في الأوسط وصححه الحاكم واعتمده الأئمة

الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره

الإنسان جسم وروح ، وهو بحسبه صلب من عالم الشهادة يميل إلى كل ما هو
 جسيما من عالم المادة من وسائل الكسب ونس ، وهو بروحه يورث من عالم
 العيب يطلب ما هو روحاني معقول من علم ودين ، فالإنسان بحسبه يهوى دينا
 وعادة ، وروحه يحب دينا وعادة ، وخصه من الكمال على مهب نأيمه بن حزميه
 المتضادين وتوفيقه بين مظاهرها بحسبه ، وفي الكتاب العزيز (وتفتح فيها آيات الله
 الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

وعن أس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس بحجكم
 من ترك دينه لآخرته ولا آخرته لدينه حتى يصب منها حبا فان الدنيا دلاء إلى
 الآخرة ولا تكونوا ظلا على الناس ، رواه البيهقي والخطيب وابن عساکر في
 تاريخهما كما في الحاشي للسبوطي ٢١ ٢٠٢ ، وكشف الخفاء للأجلوني (١٦٩٠)
 وانقطع الإنسان إلى مطاب روحه بإصرار بدنيته يفقدها القوة التي تعفظ
 لها ساداتها على ما حولها ، وتدمرها الكسل الدنيوي ، مما نوعها ، وما صح معناه
 وإن لم تصح لسته من رسول صلى الله عليه وسلم : لا رهبة في الاسلام

وعن أس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن لكل أمة رهابة
 ورهبة هذه الأمة الجهاد في سبيل الله ، أخرجهم أحمد والحكيم الترمذي في نوادر
 الأصول وأبو يعنى والبيهقي في شعب ، أما في الدر المنثور للسبوطي ٦٥ ١٧٨
 واكتفاء الزمر بمراعب جسمه يذهب ميرة إلهيه عن قيمة الحيوانات وما يحقها
 باليهائم والعمجوات ، بل يصعها دون رتبة الأنام كما قال تعالى (أرأيت من اتخذ
 إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعلمون
 إن هم إلا كالأنام بل هم أصلا سبيلا)

على أن لا يقطع لحمة الروح والامراط في لتعد بما يقص عروجه للانسان ،
والذى يطلب عليه هو ما يتفق وحجاسه بما ياله الحس ويحويه عا الشهادة ، فتجد
أكثر الناس قافراً للهم الذي يصنع روحه بعام الغيب ، ومن فاه ذلك العبر إما أن
يكر الدين والمباداة يكون دهر ، وإما أن يمثل معوده في صور مادية حسية
يخضع لها روحه فيكون مشركاً ، كما قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله
إلا وهم مشركون)

وروى أحمد بن أبي موسى الأشعري أن رسول الله (ص) خطبهم ذات يوم
فقال . يا أيها الناس امروا هذا الشرك فإني أحق من ذهب ائبل ، فقال له من شاء أن
يقول . كف تنقيه وهو أحق من ذهب ائبل يا رسول الله ، قال قولوا اللهم إنا
نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، واستمعك لما لا نعلمه . فله من كثير
في تفسيره وذكر معه روايات أخر في معناه (١٨٦٠٤) وسرى - إن شاء الله -
مصدق ميل الانسان إلى المائد والشرك في المصالح التي تعرض فيها لعروض الشرك
في الأمم حكم الطسعة يعرى ، والشرك ، وهو شرابه يدعو إلى مزيد التيقظ في
التحفظ منه ، وتاريخ الأدبار يكشف عما في ذلك من تسويل الشيطان
وخذع النفس

اعلمك لا تجد في عبوب النفس ونفائض الانسان ما يهمل في الشرك في اقتضاء
طسح المتدين له . حواء مساهمة إلى عبادة وطاق المتأولين عنه . مكان إماما على من
يتم سعادته في امدار النافية أن يدري حاجته الشديدة إلى معرفة الشك ، مظاهره
وأن يعنى كل الاعتناء البحث عن كل درمة في هذا لده لتسه أمانا تمام فلا
يسرى إلى حباه ولا يعلق بلسانه ولا يظهر على شيء من أكا به . وكان من آيات
المرشد الصوح ، وأحضر مظهر نصحه أن يحسن أولى ما يتقدم به إلى العامة وأول
ما يفرغ به أسماعهم التحذير من الشرك ومظهره وبيان مديله وأنواعه ، ثم الصبر
على ما يلحقه لذلك من أذى جاهل محمس ومعرض متعصب وصال متأول
إن القرآن العظيم يقص عنه في حلاه . ووصوح أن أول ما يظهر إليه الانبياء
والمرسلون - صلوات الله عليهم أجمعين - هو توحيد الله ، وأول ما يدكرونه على
قومهم الشرك ومظاهره . وعلى حكم هذه السنة الرشيدة جاءت بعنه خاتم الدين

صلى الله عليه وسلم بعثت بالدعوة إلى التوحيد والحرر من الشرك والتحذير منه
وما ذك إلا بشدة الحاجة إلى معرفته وإليك لتجد ذلك لعناية مدبرة في كتاب
وأطوار البعثة وأركان الدين .

هذا الكتاب العزيز فاقراً وندير تجمد السور مكيتها ومدنها تفحص القول في
حديث امير المؤمنين المعصومين والمعاصرين ولا تكاد تخلو سورة من هذا الحديث ولا
تكاد تجد غيره في سور كثيرة . وأول ما رزى الآيات احسن الاول من سورة العلق
ثم نحن من الاشارة إلى التوحيد والتعريض بانوئنه للأمر فيها : اللهم باسم الرب
والتذكير بعمه في الحق والتعليم وآخر ما . ن آية الخاتمة في إكمال الدين قدمت
باب الانتداع ومن أسلوه الحاكيم جمعه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه ،
وإيضاح ، شرك ودنياه ونصدها تنوير الاشياء

وهذه أحوار البعثة من حين الأمر بالانذار المطلق في سورة المدثر ، إلى الأمر
بإدراك لعشيرة ، إلى الأمر بالصدق ، الدعوة ، إلى الأمر بالهجرة ، إلى الإذن بالقتال
إلى فتح مكة إلى الاعلام بدوا احكام ، لم نحن من إعلان التوحيد وشواهد وعجوبة
الشرك ومظاهره . ويكاد يحصر عرص البعثة أولاً في ذلك ، فلا ترك التي
صلى الله عليه وسلم لتبديد بالانصام وهو وحيد ، ولا دهل عنه وهو محصور
بالشعب ثلاث سنوات شديداً ، ولا بسبه وهو محتف في هجرته والعدو مشد في
طلبه ، ولا قطع الحديث عنه ، هو طائر مدبته بين أنصاره ، ولا علق باب
الخوص فيه بعد فتح مكة . ولا شعل عنه وهو يئس ، ويصبر ، ويكره ، ولا
اكتفى بطلب البعثة على القتال عن تكرير عرص البعثة على التوحيد وبهد الشرك .
وهذه سيرته المدبرة وأحاديثه المصنوعة فتبها عند تصديق ما ادعيا وتفصيل
ما أحسنا .

وهذه أركان الاسلام احسن إعمالا شرعت كذاثر العبادات للاحتفاظ بالتوحيد
والابتعاد من الوثنية ، به يكتنف في الشهادتين بالتوحيد المحمد حتى صرح سي التعداد
وحصر التشريع في شخص المرسل ، لتبليغ ، ولم يقتصر في الصلاة على اقتضاها
بالتكبير الذي فيه تعريض بإطراح الآلهة ثان حتى حلت به ، وكرر فيها مخاطبة رب
العالمين بإيهاك نعبد وإيهاك نستعين ، وركاة المزمع شعار عباده ودليل اعترافه للرب

بحال إتمامه ، وأنه لا دخل فيها للأصنام وكل ما سواه ، والصوم يذر فيه الصائم شهوته وطعامه وشراجه من أجل مولاه ، وراقبه - وهو صائم - ولو انفرد بمحل سكناه ، والخم فآمنته الإحرام المصحوب بتلبية التكريرة في كل حال وهي صريحة في حيطة التوحيد بنكران الشريك .

قال أبو إسحاق الشافعي في الموافقات : نحن نعلم أن الرطب بالشهادتين والصلاة وغيرهما من العبادات ، بما شرعت شعرت بها إلى الله وارجوع إليه وإفراذه بالنعظيم والاحلال ، ومطاعة العبد للجراح في الطاعة والابقياد (٢ : ٣٨٥) وإن لم يكن بمحققك بأس مستفهم معي شدة عناية بعثة حاتم النبيين «بيان الشرك وعدم الاكتفاء بشرح التوحيد» ، ويستعجب معي من قلة اهتمام علمائنا بذلك كأن لا حاجة بالسلب إليه ، يتحدثون في كلامهم عن العروة عناية بتفصيل أحكام مسائل بادرة أو لا يوجد عادة ، ولا يتحدثون بمشاكل تلك العناية بالأصول ، فيحددون الشرك ويوصلون أنواعه ويعددون مظاهره حتى يرسخ في «موسم العامة الخلد منه والانتعاد من دساتره» ، ولا يعهد المتأخر نص من قبله في جزئية من ذلك .

تخرج عن قلة الخوص في هذا الموضوع أن صار الشرك أحق المعاصي معنى وإن كان أحلاها حكماً ، ويظهر حكمه وكونه من الضروريات ترى المسلمين عامتهم يتبرءون منه ويصبون كل العصب إن نسبوا إليه ، ولحماء معناه وقع من وقع مهم فيه وهم لا يشعرون ، ثم وجدوا من ادعياء الهدى من يسمى لهم عقائد الشرك وأعماله بأسماء تدخل في عقائد الاسلام وأعماله ، ثم يدافع عنهم ويحترمون في زمرة أهل السنة ، ويشتنع عن العلماء لتأخيرهم عن الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره ولهذا عرف جميع الأسماء بحكم الشرك ، قال تعالى (وقد أوحى إليك وإلى الدين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتسكنن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

بيان العلماء لمبادئ الشرك أداء للأمانة وقضاء بواجب الأمة المعروف والدين عن المسكر . ثم رجعوا لأصلاح حال المسلمين وأن لا يكونوا حجة على هذا الدين ولا سنة بأفواه المتشددين ، وهو عرص الدين بهوى عن الشرع حين قالوا «مقدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون» من حكى الله ذلك عنهم من وعاظهم بأمرائيل

الرجوع في بيان الشرك

إلى الكتاب والسنة

يدخل برء في الاسلام هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومعنى الخلة الأولى أنه لا يعترف له. أنه قوة عليه تخص بهاروحه إلا يخص لسواه ولا يعبد إلا به، ومعنى الخلة الثانية أنه لا يمدد بهواه ولا يهود أحداً من أهل الملة والجماع، وإنما يمدد بما جاء به رسول. ثم حصل احليل أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرعه على لسان رسوله، وعلى هذين الأصلين أبى الاسلام، وكل ما في الكتاب والسنة بمصلح من نفسه عدان الأصلان، وكل ما كان هادياً للأصلين فهو صواب للكتاب والسنة. أخفى عن دين الاسلام

فالداعي إلى الكتاب والسنة وتفهمهما إنما هو داع لتعقيق كائني الشهادة، ولهذا نجد ههنا وفي كلام سلف الأمة، ألح على تعلّمهما وإداعهما وتحكيمهما عند البراع والتجديد من مخالفتها وإسكات ما أسكراه على من تقدمها من مشركين وكتّابين، وثبت من ذلك ما يحصل به - إن شاء الله - التذكير لمن يحسن

١ - قال تعالى (كتاب أم لنا إيتك مبارك ليذروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)

٢ - وقال أيضاً (أفلا يدرك القرآن أم على قلوب أقفالها)

٣ - وفي القرآن (وقال الرسول يارب ان هوى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، قاله ابن كثير

٤ - وقال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار يحمل أسفارها) معاب عن من أسرائل جهل كتبهم ومخالفتهم له، وبهم يكسب منهم بمجرد قراءتها

٥ - وقال (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)

٦ - وقال (الذين آمنوا الكتاب يتلوه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) في أن كثير عن ابن عباس وغيره. إن من التلاوة كونهم يتبعونه حق اتباعه

وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من قرأ كتاب التوحيد من غير أن يفهم ما فيه ، لم يزد الله به حسنة ولا ينقص الله به عقوبة)
 ٧ - وقال : (فإن نزل عليكم في شيء من كتاب الله ، فليؤخره إلى الله ، والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً)
 ٨ - وقال : (ولا تكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

تطبيق الآيات النازلة في السابقين

على من أشبه حالتهم اليوم

إن نزيل الآيات النازلة من قبل على أهل ديننا هو تطبيق للنص على الحادثة وأهليتها بل قد من أن لا يعترفوا بالبعوت القبطية ، ويدعوا لضعف الفسافية التي هي أصل تلك البعوت ، فلا يبعد المرء أن يمتدحهم ، وصفاته الفسافية ضعفت مشرك ضال أو كثنائي معاند

وقد وضع العلماء قاء من في هذا الباب إحداهما قولهم : البعوت بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والناحية هي : شرع من قبلنا شرع ما دام يرد ناسخ ، وقد شرع الله لمن قبلنا عقائد وأعمالاً أنكر عليهم مخالفتها ولم يرد ناسخ يعفيها من ذلك إلا أنكار هدد وقوع المخالفة ما ، وكثيراً ما نجد في عبارات المعربين أن الآية برلت في نبي إسرائيل مثلاً ، وأنها متناولة من دن على مثل حالهم من هذه الأمة ، مثل آية الكافرة لهم وأهملهم ، ومثل آية (أنأرون ليس بالو وتسلمون أنفسكم وأنتم تلبسون الكتاب) ويشهد لذلك آيات وأحاديث وآثار تذكر بعضها فيما يلي :
 قال تعالى على لسان سيدنا صلى الله عليه وآله وسلم : (وأخى إلى هذه القرآن لأنذركم به ومن دافع) فطفت على صميم المخاطبين من المشركين من نذره القرآن في رخصهم وبعد عصرهم ، وقال : وأنذرهم أن يحشروا إلى ربهم) والذين يخافون الحشر هم المؤمنون ، من هم مظنة الإيمان من لم يطبع الله على قلوبهم فلم ينقص الآية المشركين ، لا أنذر

وقال بعد حكاية حادثة قريظة : (لو ط) (وما هي من الطالين بعيد) فسر العوى

الطالين هنا بمشركي مكة أو طالبي هذه الأمة، والجمع بين الوجهين غير متشعب وعلى كل حال دلت الآية على إحقاق التأخر بامتداد في استحقاق عمومته متى كان على مثل حالته

وسر ان كثير الآية على العميم فعملها بمعنى حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجد نموء يعمل عمل قوم لوط فاقبلوا الفاعل والمفعول به ، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي ، وحكى عن أبي حنيفة أنه يلقى من شافق ، ونوع المجازة كما فعل الله بقوم لوط ، فالآية دلت على أن ما أصاب قوم لوط عبر خاص بهم ، والحديث دل على تصيد حكمها ببعض أشبههم ، وقول أبي حنيفة دل على مراعاة صفة التنفيذ

وأخرج أبو داود عن ابن مسعود (ر. ص) أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى ، جل يقول : يا هذا اتق الله ودع ما صنعت فإنه لا يحل لك ، ثم يلعن من العبد وهو على حاله فلا يسمع ذلك أن يكون أكله وشربه وفعبده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوبهم ببعض ثم قال : من الذين كفروا من بني إسرائيل على سنان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فآثوا لا ينهاهون عن مسكر فلعنوا بنس ما كانوا يفعلون ، من كثير منهم تنولون الذين كفروا للنس ما قدمت لهم أنفسهم) إلى قوله (فاسفون) ثم قال :

(كلا : لله أن أمرن بالمعروف ونهون عن المنكر ولأن أحدن على يد الطاغوت لنأطرنه على الحق أضراً وانقصره على الحق قصراً) أو ليضرب الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليعلمكم ذنابهم) وهذا الحديث صريح في تنزيل ما نزل في اليهود على المسلمين . وروى الشيخان عن عائشة وابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته : نعمة الله على اليهود والنصارى محذوا قبور آبائهم مساجد يحذرون ما صنعوا فقد همما أن الأمة غير جامعة بأهل الكتابين ، وأن المقصود تحذير المسلمين من فعلهم حتى لا تشملهم لعنتهم ، وهما لهما في العلم والدين معرفة

آثار الشرك في المجتمع

إن كنت مائلاً في علل اختصاص الأمم من تعدد كالشرك أدل على طلبة القلوب وسفه الأحلام وفساد الأخلاق، ولن تجد كهذه العناصر أصراً بالانحدار وأدلى للشعوب، وإن كنت مائلاً عن أسباب إرق من تعدد كالتوحيد أظهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق، ولن تجد كهذه الأسس أحفظ للحياة وأصح للسيادة وأقوى على حمل صرار المدنية الصاهرة، وإن نظرة في حياة العرب قبل البعثة تؤيد ما أخصناه إلى الشرك من علل وتأنخ، وإن وقفة على حياتهم بعد البعثة تتبع على التصديق بما أنطاه بالتوحيد من أسباب وثمرات، وإن تلك النظرة وهاته الوقة لمفتاحان لمرحلة أساليب مد عصر النبوة، وكل من قارن بين حياتنا اليوم وحياة جبراسنا من غير ملتأ استيق أن وسائل الشرك قد وجدت في المسلمين منذ آمد وأن نتائجه قد ظهرت عليهم فلا نحو على أحد.

إن من انفس إلى الاسلام وافتخر بالحرية ثم رضى بالحالة الحضرة ودافع عنها رى بيوته للإسلام ولعنه ليست رثسة، وإذ هي لمية، والآن الشرعى للإسلام والمروية هو من يحمل همه إعادة حدة الدين واستعادة مجد السلف الأقدمين، وإن الإنسانية البارها هو الذى - إن - يذا ر على تحقيق ذلك المم - لا يمدح العاملين لثبته ولا يحول بهم وبين طرق تحصيله، على نجد كالدين الحاصل مصمما للعقول التى تسع الانسانية عدلا وللقلوب التى تسع الشعوب أقاء والألسنة التى تسع الحياة صدقا.

هذه آيات التبريل اس تشكرها في موضوع الشرك مثل، وهذه أحاديث الرسول تحذر من كل ما هو منه تسبيل، ألا تدل تلك العينة على أن جنابة الشرك أقطع جنابة وأن وقاية المجتمع مه أمتع وقاية؟ ليس العجب - لو كنا نسمع أو نعقل - من حديث العلماء في اشرك وبياهم له، إنما العجب من سكوتهم عنه حتى ينسرب إلى عروس الموحدين ويحرد على ألسنتهم مخرجا عما يتلى في شأنه من القرآن فيجتمع في ذات واحدة دواعى الصدق والهمة ونظير على نفس واحدة أعراض التفرق والوحدة، ويحمرى من لسان واحد أجحاح الجهل وعذب الحكمة، ثم تجد

الباوية المساعدة من يتعاهدها باعساد حتى تغطي وتفقد الجهة الصالحة من بعدها
فتبقى ، ولورود بعض ما جاء في سورة آل الشرك في القرد والختنع معا فلا يحسن أثر
التوحيد بهما زيادة في تصور صرر الشرك

قال تعالى (سئل في قلوب الذين كفروا الرعب يا أشركوا الله ما لم يزل به
سلطانا وما وهم الذين وهبوا منى الطائفة) فأفادت الآية أن المشرك في الدنيا دليل
رعبه وجرأؤه في الأخرى الخزي والعذاب الشديد

وقال (وحارب الله مثلا فبه كانت آفة مظنة بأسها رعبها رعباً من كل
مكان فكفرت بأدم الله فأدفعها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)
لخصت هذه الآية للشرك الخوف والفقر

وقال (وإذا قال قمان لآمنه وهو يعظه يا بني لا تشرك الله إن الشرك لظلم عظيم)
والعلم وضع الشيء في غير موضعه ، وأواعه ثلاثة ض في حق الله وظلم للباس
وظلم للعلم ، واشرك اجتمعت فيه الأنواع الثلاثة ، والظلم في حق الله بعدم توحيد
والعلم ليعود مع الله ببدائه إن كان صالحاً وبغلطه في نفسه إن كان جديلاً ، والظلم
للعلم بإذلالها وتعبيدها لمن هو مثلها في الافتقار والاحتياج

وقال عمر أ عن الموحدين من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فليحييه
حياة طيبة وليجرهم جحيم بأحسن ما كانوا يعملون وعد الله الذين آمنوا
صالح وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف نبي من قبلهم ولهم كنز
لم يدرهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أملاً ، بعدوا من لا يشركون في
شيثاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ،

ومن حديث أخرجه الشيخان عن ابن مسعود أنه قال يا رسول الله أرى العبد
أعظم عند الله ؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك

وعن أبي هريرة عن عبد الله بن مسعود قال يقول الله أنا أعظم
الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك به ، مني غيرة تركته وشركه

وعن ابن عباس (رضى) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا أيها الناس
والنساء والرجال ما جاء في الخلية والبيت في الاستاء والصفات أن رجلاً قال
لنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت ، فقال جعلني الله ساءاً بل ما شاء الله وحده

ومن حذيفة بن اليمان عند أبي أنى شبة وأبي داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وصححه النووي في رياض الصالحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان

ومن حديث طويل عند أحمد : جمع يحيى بن زكريا بن إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمر بها وشركم أن تعملوا هي : أولهن ، أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل ذلك قتل رجل اشترى عدداً من خالص ماله بورق أو ذهب ، فجعل يمس ويؤذي علقته إلى عرسه ، فأبكم يصره أن يكون معه كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، أوردته بطوله ابن كثير في تفسيره (١٠٦٠)

وأورد فيه عن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أدداً) الأعداء هو الشرك أحق من دست لئلا على صفاء سوداء في طلبة الخير ، وهو أن يقول : والله وحاشاك يا فلان وحياي ، ويقول : لولا كلفة هذا لأتانا بالصوم والبرحة ، ولولا انصر في لذيذ النصوص ، وقول الرجل لصاحبه : عاشاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك

وما أطلق عليه الشرك في هذه الأحبار بعصه شرك صريح وبعضه ذريعة له فهي عنه حياطة للتوحيد وصيانة له ، والأحبار في هذا المعنى كثيرة ، ومن يرد الله به حيراً يهتد ببعض ما ذكرنا ، ومن من الله فإله من مكرم ، إن نشأ فرب عليهم من السماء آية فظلت أعتاقهم لها عاضعين

وأساس الخبر إنهم العس وعدم أصح عنها ، وقد قال الله : فلا تشركوا أنفسكم هو أعز من الله ، ولا يجب هي شهود القص في العس بالوقوف على جهاد السيف الصالح ، في سيرة الحسن بن علي عاتق في القرن الأول ومات أوائل لكن أنه قال : رأيت سمعاً يدركاً لو رأيتهم لقلتهم محبين ، ولو رأوا حباركم لقالوا ما هؤلاء من خلاف ، ولو رأوا شركاءكم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون يوم

هذا خطاب الحسن لأهل مصر من الناس وتابعهم فيما دأبوا به طيب أهل القرن

الرابع عشر ٩

إن أهل زماننا قد صوا حاتمهم ومسحطوا على لصحاتهم مقاتلهم وقابوا قد جاءوا بهم جديد ، وقد صقهم علماء أجيالهم نسمع منهم تكرا ما هذا الأمر ، فإن كان بين هؤلاء الساحطين من قرأ شيئا من العلم رادهم جملة تأويل مخصوص الشرعية ونصرف أقوالهم وأعمالهم اندلج على فساد عقائدهم إذ ما يوافق الإسلام وإن كان خلاف مرادهم ، ثم علمهم أن ما يرشد إليه المصلحون صلاة استدعها من نبيية لا ، بأنهم جديد في نظر الناس ، ولكم جديد في أدن استمعهم ، ومن تقدموا من العلماء بعضهم أذكروا مثلنا فقص منهم وحل بينهم وبين العامة ، وبعضهم أمروا بالإسكار من وثقوا بامتثالهم ، ومنهم من كثر عليه بأسه وبخافته على هباء نفسه ، ومنهم من لم يكن يدرى هذا الشأن ، وإنما اشتهر بمسائل المروغ ، ثم اعتاد الثقات حجة فيما يأترون لا فيما يعملون أو به ون ، ولا يكون العمل أو التقرير حجة إلا من المعصوم

فأما تأويل النصوص فأكثره تحريف للكلام عن مواضعه وغرر من مهابة طواجرها وعظم موقعها في النفوس

وأما صرف أقوال العامة وأفعالها إلى غير ما أرادت منها فغريب بها وإعراء لها على الباطل

وأما من نبيه لم يتدع صلاة وإنما أحيا السنة ودعا إلى الهدى واجتهد في الصبح ، وليست الدعوة إلى التوحيد مذهب خاص ، ولكم دين الله العام . وما جعل العلم استحقاقا مما وقعوا فيه من الفكر الخبي إلا الاعتقاد وجب على العلماء عن الجهر بالإرشاد ، وأما كمالهم - طبقة ثانية ، والأسرار بالعلم إقرار له . في كتاب العلم من صحيح البخاري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر ابن حرم ، انظر ما كن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتمه فإن حقت دروس لهم وهدسه ، ذهب العلماء ، ولا سئل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولمعشوا العلم واجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن أريد لا يهلك حتى يكون سرا ، ومن حكم الشعراء :
 وشتان بين الجهر والمنطق الخفت

وقال ان بيعة ، لولا بعد عهد الناس بأول الإسلام ، وحال المهاجرين
والأنصار ، وقصر العمر وظهور الخيل ، واشتد الأسرعى كثير من الناس لكان
هؤلاء ، مشركون والآمرون بأشرك بما يظهر كهمم وصلاتهم للخاصة والعامة
أعظم مما يظهر صلال الخوارج وإرادته .

معنى الشرك في اللغة

تقول شر كنه في الأمر أنه من باب تعب ، شره وشركه منع الأول وكسر
الثاني فيهما ، وبمعنى بكسر الأول وسكون الثاني . وذلك إذا صرت له شريكا
وشاركته كملك وأمر كنه جودته شريكا ، قال تعالى (وأشرك في أمري) أي أجعله
شريكي فيه

ومرجع مادة الشرك في الخط والعمر ، وإذا كان بمعنى الحصة من الشيء تكون
لواحد وباقيه لآخر أو آخرين كما في قوله تعالى (أم لم شرك في السموات)
فاشريك مح لظ اشريك وحصة مخصصة لمصاحب الآخر .

ثم اجتماع الله كما في شيء لا يقتضي تساوي أنصبتهم منه ولا يمنع زيادة قسط على
آخر فموسى يسأل به إبراهيم أحده له في الرسالة ، وقد أجيب سؤله لقوله تعالى
(قد أنزلت سورة يا موسى) وحده من إن حظ هرون من الرسالة دون حظ
موسى . ولهذا تقول فلان شركك لغيره في دار أو أرض أو صناعة ولو لم يكن له
مها ، لا معشا العشر .

هذا في أحداث ومثله في معصيات تقول : (الآن شريكاني في طاعة ابنهما
لما دون حق الزم في الطاعة أقوى ، وتقول أحسن شركاء في محقق وأنت تعب
معصهم أشد من بعض . هذا تقرير معنى لشرك لغة .

أما في الشرع فقد سهره صاحب الصالح والمصباح بالكفر ، وجعله الزاغب
على قدر من مقال ، أحدهم الشرك العظيم ، هو ثبات شريك لله تعالى ، يقال أشرك
فلان بالله ، وذلك أعظم كفر . قال (إن الله لا يعبر أن يشرك به) وقال (ومن
بشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا .

والثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله في العبادة وهو الرياء .

وكما لا تقتضى الشراكة لغة تدعى الشركاء في الحصص ، لا يقتضى الشرك شرعا مساواة الشرك لله في جمع صفاته أو في صفة مهيا . بل يسمى المرء مشركا عند الشارع بإنشاء شريكه ووجوبه دونه في القدرة والعم مثلا . فاما حكاية دعوى عن المشركين قوهم بالله بن كما في صلال معين إذ لم يسموكم رب العالمين ، فالتسوية فيه نسوية في الصاعه ، لا لتيقيد لاني القدرة على الخلق والابادة فهي كآية البقرة (يحسبونهم كعب الله)

إن الله حل وعلا لا يعل أن يشرك به الأبرار ولا الأعداء ولا الأشجار ولا الأحجار ، ولا برضى شركة عظم في القدرة والمرة كس أنهم علمهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . لا شركة عظم في الخلق والحكم فاشمس وقمر وسائر الكواكب . وقدر الله أن كل شرك فيها كان اعتدوه من القوة والضعف قال تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً - واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - ولا تأمركم أن تسجدوا للملائكة والنبيين أرباباً أياكم بالكفر بعد إيمانهم مسلمون -) وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أئت أنت للناس اتخذوني وأمي آلهم من دون الله (

هذا بابا للشرك الشرعي : فإن كان فيه طول فبنا نقصد فيما نسط إيهام العامة وإلحاح المعاندين

وأقسام الشرك قد سبقتها - قال تعالى (من ادعوا الذين عظم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما هم بهما من شرك ، وما له منهم من ضر ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له)

جعلت الآلة أقسام الشرك أربعة وسمي كلها ، وصنع لكل قسم اسما يمتاز به (الأول) شرك لا اختيار ، - معناه أن يكون عزمه كالشيء يسقل به ، ولو كان في الخيارة مقل دونه في العلم العلوي أو في العلم السمعي (الثاني) شرك الشفيع (وفي سماعه أن يكون لغيره نصيب بشركه فيه كمن كان هذا النصيب في المكان والمكانة (الثالث) شرك لإعانة ، متى جل شأنه أن يكون له طهر وسمن من غير أن يملك معه ، كما يعين أحدهما لك منافع على حمله مثلا (الرابع) شرك الشفاعة ، متى تعالى أن يوجد من يقدم من يديه يدل به له ليخلص أحداً شفاعته . فهو

تعالى ، يقل من أقدم الشك حتى أصممها وأحتاها . وهي الشرك بالجهاء في تحصيل
السلامة والنجاة ، لا بعد الإذن للشعب ، . تعيين مشموع له ، . وحيث لا تكون في
الشبهة رائحة شرك بل لشبهة كغيرها من وجوه الجمع هي فقه وحده
ولم يخرج عن الآلة شيء من أقسام الشرك ، لأن الشريك إما في الملك وإما في
التصرف ، ولأول إما أن يحتا فسطه وبه أن يكون على الشياخ ، والثاني إما أن
يعين المالك ، وإما أن يعي أحداً عند المالك ، فلك الأقسام الأربعة مرتبة
في نفسها في الآية ، وتلك الأقسام على طهورها من الآية م أن من أعرب عنها
هذا الأعراب

الشرك في قوم نوح

أول من عرفوا بالشرك قوم نوح عليه السلام ، وأول من وقعوا فيه منهم
القوم الذين انصرفوا ملوهم إلى موت من صلتهم ، فكان نوح أول رسول
من الله لمادة لشرك وإيمانه الحجة على المشركين ، فكبرهم بسم الله ووجوب
شكرهم ، ودلائلهم على سوء معة الشرك ورواه أن يرى منه ، ولكن القوم غلب
عليهم هو ، الشرك ففقدوا شدة وهم يسموا حلال أنفسهم ، وأما في الدفاع عن
وأيتهن بما هو خارج عن موضوع التبراع ، وذلك ما حكاه القرآن في هذا الشأن
(ولقد أرسلنا نوحاً ، قومه إن لكم برباً من أن لا تعبدوا إلا الله ، في أخاف
عليكم عذاب ربكم ، قال الملائكة من قومه ما لك لا تشرأ مثلاً
وما لك أبعدك ، لا تدبرهم إلا لعلهم يدركوا ، وما يرى لكم علياً من فصل بل
نطقكم فادرس)

فانظر إلى هذا السوء والخيال ، يدعوهم إلى توحيد الخلاق المعال فيردون عليه
بأنه شر ، وأن من آمن به من نعمة مسخطة في عتدهم ، وأنه وهؤلاء المؤمنين
لا يملكون لهم فصلاً عليهم ، كأنهم علموا لأقسام فصلاً على جميع الأنام ومدوها ،
واستعروا على هذا الصلابة عدة أجيال ، يوصي فيها السلف الخلف بأن يعصوا
بالتواجد على وثبيتهم ، وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداً ولا سواها ولا

يعوث ويعوق ويسراً) وأحد الخلف بوحية السلف، هم يستمعوا لنبيهم على قوة حجته، ولم يتأثروا بآدائه على طول مدته؛ ولما لم يجدوا مذهباً لرهانه واستبطأوا حقوة الله لهم بطوقه (قالوا يا نوح قد جادلتنا فآبأ كثر جدالتنا فآبأ بما نعدنا إن كنت من الصادقين)

صر صر هذا الرسول ونبت شانه، غلظت ذكره سور القرآن وآياته، نجد حديثه في الأعراف: يوسر وهوود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعشكرات والصلوات والقمر واختصر سورة من المعصل سميت سورة نوح، وتعد اسمها دون قصته في سور آخر

وفي تكرار قصته، العاية منصرف القول فيها حصص للدعاة على ملوك حطته ورجع للأمم أن تجدوا حدوداً منتهى، وفي ذكرنا لتلك السور إحالة للعارفين على ما فيها من عبر، وبكتفيها يائضات روايات فيها بيان عن الدرر به التي انتهت بهم إلى الشرك.

في كتاب التفسير من صحيح البخاري عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكل بدومة الجندل، وأما سواع كانت هديل، وأما يعوث فكانت لمعاد ثم لبى عطيظ بالحرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت همدان، وأما نسر فكانت خيبر لآل ذي الكلاع.

أسماء رجال صالحين من قوم نوح، هذا هلكوا أو حتى الشيطان إلى قومهم أن الصوا إلى عاصمهم إلى كانوا يحسبون أنصافاً سموهم بأسمائهم، ففعلوا بهم بعد حتى إذا هلك أولئك وتفرغ الفم عدت.

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وذات الأضواء تير الآله، فمات رجل منهم فزع أنه عليه، فجعل لا يصبر عنه، فأتى منالاً على صورته، فكلموا اشتاق إليه نظره، ثم مات ففعل به كما فعل، ثم تتابعوا على ذلك فمات الآله، فقال لأناء ما أتخذ هذه آباء ولا أباها كانت آلتهم فعبدها، ففعل الحافظ في الفتح

وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن كعب في قوله ولا يعوث ويعوق ويسراً وقد أصلوا كثيراً، قال كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، فلما قوم

بعدم يا أحدون كأخدم في العبادة ، فقال لهم إيليس : لو صورتكم صورهم فكنتم تنظرون إليهم ، فصوروا ثم ماتوا ، فنشأ قوم بعدم ، فقال لهم إيليس : إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها معبودها ،

الشرك في قوم ابراهيم

غسل الأرض الطوفان من وهر الشرك والصبيان ، فلم يبق يومئذ على وجهها إلا ناصع الإيمان ، ثم تعاقبت الأجيال حتى حنت الطباع إلى معتاد الضلال ، فعاد الشرك بعد الزوال ، وأرسل الله المرسلين (مشربين ومبشرين وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

بعد الطرفان بأرمان ظهرت بابل من أرض العراق أمة الكلدان التي منها السط قوم ابراهيم عليه السلام ، فكانوا يعرفون الله ويعبدونه ويشركون به الكواكب ويتخذون لها الأصنام تماثيل

وقال رشيد رضا في تفسير المنار ، اتحدوا الكواكب أرباباً لما لها من التأثير السوي أو الوهمي في الأرض ، ونوسعوا في إسناد التأثير إليها حتى اخترعوا من ذلك ما لا شبهة له ، فكانوا يعتقدون أن الشمس رب النار وفقر الأرض والمياه يدبر الملوك ويخبص عليهم روح الصحابة الخ إلخ

تطور الفكر عند الكلدانيين فبعد أن كان بسيطاً مستمداً من حسن الظن ببعض العباد والمبالغة في تعظيمهم من غير وقوف عند حد مشروع ، أصبح نظرياً مستمداً من خطأ العقل وحيال الفلسفة الفخرية ، فإذا كان شرك قوم بوج يرجع إلى مظاهر الصلاح في الناس ، فإن شرك قوم ابراهيم ناشئ من أسرار البصيرة ودقائق الملك ففكر الأولين من شرك الغريب واشماعة ، وشرك هؤلاء من شرك الأسباب والإعانة ، ولكن فيه روحاً من شرك التعريب أيضاً ، لأن بهم من يعبدون الأصنام التي تمثل لهم الكواكب باعتبارها واسطة بينهم وبين الله وهؤلاء يستعظمون التوجه لله من غير واسطة .

قال ابن القيم في الفهرست ، ويقول بعضهم إنه إذا قرب باسم الباري كانت

دلالة المران رديئة لأنه عدم تعدد إلى أمر عظيم وترك ما هو دونه لما جعله
متوسطاً في التدبير ، (ص ٤١٣)

هؤلاء الكلدانيون هم الذين بعث الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام وحاجهم
هم يدافعوه بغير التقليد لأنهم وسبهم إلى صفات المعبود سواهم عن قدرة
أصنامهم على الصع والصر وسماح من استعصها وتكليمهم ، فاعترفوا بعجزها ولكن
حجنتهم الحجة على الانتقام لها ، كما سأل عن أكل تلك الأصنام لما يقدم لها ،
تدبها على خطئ رأى فاعليه ، في الصفات (مراعى إلى آلهتهم فقل ألا تأكلون ،
ما لكم لا تصومون ، مراعى عليهم حرمانهم ، فأقبلوا إليه يزفون ، قال أتعبدون ،
ما تتحشون ، والله خلصكم وما تعملون)

ومعنى راغ : مال ، ويزفون : يسرهون

والمعنى أن إبراهيم كسر الأصنام بعد سؤاله لما سأل استحقاقاً ، فأسرع إليه عدتها
منكرين ، فوضعهم على هادئهم لما صنعوه بأيديهم .

وفي الشراء (وتل عليهم ما إبراهيم قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا بعد
أصناما فظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون
قالوا بل وجدنا آباءنا على هذا كذلك يفعلون)

وفي سورة الأنبياء (قالوا أأنت فعلت هذا ما كنا يا إبراهيم ؟ قال بل عمله كبيرهم
هد فاسألوهم إن كانوا يسمعون ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ، ثم
سكروا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء يفعلون ، قال أتعبدون من دون الله
مالا يصممكم شهناً ولا يصركم أف لكم وما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ، قالوا
جرفوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلون)

أصر الكلدانيون على وثنيهم مع قيام الحجة عليهم ، ولجأوا بعد هذا العناد إلى
لقوة شأن أهل العبي والاستبداد ، وقد يقطع إبراهيم أمام نصبهم دعونه ولا يحفف
لتوعدم إياه لهجته ، بل استمر يقرع بآيات التوحيد آذانهم حتى غصوا به على
انفرادهم واجتماعهم وحكوا السلطان سلطانهم ، وإذا لم يتفعوا برجاحة حجته
وصراحة كلمته ، فما أصبح البرهان عد المقلد ، وإذا هو م يتضع لطغيانهم ولم يبال

بتهديدهم ، فإن سلطان الله فوق سلطانهم ووعدده أصدق من وعيدهم ، فقد جعله في سلام من الحريق الآليم وبشره بسلام حلیم ، وتلك عاقبة المصلحين التي وعدهم بها رب العالمين إذ قال : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

الشرك في العرب

قدمنا الخبر عن شرك قوم نوح لما كانوا أئمة المشركين وقدمتهم الأولين ، وأعقباهم شرك قوم إبراهيم ، إذ كانت وثنيهم مركبة من وثنية قوم نوح ، والصلال في درس الطبيعة واقتفاء حبال القمر دون الاكتفاء بحقائق العلم ، وقمينا على ذلك شرك لعرب لأنه متصل بالفريقين بأرق سبب ، وخشنا به هذا الحديث لانتهاه بعمته حاتم الدين ، الذي شريعته دبر ، وصفا تعرفنا أحبار المشركين .

شرك العرب متحد النوع بشرك قوم نوح ، حتى أن أوثان أولئك وقعت إلى هؤلاء ، وسلب ، انداع الشركين واحد عد العريقين ، وتغرب اتصال السكك الدارين فإن الجميع أبناء سام ، ولعانهم متحدة الأصل ، ولهم علاقة خاصة بإبراهيم ، فهو جد العدمايين ومن بني عمومة القحطانيين ، ثم هو الذي رفع قواعد البيت بمقعد هرم ومنتهى الحرم ، وترك بينهم ابنه اسماعيل طهيرا في مأثرة ماء الكعبة يشربهم الحنيفة ويثر عليهم بما في صحف إبراهيم الذي وى ، وكانوا يعرضون تلك الرابطة النسبية ويعترفون له ، تلك المأثرة التاريخية ، ويرضون أنهم حما على مله ، فلم ينكر القرآن عليهم إلا رسمهم هذا ، إذ جاء فيه (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)

والذي دعانا إلى بيان الفرق في هذه الطبقات الثلاث هو الرغبة في شرح حاله وتوضيحه فصل توضيح ، ونخصصنا هذه الأسماء بالذكر لما بينهما من الروابط والأشياء ، واقتصرنا عليهم لشهرتهم في وصف الفرق ، ولم نتوسع بالتعرض لغيرهم لأننا لم نقصد أي تاريخ الأديان في مختلف الأزمان والأوطان ، ولا أي نقى ما ذكر منها في القرآن .

وسبب مفارقة العرب للحييفة وتسرب الوثنية إليهم ما جاء في الصحيحين عن أن مريضة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحي الخراعى يجر قصبه في النار، وكان أول من سب لسوائف هذا لفظ الحارثى في كتاب أحاديث الأنبياء، راد مسلم في روايته وبحر المحررة وعيزر دين اسماعيل ولحي بضم هفتح، والفص بضم فسكون يجمع على أقصاب وهي الأعماء.

وفي كتب الأحباريين وأصحاب السير تفصيل عن شوء الشرك في الشرك وسب وثنية عمرو بن لحي، فخذ في سيرة ابن هشام وفي أخبار مكة للأزرقي، وفسوفه هنا من لفظ ابن الكلبي، قال في فاتحة كتابه، الأصنام،

حدثني أن وعيره - وقد أنست حديثهم جميعاً - أن اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملئوا مكة ونفوا من كان بها من الملائق، ضافت عليهم مكة ووقف بهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً، ففسحوا في البلاد والتمس العاش.

وكان الذي سلحهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يطمس من مكة طاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصيانة بمكة، فحينما حلوا وضعموه وطافوا به كطوافهم بالكعبة فيما منهم بها وصيانة بالحرم وحماؤه، وهم بعد يعطون الكعبة ومكة ويحسون ويعتمرون على إرث إبراهيم واسماعيل عليهما السلام

ثم وصل بهم ذلك إلى أن عدوا ما استحبوا وسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم واسماعيل غيره، فعدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قلوبهم، واستخرجوا ما كان يعد قوم نوح عليه السلام منها على إرث ما بنى لهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم واسماعيل يتسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة وإهداء الهدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت تزار تقول إذا ما أعلت :

ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك - إلا شريك هو لك تملكه وما ملك .

في حذو به بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم و يجعلون ملكها يده ، يقول الله عز وجل
لبيه صلى الله عليه وسلم (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أى ما يؤحدون
بمعرفة حتى إلا جعلوا معى شريكاً من خلقى .

، فكان أول من غيّر دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسبب انسابه
ووصل الوصبة وبحر البعيرة وحى الحمية عمرو بن ربيعة - وهو لحنى - بن حارثة
ابن عمرو بن عامر الأردى ، وهو أبو خزاعة ، وكانت أم عمرو بن لحنى فهيمة بنت
عمرو بن الحارث ، ويقال قعدة بنت مصاح الجرمي (قعدة بمنتهى وكسر فتشديد)
وكان الحارث هو الذى على أمر الكعبة ، فلما طلع عمرو بن لحنى ناره فى الولاية
وقاتل جرم بنى اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة
وتول حجابة البيت بعدهم .

، ثم انه مر من مرضاً شديداً فضل له إن بالبقاء من القيام حة إن أنها برأت
فأناها فاستحم بها دماً ووجد أهلها يمدون الأصنام ، فقال ما هذه ؟ فقالوا نسنق
بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فألهم أن يطاوع منها ، فعملوا فقدم بها مكة
ونصبها حول الكعبة (ثم ذكر أساطيرهم والأصنام الخمسة التى كانت لقوم بوج
ثم قال) فلما صنع هذا عمرو بن لحنى دانت العرب للأصنام وعدوها واتخذوها ،

وكلام ابن الكلبي أولاً يعطى أن منشأ وثنية العرب تترك المعلولين من بنى اسماعيل
على الحرم بحجارة ، وذلك قبل رئاسة عمرو بن لحنى الذى انتزعها من جرم أخوال
بنى اسماعيل ، وكلامه أحيراً صريح فى أن عمرو بن لحنى هو الذى أحدث هذه
الوثنية فاقندى به العرب ، والأول بالساطة أسبب وإلى بدواة العرب أقرب وسنة
الشوء ولا رتقاء أشبه ، والثاني هو صريح خبر المعصوم الذى هو حق لا رية به
ولسكننا نرى الجمع بين الأمرين مبسوراً فلا ضرورة بنا إلى الترجيح .

فذلك أن عصر المنازعات بين بنى اسماعيل الذى حدث فيه التبرك بحجارة الحرم
قبل أيام عمرو بن لحنى إنما وقع فيه ذلك التبرك من الناحيتين عن الحرم المتقلين فى
البادى ، فكان ذلك التبرك ذريعة أى الوثنية فى نفس بنى اسماعيل ومن رأى
رأيهم من القبائل البادية النائية عن الحرم .

أما وثنية عمرو بن لحي التي نقلها من الشام فأظهرها بالحرم بمسحه ورفقها في
الحجاج ، فلم تكن قلبه أصنام بالحرم حبيبا كانت بنو اسماعيل يقولون حبيزته
الطواف بها ، ولو كانت به يومئذ أصنام تقدموا نقلها على نقل مصطلق الحجارة
وتقدم هذا الطواف بالحجارة خارج الحرم هو الهدى سهل على عمرو بن لحي إعلان
الوثنية داخله وخارجيه ، إذ لو لم يأس الناس قلبه بمبادئ الوثنية ما قبلوها منه
لسا دعاه إليها .

فبنو اسماعيل أول من ابتدع في العرب مبادئ الوثنية ولكن على وجه ضئيل
غير مشتهر ولا منتشر ، وعمرو بن لحي أول من ابتدع فيهم صريح الوثنية على وجه
قوي وبصفة عامة ، هذا وجه الجمع عدى بين حديث المعصوم وخبر الثقة ،
وإطلاق القول بأن عمرو بن لحي أول من غير دين اسماعيل صحيح ، نظراً لكونه
الرئيس المطاع بالحرم ، والحرم معقل الدين وبأهله يقتدى سوام ظهور الوثنية منه هو
الهدى سهل تعميقها في سائر الأجيال والعوائل ، وصحت لها الحياة والرسوخ كأن
إسلام الحرم بعد فتح مكة هو الهدى عم هذا الدين بين العرب وسهل عليهم مفارقة
ما ألزموا في جاهليتهم ، فلولا ابتداع عمرو بن لحي لدين الحرم سالتا من الوثنية ،
فهم يكن لظهور مبادئها بمصر النواصي شأن ، ولم تروح هروقا في الجهات التي
صهرت بها ، ولم تقو على الانتشار بها إلى جهات أخرى ، ولم تتعاص على أي محارب
لها ، فكان المستول على هذه الوثنية هم أهل الحرم ، والمستول عنهم هو دينهم
عمرو بن لحي ، فكان هو أول من غير الحيفية بإطلاق

ومشركوا العرب كأغلب من قبلهم لم يكونوا يعتقدون في شركائهم أنهم يماثلون
الله في صفاته أو بشاركوه في إيجاد مخلوقاته ، وإنما كان شركهم شرك تقريب وتقليد
فقد أحمر عنهم القرآن أنهم يعبدون الله بالقدرة على الخلق والإيجاد وبالملك للعالم
طوبه وسعديه وصلفت أديارهم بإحاطة عر الله بكل شيء وحسابه الخلائق في
الدار الآخرة وما ذلك عليه الآيات من إنكارهم للبعث لا يوجب أن يكون
ذلك عقيدة لهم عامة ، فقد يكون عقيدة لبعضهم وقد يكون علامة للنفس وإجابة
لخواها في العرار من صبط الإسلام لأعماها وطمه لها من كثير من شهواتها ولم

ترد عقيدتهم في أوليائهم وشركائهم عن تعلفهم الآمال عليهم في تحقيق مآربهم من الله لما لهم عده في رعمهم من المنرة والجاه ، كما ينظر الفاس إلى من يتصلون به من حاشية أمير أو ملك في إسماعه مطالبهم

فأما عقيدتهم في أوليائهم الذين يسميهم القرآن بهذا الاسم وما اشركاء وبالشفعاء والآلهة ، فقد أهربت عنها آيتا يونس والرمز ، وما (وهمدون من دون الله ما لا يصرهم ولا يهضمهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله - والذين اتحدوا من دونه أولياء ما يقدم إلا ليعر موتنا إلى الله ذلي)

وأما عقيدتهم في ملك الله وقدرته فقد أصبحت عنها آيات منها في سورة المؤمنون (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأن نسحرون) ومنه في الرمز (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ومنها في الزحرف (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن لخلقهم العزيز العليم - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)

ولم تزل وثنية العرب من زمن عمرو بن لحي نطمي وتشتد وتنفشر وتمتد ، حتى هم امسك كل حي وماد وقلت الطاع جل ما للحياة من سن وأوصاع ، فكان احتياج تام إلى إصلاح عام يشمل الفرد والمجتمع ويردعهما أكل مبرح يرجع للعقول رشدها ، وللقلوب طهرها وللمعوس نقاها ، ولا يقوى ذلك الإصلاح على التعلب في ميدان الكفاح إلا أن يصدر عن نفس تنبت للعواذى التي تترار لها الرواسي ، وتدفع عنها عدوى الادياس ولو اختلطت بكل الناس ؛ ثم يقوم على أصول بحلوة كتبتك الشمس ثاباً وقوة لا نبلى الايام جدتها ولا تنهى الطبيعة مدتها بل تصور إليها العقول في رفها ولا تسره من الازدهان في هويها

ولقد من الرب الرحيم تنك الشمس ، فكانت مصر محمد المدة في الطهارة والقدس وتنك الاصول المخلوة فكانت آيات الكتاب المتلوة . هالك همم الإصلاح نهضت وأمع العالم دعوته (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ورون كانوا من قبل لى ضلال مبين)

الغلو في العبادة

الذي أوقع الجهال في الشرك والضلال هو المبالغة في تعظيم بعض المخلوقات حتى الحقوه بالتعظيم الخاص رب الأرض والسماوات . ومن هنا نشأت عبادة غير الله التي استحق أصحابها وصف الشرك واستوجبوا بها سخط مالك الملك عدت الحاجة إلى بيان معنى العبادة ليفرق بين ما هو منها شرعي وما هو منها شركي في المصاح . عدت الله عبده عبادة . وهي الانقياد والخضوع والتفاعل جاد واجمع عباد وعدة من كافر وكفار وكفرة ثم استعمل فيمن اتخذ إلها غير الله وتغرب إليه فقيل عابد الوثن والشمس وغير ذلك .

وفي معمرات اراغب . السودية إظهار التذلل والمادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الاتصال وهو الله تعالى ولهذا قال أن لا تعبدوا إلا إياه . ويقال طريق مبدء أي مدلل بالوطء وبغير مبدء مدلل بالقطران وعبدت فلاء إذا دلتته وإذا أقعدته عدداً قال تعالى أن عبدت بني إسرائيل ، وفي مروق العسكري ، الفرق بين العبادة والطاعة أن العبادة غاية الخضوع ولا يستحق إلا بعبادة الانعام ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود . والطاعة العمل الواقع على حسب ما أوردته المرید متى كان المرید أعلى رتبة من يعمل ذلك ومكون للعالم والمخلوق والعبادة لا تكون إلا للعالم والطاعة في مجاز اللغة تكون إباح المذهب الداعي إلى مدعاء إليه وإن لم يقصد التبع كالإيمان يكون مصيباً للشيطان وإن لم يقصد أن يطيعه وسكنه اسم دعاء وإرادته (ص ١٨٢) .

وذلك كلام هؤلاء الأئمة أولاً أن العبادة كعبادة غيرها وكيفها تصرف في الاستعمال نعم من الدل والسهولة لعدم ملوك دليل مارق والظرف المبدء سهل على المارة . وتفسير العبادة بالانقياد والخضوع لأنها لا رمان للدل والسهولة وتفسيرها بالطاعة توسع والمارة المعربة من العبادة هي ما يعرفه الجمع بين كلام المصباح أوله وآخره . وهو الانقياد والخضوع على وجه التغرب وثانياً

أن سبها الذي تستحق به هو الاسام والافصال وثالثا أن شرطها معرفة المعبود ورابعا أن مستحقها هو اقله وحده

والتعريف الذي استخلصناه من المصباح يتضمن ذلك كله فإن الاحياء والخصوع إلى أحد يعث عليهما الرغبة فيما يملك من نعمة والتفرب اليه يسدعي معرفته ، ثم من اعتقد انفراد الله بآدم ففرب اليه وحده بالعبادة ومن جعل بطن خير الله منهم بشيء اعتقد استحقاقه أيضا للعبادة فوقع في الشرك . فكان هذا التعريف أصدق عبارة عن معنى العبادة .

وإذا كانت العبادة هي الاضياء والخصوع على وجه التفرب فإن الإله هو المعبود تلك العبادة . فن قصرها على الله وحد وحده وعبد عبادة شرعية ومن وجد هذا المعنى في نفسه لعبرائه فقد اتحد ذلك المير الخا وكانت عبادة شركية سواء سماه الها أم لم يسمه بها وسواء عبر عن المعنى الذي في نفسه بالعبادة أم عبر عنه بعبارة أخرى ، فإن تسمية الشيء بمير اسمه لا يخل حقيقة ولا يغير حكمه ، وهل يتقضى الاسكار أو الحرمه عن آخر إذا سميتها ماء مطلقا ؟

وإذا تصورنا معنى العبادة فلتعرف بعض صورها المعبودة عند العرب ذلك أن عبادتهم لاصنامهم كانت بالمبالغة في تعظيمها والثناء عليها والطواف حولها والتفحص بها واتخاذ ما يذكر بها في صائرهم فلا يمار مسامح حتى يكون آخر ما يصنع في منزله التمسح بصفته ولا يقدم قادمهم حتى يكون أول ما يصنع اذا دخل بيته التمسح به أيضا . ومن صور عباداتهم لها ربايتها والذند لها وجعل نصيب لها في حروثهم وأصنامهم والذبح عدها ثم قسم ماذبح على الحاضرين واستشارتها فيما ينوون احدثائه ويعتقدون أنهم يكلمون سم ، ووضع الأقداح عدها للاستقسام بها وذلك من استشارتها فاذا عزموا على عمل أو سفر أو وقعت بينهم خصومة كانت الحكومة للاستقام بواسطة الأقداح فاذا استقسموا بها عملوا على ما خرج منها وانتهوا اليه . ومن ضروب عبادتهم لها الخلف بها قال أوس بن حجر

وماللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله من أكبر

وقد حكى الله عنهم نذرهم في حروثهم وأصنامهم فقال وجعلوا لله عما ذرأ من

الحريث والأفاعيل فقالوا هذا الله برحمهم وهذا شركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون

قال الحموي : كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأفاعيلهم وثمارهم وسائر
أموالهم نصيبا وللأوثان نصيبا فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين
وما جعلوه للأصنام أنعموه على الأصنام وحدها فان سقط شيء مما جعلوه لله في
نصيب الأوثان تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا ونسقط شيء من نصيب الأصنام
فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان وقالوا بها حاجة وكان إذا هلك أو انتقص شيء
مما جعلوه لله لم يبالوا به ، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما
جعلوا لله .

وكان عرض المشركين من هذه لعبادة النوق من المكروه والزجرى للمحبوب
ماتخاذ الأصنام وسائط بينهم وبين الله لا اعتمادهم أنهم أقل من أن يرحمهم الله
بدون نوسطها فاشتد لذلك خوفهم من الأصنام وتعلقت قلوبهم بها في الاستشفاء
والاستنقاء واستدراج الأموال واستنهاب الثرية ويعرف أحوالهم للأقدام
أو الاحجام على إتياء سحر أو عهد الكاح أو غير من

ومن العرب من أسكر هذه الأصنام قبل الإسلام منهم ريد بن عمرو
بن نفيل . قال

تركك اللات والعزى جميعا	كذلك يفعل الجاهل الصبور
فلا العرى أدين ولا استنبا	ولا صمى بى عم أرو
ولا هبل أرو و كان ربا	لنا في الدهر اد حلى صغير

ولكن لم يقتد هؤلاء العملاء المليين هيرم فلم يشركواهم ثمرة في المجتمع
حتى جاء الاسلام بعونه الروحانية ومبادئه الراسية فعلن القرآن أن التفرغ لعباد الله
ليل عرض من أفراس الحياة على غير الوجه المعتاد شرك بالله يبعد من رحمته
ويسرل شديد عنته وكشف عن هذا اضلال بصرف كثير من الأمثال في
سورة النساء (إن الله لا يعزب أن يشرك به وعز من دون ذلك لى يشاء) وفي
الحج (ومن يشرك بالله فكأنما حر من النار فتخصصه الغير أو نهوى به الراجح

في مكان صحيح) وفي المنكوت (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل
 المنكوت اتخذ بيتاً وإن أوهى البيوت بيوت المنكوت لو كانوا يعلمون)
 ونبي لما اتخذ الوسائط في قبول التوبة والجزاء على الأعمال فقال (ومن يعفر
 الذنوب إلا الله - ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء -
 إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون - إن إيلها إياهم ثم إن علينا حسابهم)
 قال القرطبي في تفسيره ، ليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه ولا
 أن يعفو عنه قال عياضاً : وقد كبرت اليهود والنصارى بهذا الأصل العظيم في
 الدين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) وجعلوا لمن أذنب أن يأتي
 المحقر أو الراهب فيعطيه شيئاً ويحط عنه ذنوبه أو يراء على الله (قد صلوا وما
 كانوا مهتدين)

ونبي الخوف من المخلوق بلا صب عاذى ، فقال عن إراهم (ولا أعاف
 ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً ، وسع ربى كل شيء علماً ألا تتذكرون ،
 وكيف أعاف ما أشركتم ولا تحافظون ، إنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً
 ماى المريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون)

وحكى ما دار بين هود وقومه بقوله (إن نقول إلا اعتراك بعض آلنا نضرب
 قال إنى أشهد الله واشهدوا إنى برىء مما تشركون من دونه فكيدون جميعاً ثم
 لا تنظرون) وخاطب حاتم الدين بقوله (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك
 بالذن من دونه ومن يصل الله قاله من هاد)

وأكثر نسبة النفع والضرب لى الله فقال (وإن يمسك الله ضرراً فلا كاشف
 له إلا هو وإن يمسك ضرراً فهو على كل شيء قدير - قل أفرأيتم ما تدعون من
 دون الله إن أراد الله ضرراً هل هو كاشفات ضرره أو أرادنى رحمة هل من
 يمكن رحمة قل ادعوا الذين رعون من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
 ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون ينادون إلى ربهم الوسيلة أيها أقرب ويرجون
 رحمة ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً

وكل أنواع ضلال المشركين قد تعددت فيها آيات القرآن وتنوعت لها أساليبه فكشفتها كل الكشف ووصفت أدواءها غاية الوصف ، وأمانت وجه الحق فيها أبلغ إبانة وأحات على سلوك الكمال لمن وفق إليه أجمع إعاة ، مولى الشرك إذ ذاك الأديار واحتق أيام ظهور القرآن عن الأصار ، فأصبح اسمه من أصاره بالأمس مهجوراً ولم يبق في مظاهره بالاحترام المذكور ، فلما احتفت هامع القرآن حلع عليه الشيطان ما شاء من ألوان وقدمه لنا بعنوانين أحمر غررت من لم يكن تحت راية القرآن والآثر ، فقلوا آثاره دون اسمه ، ولم يهتم إلباس للعار من اسمه بعد حياة رسمه ، ونمئل الشرك لهذه الحال بقول من قال :

تلك آثارنا ندل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

التبرك وصد الذرائع

إن الباحث في أسرار الحياة وما يحدث في هذا العالم من أحداث يجد لكل شيء سببا ، وينتهي الى الشعور بقوة هيبية تطلو عن الأسباب وتستعنى بها ويقتصر نفس اليها في تفسير الأسباب لتفسير الأعمال . . من أشهر مقومات الإيمان توحيد تلك القوة العينية وتخصيصها بالله ، وفي الذكر الحكيم (يا أيها الناس أقموا الصلوات على الله ، والله هو الغنى الحميد)

ثم إن من الأعمال ما تكون له أسباب خفية لا يدركها قاصر النظر ، يرى أن أصحابها ارتفعوا عن الحاجة الى الأسباب العادية ، وأصبحوا ذوي مكانة عينية وأولى منزلة خصوصية ، ومن لباس من تظهر على أيديهم وفي أحوالهم آيات يمر عنها المتكلمون بالمعجزات في حق الأنبياء وبالمكرامات في حق الأولياء ، فيكون هؤلاء الأنبياء والأولياء مظهراً من مظاهر قدرة الله تعالى يدعو المتبصر الى احترامهم والاعتناء بهم

ولضعاف الإيمان وقليل المعرفة وسطاء العقول أمام المرمقين ، أهل الآيات العينية وأصحاب الأسباب الخفية موقنان ، أحدهما اعتقاد أن دواتهم مصدر لتلك

الخوارق الحقيقية أو الوهمية فلا يضيع بها إلى الله وتأييدهما لإعتقاد أن لهم نفودا في إرادة الله ونعكاز في قدرته يستوجبان التوسط بهم إليه في تحصيل ما قصرت عنه الأسباب ومن اعتقد أحدهما الاعتقادين فقد اعتقد عقيدة الكلدان في الكواكب أو عقيدة العرب في الأصنام فكان مشركا صرفا وإن أشبه الموحدين في شيء من أقوالهم وأفعالهم الدينية .

وهناك موقف ثالث مع ذنبك العريقين وهو التشرك بآثارهم وأما كنهم وما يضاف إليهم في حياتهم من محو ثيابهم وحيواناتهم أو يلبس إليهم بعد مماتهم من مثل تماثيلهم وأبواب قسامهم ، وليس هذا التترك نفسه شركا ولكنه قد يكون ذريعة إليه كما وقع لقوم يوح في التترك مصالحهم والعرب في التترك بحجارة حرمهم وتشابه الناعت على الوثنية في أمتين سبها آلاف السنين مما يبعث على الحذر من هذا التترك ، ويقوى الظن في اعتصامه للتشرك

ونحن نشرح مادة التترك ثم نقف عليه مما جاء فيه اثباتا ونفيًا ، ونعقبه بوجه الجمع بين الروايات قال في الصحاح ، الحركة النماء والزيادة والتريك الهدم بالعركة .

وقال أراف ، الحركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء . قال تعالى لنعلمنا عليهم ركبات من السماء والأرض . وسعى بذلك ثبوت الخير فيه ثبوت النماء في الحركة والمبارك ما فيه ذلك الخير . ولما كان الخير الإلهي مصدر من حيث لا يحصى وعن وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة فهو عبادة هو مبارك وفيه بركة .

وفي كتاب الصلاة من صحيح البخاري ، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي (ص) ، ثم أسند إلى موسى بن هبة أنه قال ، رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي (ص) يصلي في تلك الأماكن ، ففي فعل عبد الله بن عمر وابنه إجماعان للتبرك بآثار النبي (ص)

وفي الموطأ وكتاب الحج من صحيح البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

أنه قال للحجر الأسود ، أما والله أنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
أنى رأيت البى (ص) استملك ما استملك ، هذا لفظ البخارى . وفيه نفي للتبرك
قال الباقى فى المتن ما خلاصته بن عمر الناس أن نفي ذلك الحجر إنما هو اعتقاد
بالرسول وليس تعظيما لذات الحجر أو لمعى فيه حتى يكون من تعظيم الجاهلية
أو أنها لا اعتقاد النفع والضرر فيها (٢٨٧ - ٢)

وفى رسالة الدع والنهى عنها أنه مؤلفها ابن وضاح قال ، سمعت هبسى بن يونس
مضى أهل طرسوس يقول أسرع من الحطاب يقطع الشجرة أنى يبيع تحتها
البى (ص) فقطعها لأن الناس كانوا يدهون فيصلون تحتها خاف عليهم الفتنة .
قال عيسى بن يونس وهو عندنا من حديث أن عون بن جعفر ، (ص ٤٢)

وقال الحافظ فى الفتح ، ثبت عن عمر أنه رأى الناس فى حجر يتبادرون إلى
مكان فسأل عن ذلك فقالوا قد صلى فيه البى (ص) فقال من عرست له الصلاة
طبصل والا فليصص فأما ذلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أسانهم فاتخذوها
كنائس ويصا (١٥٠ - ١) ورواه ابن وضاح فى رسالته شعوه وبين فى روايته أن
ذهاب الناس إلى مصلاه (ص) كان للصلاة فيه ثم نقل عن مالك وغيره من علماء
المدينة كراهية إثبات تلك المساجد وتلك الآثار للبى (ص) ما عدا قباه وحده ونقل
عن سفيان الثورى ووكيع وغيرهما من يقتدى به عدم تتبع الآثار والصلاة
فيها ثم قال .

، فليصصكم بالانواع لا يمة الهدى المعروفين فقد قال بعض من مضى كم من أمر
هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان مسكراً عند بعض من مضى ، ومتحجب
إليه بما يهتبه عليه ، ومتقرب إليه بما يبعده منه وكل بدعة عليها رية وجهية .
(ص ١٧)

فأنت ترى من هذا إثبات بعض الاحبار للتبرك ونفى بعضها له حتى أن عمر
وابنه لم يتواردا على التبرك فأفاره (ص) ومبرلتها عظيمة فى العم والدين وعمة
أكرم المرسلين ثم التبرك حيث أثبت فى روايات الابات قائما المقصود منه
طلب الزيادة فى ثواب الطاعة .

والترك هي هذا الوجه هدى معقول لأن ذكر الأسماء والصالحين ورؤية آثارهم مما يريد الموحدين خشوعاً وتعريفاً بتقصيرهم في طاعة خالقهم فتخلص بذلك عودتهم لله تعالى ، وحقيقة تكون الأثابة على عاداتهم أسمى ، وقبول دعائهم أرحم ، وطمعهم في نزول الرحمة أقوى

وروايات بني الترك غير معارضة لروايات إمامنا بهذا المعنى لأن السابقين إنما يقصدون الاحتياط على عقائد العامة أن تزيد كما سبق في توجيه مخاطبة عمر للجبر الأسود ، وأنه قطع الشجرة خوفاً من الفسنة ، وأنه حذرهم أن يهلكوا بقتل الأثاب هلاك أهل الكتاب والاحتياط من الضلال مشروع في أموات والصالحين عن طائفة أن النبي (ص) قال ألم ترى أن قومك حين سوا الحكمة اقتصروا عن قواعد إبراهيم قالت فقلت يا رسول الله أظن أنها على قواعد إبراهيم فقال رسول الله (ص) لو لا حدثان قومك بالكفر لطمحت

والله نفسي هذه الأقوال السابقة في مجموعها إن شاء الله تعالى وتوجيهها أن الترك مشروع ولكسبه مقدّم بقعود (أحدها) أن يكون الترك بفعل ساعة مشروعه كصلاة ودعاء رجاء القول وزيادة الاجر ، لا يحمل زاب أو محور وغيرها من أجزاء المكان المترك به أو الأشياء الموصوفة به ، ثم ثبتت عن الصحابة أنهم تبركوا بالتمسح بفصل وصوته (ص) ، لذلك سمعته بل أن منهم من شرب دم حماره (ص) ولكن لم يرد أنهم فعلوا محو ذلك مع غيره (ص) من حلفائه الرأشدين وأهل بيته الطاهرين فيكون هذا الصبر من الترك مقصوداً على ذاته الشريفة مقطوعاً بمحوه ثم لما إذا بطرنا لمناسبة التي فعل فيها الصحابة مع النبي (ص) هذه الأعمال هل لنا أن ذلك كان لغرض شرعي .

ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا عند قدوم معبر المشركين إلى النبي (ص) لعقد معاهدة صلح الحديبية فأرادوا أن يطهروا له مكانة النبي (ص) في قلوبهم ، وأنهم على استعداد تام للتصحية معه ويدل على ذلك أن هذا العمل لم يتكرر منهم ، ولم يكن عادة ثانيها أن لا يحمل ابتراك غيره على الترك ولا أن يدعو إليه فلا ينصب شيء للعموم يتبركون به (ثانيها) أن يتفق له المرور بمكان الترك لا أن يقصد إليه من بعيد

ويقتحم السفر من أجله (رائعها) أن يكون من المعرفة بدينه بحيث لا تفصله خطرات النفس ولا نزعات الشيطان ، لا أن يكون ضعيف الإيمان قليل المعرفة ، ولقطة اطلاعي لم أر من أفصح من هذه الشروط ، ولسكنها مفتحي العلم ووحى الصبيحة وقد كان النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم يحتاطون على الاعتقاد أى احتياط حتى لا يزل أو يكدر بالاختلاط .

قال القرطبي في تفسيره ، الفريضة عبارة عن أمر غير مجموع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في موع ، ويشهد لسد الفرائع من الكتاب والسنة فصوص وظواهر تقتصر منها على ما يلي :

قال تعالى (ولا تسروا الدين يدعون من دون الله فيسبوا الله هدوا بغير علم) فمنى عن سب الآلهة الباطلة حتى لا يسب الإله الحق .

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه

وبينما هو عبيد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن من الكبائر شتم الرجل والديه ، قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ، تحمل الثمر من لب الآباء كبناتهم . ولقد أصاب من قال

إن السلامة من سبى وجاراتها أن لا تحمل على حال وادبها

آثار الشرك في المسلمين

إن الأمة متى فقدت العام البصير والدليل الناصح والمرشد المهتدى تراكت على حقوقها سحائب الجهالات ، وران على بصائرهم قبايح العادات ، وسهل عليها الإيمان بالخيالات ، فافقادت لعالم طماع ، وجاهل خداع ، ومرشد دجال ، ودليل مختال ،

واردات هم حيرتها ، واختلت سيرتها ، وانست عليها الطرائق والعسكست لديها الحقائق ، فتهم العمل وتقبل المحال ، وتشرذم من الصواب وتأس بالسراب ، هذا يتقدم إليها بما له أسباب حمية ، فتراه تصرفاً في الكون ، وذلك يلقي إليها بأقوال محملة يترها كل سامع عن ما في نفسه فراه من عار العيب ثم تجد من قسميه عالماً بثبت قدمها في هذا الخيال ، ويرغم لها أن الحقيقة في هذا الخيال ، وفي مثل هذه الحالة جاء حديث الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا يقص العلم اقتراحاً بمنزعه من العباد ولكن يقص العلم بقص العباد . حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فصلوا وأصلوا .

ولقد سادت هذه الحالة العالم الإسلامي ، فأنهوا إلى جاهلية كجاهلية العرب في الدين لا في اللسان والبيان ، فقد ارتقى العرب أيام جاهليتهم في معرفة معاني الكلام والإبانة عما في أنفسهم بالألفاظ المؤدية لأصل المعنى ، ولكن المسلمين شغل انحطاطهم هذه الحاجة أيضاً ، فم يكرهوا مثل أولئك العرب في فصاحة اللسان ووضع الأسماء على مسيبتاتها ، فترام يعتقدون في الموت والقطب وصاحب الكشف والتصريف معنى الألوهية ، ولكن لا يسمونهم آلهة وبمحصون لاوياتهم ومحتونهم كحشة الله أو أشد ، ولا يسمون ذلك عبادة ، ويمرقون بينهم وبين من سماهم القرآن مشركين بأنهم لم يبدوا غير الله ولم يتخذوا معه إلهاً آخر كأولئك المشركين ، وربما ما رواه أنهم من الجاهلية الأولى بأن وصفهم بالشرك جاء من قبل اعتقادهم في الخلق وغير الصالحين من العباد أو أن أحداً غير الله يماله في الخلق والإيجاد ، ويقولون عن إيمان يعتقد في الصالحين الأخيار أن الله جعل لهم النفع والعسر في هذه الدار وتلك الدار ، فهم يعطون أو يمنون وبأيديهم مفاتيح غيبه وتحت قبضتهم حزائن فصله ، يملون الأمطار متى شاءوا ، ويعافون من أحبوا ويستلون من أبغضوا ، ويهون لمن أرادوا دكوراً أو إناثاً أو يروجونهم دكراناً وإناثاً ويجعلون من غضبوا عليه عقيماً .

وتأمل في حال مسلمي اليوم تجد منهم من ألهموا الخلق وعبدوه ، وتبرهم من

اللفظ إنما هو لصورة حكمه الشرعي وجهله المعنى اللغوي وما مأزوا به أنفسهم عن الجاهلية الأولى فراراً أيضاً من حكم الشرك الذي هو ضروري وجمل يمدلوله في شرع ولوصح ، وقد كشفت العطاء على معنى الشرك وصور ما حقيقته عند العرب ومن فليهم في أصول مرت ، فارجع إليها ترى تلك التفرقة غير محدية عند الشارح ، ولا صحيحة في الواقع

إن ما وقع فيه العرب ومن فليهم يقع فيه غيرهم بعدم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدين والمألوا في الشرك ما الصالحين بن الله يقول : سه الله التي قد حلت من قبل ولن نجد الله تدلا وعناء الاحتجاج يقولون : التاريخ بعيد نفسه ، وسكلمون يحكمون بأن ، ما جرى على انزل يجري على المائل ، فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدين إلى جهالة أشركين ، فمحاوله قترنتهم من الشرك عش وتصلل ، وجحد للشرية وتعطل . ألسنت ترى في أوساطهم قبايا تدل في شيدها الاموال وتفسد لزيارتها الرجال ؟ أم لست تسمع منهم استعانات وطلب حاجات من العائنين والاموات

والخبر بحياة أهل عصره العام بأصول دينه لا يرد في ظهور الشرك وانتشاره وتعدد مظاهره وآثاره . والعامى المطري لو سأله وأهمته لو حدث عنده الخبر اليقيني لإثبات أن أمثاله - وما أكثرهم - في ضلال مبين هذا إعمال تفصيله فيما بعد من الفصول .

وارجع البصر نحو أركان الاسلام احسن ، التي ليس في كونها عادة ادس ، هن تجمد المسلمين بأبوابها على وجهها أم يحصون بها الخلق جل وعلا ، إنك تهمهم يشهدون شهادة الإخلاص ثم لا يخلصون لله ، بل يمزعون لأوليائهم ويحشونهم حشوة بألية ، وتراهم يصلون ولكن لا يحشون إلا من يدي من به يتبركون ، ويتساهلون في إحراج الركوات وينشدون في الوفاء مع يدرون للزائرات والمعلمات ، فهل يفرق مع هذا بين جاهلية عصر الوحي ، وجاهلية زمن الاستعباد والبغي

لا فرق بينهما في الجهل بما ينال التوحيد ولا في الانسلاخ بالمتدعين والجاهلين

ولا في التبرك بالآثار اجتناء من الاقدار ، ولا في التقرب من الاحجار والفور من
 المرشدين الاخيار ، ولا في عصيان من حلقهم وعادة ما يحتوه ، ولا في افتراق
 السكينة والاقسام إلى شيخ متعادية ، أما القل والخوف والعقر حفظ رعاتنا منه أو فر
 إن لم يحمر أعضاؤنا في هذا مكان للانصاف وشعور بحب السلامة اعترافنا
 بداتنا ونحشا عن دوائنا ولاداء إلا ما رل بالعقول من الجهالة وران على القلوب
 من الصلاة ، فلا عر بما يصحح نقيضة لا شعور بما يعث على العسيلة إلا من
 رحم ربك وقليل ما هم ، وعلى قلوبهم لم يعرفهم العامة فتحتهم في العقد والسيرة ،
 ومن عرفت منهم تعرف عبر أسمائهم ما كتبت بمحرد محبتهم ، فهي لا تفتح أبصارها
 إلا على ماطر الدهشة واجتماعات التدجيل ، ولا تعرف بآثارها إلا الاعتياد عن
 البركات التي ألصقها اليوم ببعض الخانات ، أو من يرون لهم من الناس خصوصيات
 ولا تعد من صالح أعمالها الذي بعده ليوم ماها إلا المباشرة في تعظيم آباء وشيوخ
 وكل ما يحمل قدمها راسحه في الشرك والرديلة كل الرسوخ ، أما المر والامن ، أما
 السيادة والعمى ، أما الإبناء وانتم فتلك صفات ذهبها أمر وتوارث عن الحسن
 لم يعرفها جيلنا حتى يشدها ، وم يتدوقها حتى يأم لفقداء ، بل انعكست حقائقها
 لديه فيما انعكس عليه من الحقائق

ولاية وولاية

الولاية والكرامة من الالفاظ الدينية المشهورة عند العامة ، ولكن الناس علمهم
 المع الشرعي لها بالمدلول الشرعي ، وسنعمل ذلك الانبساط لتبصير الناس أهل الرهد
 في العلم والحرص على المال من رؤساء الطرق وكل من شايعهم وحدهم من علماء هم
 أضل من الجهال وليسوا بتلك الالفاظ على التقاد والوعاط ، فكادوا يلبدسون
 دعوة المصلحين غير لباسها ، ويصلون إلى أمتهم في نقصها من أساسها ، ولكن الثقة
 بالله حص لا يقرص وسفته في علو الحق هي الباطل ثابتة لا تنقص

الولاية بالفتح العرابية والعصرة يقال بينهم ولاء ، وبالكسر الموالاتة والمتابعة ،
 تقول أفعل هذه الاشياء على الولاية وتوالي عليه شهران ، والموالاتة بين شخصين
 تكون أيضا مضافة للعبادة

وإذا أجدت النظر فيما جلساء أئمتنا مرجع الولاية إلى الصرة والعون في محبة
وعطف وإنا أطلنا فيما تقدم من تفاصيل اسم لائها لسهل عليك فهم تصرفات
القرآن فيها اثباتاً ونظراً ومدحاً وذكراً

فقد اثبتنا تعالى بين الكفار والشیاطین علی معنى الخدم لهم فی آیات منها انشاء
فقانوا أولیاء الشیطان فی الاعراف أما جعلنا الشیاطین أولیاء للذین لا یؤمنون -
انهم اتحدوا لشیاطین أولیاء من دون الله ویحسبون أنهم مهتدون - فی الآفل
والذین کفروا بعضهم أولیاء بعض - وهذا الصرب من الولاية موالاة دنیویة غیر
خالصة ولا بامنة فی الاخری لقوله تعالى فی أهلها تحبهم جمعاً وقلوبهم شقی -
کمثل الشیطان إذ قال للانسان ا کفر فلما کفر قال ان یرى ملک - یوم لا ینبى
مول من مول شیئا

وبماها تعالى بین المؤمنین والکافرين ونهى عنها فی مثل آیات العقود والامال
ورامة والممنعة فقال یا ایها الذین آمنوا لا تتحدوا اليهود وللعاری أولیاء
ولو كانوا یؤمنون بالله والذین واما ازل إلیه ما اتحدوا أولیاء
یا ایها الذین آمنوا لا تتحدوا الذین کفروا إخوانکم ان الله ان استعجبوا الکفر
عن الایمان - یا ایها الذین آمنوا لا تتحدوا عدوی وعدوکم أولیاء تلقون
إلیهم بالمودة .

وأثبتنا بین المؤمنین تشریعاً وتشریعاً فی مثل ما فی الآفل ورامة . فقال إن
الذین آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فی سبیل الله والذین آمنوا
وصبروا أولئك بعضهم أولیاء بعض - و المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولیاء بعض .
وحصر تعالى نفسه بها وأطل ولاية غیره فی آیات بالبقرة والأعام والأعراف
وهود و یوسف والشوری فقال والله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات إلى
النور والذین کفروا أولیاءهم الطاغوت یرجعونهم من النور إلى الظلمات -
قل أغير الله اتحد ولیاً فاطر السموات والأرض وهو یطعم ولا یطعم -
ولا تتحدوا من دونه أولیاء إن ولی الله الذی نزل الكتاب - وما لکم من
دونه من أولیاء ثم لا تنصرون

واحتصن تعالى من حلقه طقة سماهم أولياء وأنى عليهم وبصرهم فقال في سورة يونس إلا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم الثرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وابس بين كل هذه المواضع عارض من هي تجري على سنن من الارتباط إلى غاية من تبيين فالولاية بين العباد مع الله العاصر والتعاون بما يملكون من أسباب النصر والاعانة حسب حرى العادة وذلك مدح في الحق والخير ، مذكوم في الباطل والشر يمكن في الدنيا بين الأعداء وبين العباد وتحتصن الولاية بالله إذا كانت للعامل من وليه إذا قام به وأعانه ونوى حفظه ورعايته لأنه تعالى هو القائم على كل نفس بما كسبت ولناصر للعد الذي يري له الأسباب لمادية وبعينه بما هو عارض من الأسباب وما طلع به فيما يلزم به من انحد ولما عير الله بهذا المعنى بعد انحد معه شريكاً ولهذا قال في سورة الزمر هو قائم على كل نفس بما كسبت؟ وجعلوا لله شركاء ويشاركه غير الله به فيها إذا كانت للذمومول فان العبد يوالى الله وأولياءه معنى إيماء وليس كالله ورسوله ولدين آمنوا إنما الولي الذي نوالونه وتولونه لقوله بعد ومن يتولى

والأولياء الذين شرفهم الله بأصنامهم إليه في سورة يونس بصرح كما قال المسكرى أن يكونوا بمنى العاقل لصرهم دين الله والدعاة إليه وأن يكونوا بمنى المفعول لأن الله هم على الإخلاص في إصاغة وعى التدبير بهم من جمع إلى صحة العميدة القيام بما عارضوا وأوقوف عند الحدود والتردد بالوفاق وهذا معنى وحدهم في نفس الآية بالأيمن والتقوى ووضعهم في غيرها بالأيمن مع الإسلام أو مع الاستقامة أو مع الأمن لصالح أو مافى معنى ذلك، قال تعالى في القرة وفي الحسن وفي امرؤى فصلت وفي رحرر : شر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وفصل هذا المعنى أول سورة فم أطلح المؤمنون وحكم لاهم بقوله أوئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ووردت في هؤلاء الأولياء أحديث أشرفها كما قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم حديث البخارى : من

عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى الوسائط حتى أحبه فإذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لآعطينه ولئن استأذني لأعبدنه، قال المشرك في باب الولاية من رسالته ، الولي له معنيان أحدهم فعل بمعنى معول وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره قال الله سبحانه وهو يتولى الصالحين فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثاني فعل بمعنى من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وسنناته بمصادقه تجري على التوالي من غير أن يتحلها عصان ، وكلما الوصيين واجب حتى يكون الوالي وليا ،

وسراده يكون عبادة الولي لا يتحلها عصان أنه إن وقع منه الذنب تاب ولم يصر عليه كما صرح به في موضع آخر . وقد قال تعالى إن الدين انقوا إذا مسهم طائف من الفساق تدكروا فإذا هم مبهورون ، وإياهم الله يمتحن لاستحقاق العهد والولاية ليعلم أحسبهم منكم وأما الذي من كسبه هو الوصف الثاني بمعنى الفاعل والسكنى متى صدق العهد به أتم الله عليه بالوصف الآخر الذي بمعنى المعول

وإذا عرفت معنى الولي فرعا من القرآن والحديث وكلام أهل السنة والجماعة فإليك أن تعدو ذلك الحد فإني إن كنت تؤمن بكتاب الله وما صح من بيده (ص) وحق الولي حقا على العباد أن يوالوه ولا يعادوه وأن يحرموه ولا يعصوه وأن يحترموه ولا يهينوه فقد جاء عنه (ص) الحب في الله والبص في الله من الإيمان أحمره أبو داود وهيره عن أبي أمامة (رحم) ومن أحب أحدا احترمه وتقديم حديث البخاري في الأولياء وشدة نوحه من آدام وعادام، وعد أن حجر الهيثمي في الزواجر معادة الأولياء في الكناز

والولاية راجعة في الحقيقة إلى أسباط لا يعلمه إلا الله فربما ادعت الولاية لمن ليس بولي أو ادعاه هو نفسه أو أظهر خارقة من الخوارق لكنها سحر أو شعوذة لا أنها كرامة قطعا من لا يفرق بين الكرامة وخبرها كرامة ويعتقد

أن صاحبها ولي بعض صلالاً بعيداً . هذا كلام صاحب الاعتصام (٢ : ٨) ثم من صحت ولايته فهو من أهل الجنة مطلقاً . ولكن لا يجوز لأحد بالجنة إلا عن نص وارد فيه حديث أم العلاء . فصار به ههنا الجارى أنه لما نوى أبو السائب هذين من مظهرين ودخل عنده لى (من) قال : رحمة الله عليك أ. السائب ، شهادتي عليك لقد أكرمك الله به هر وجن . فقال رسول الله (من) وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ فقلت لا أدري أي أنت وأي ، فقال رسول الله (من) أما هو فقد جاءه اليقين من ربه وبنى لأرجو له الخير ، والله لا أدرى وأما رسول الله - ما يفعل ، قالت فقلت والله لا أركى أحداً بعده أبداً .

قال الحافظ ركن كثير بعد إيراد في تفسيره عن الجارى وأحمد ، وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا بالبرهان نص الخارج على تعييمهم . (٧ : ٥٧) . وإذا لم يجر لنا الجرم لأحد بالجنة مع عدم ورود نص فيه لم يجر لنا الجرم بولايته . قال القرطبي في تفسيره : قال صباؤنا رحمة الله عليهم . ومن أظهر الله على يديه من ليس منى كرامات وحوارق للمعادت ، فليس ذلك دالاً على ولايته ، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة .

ودليلنا أن العلم بأن الواحد ما ولى الله تعالى لا يصح إلا بعد العلم بأنه يموت مؤمناً . وإذا لم يعد أنه يموت مؤمناً ، فكيف يمكن أن يقطع على أنه ولى الله تعالى (١ : ٢٩٧) . ثم يحسن الظن بمن صلح طاهره ونزحو له الخير .

وقد نقل القمى الراى في تفسيره عن المتكلمين أن ولى الله من يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المس على الدليل . ويكون آتياً لأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة (٥ : ١٤) . وعصمه أن الولاية تقوم على ثلاث قواعد : إحداهما الإيمان لصحيح ، وثانيها العدل الخالص لله ، وثالثها مواجعة السنة ، فمن طهرت عليه هذه الأشياء وتحقق في حقها هو الولي الشرعى

أما الولي عند الناس اليوم فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ، ولو كان في جملة بيته مبادياً حمداً ، وإما من اشتهر بالكهانة ولو تظاهر بترك الصلاة

وأعلى شرب المسكرات وأما من انتهى إلى مشهور بالولاية ولو كان إما حياً لا يحرم
حرماً، وحق هؤلاء الأولياء على الناس الجرم ولا تتم وعدم التوقف في دخولهم
الجنة ثم الطاعة العمياء ولو في معصية الله، وبذلك أمال لهم ولو أحل بحق زوجته
وصيته، والثقة بهم ولو حلوا بالحریم وبعد هم المطلوبون في كل شدة ولكل عثم
هم عدة، وهم حماة للأشخاص والقرى والمدن كبيرها وصغيرها، حاضرها وباديها
لأن قرية بلغت ما بلغت في الدابة أو الحصارة إلا ولها ولي نفس إليه، يقال سيدي
فلان هو مولى البلد الفلاني، ويجب عند هؤلاء الناس أن يكون علماء الذين خدموا
لهؤلاء الأولياء، مفيرين لأعمالهم وأحوالهم، غير مسكرين لشيء منها، وإلا أودوا
بصروب السباب ومستفحج الألقاب، وصلوا الثقة بغيرهم، ووشى بهم إلى الأحكام،
وذلك حظ الدعاة إلى السنة من متدعي هذه الامة

قال أبو إسحاق الصافي في الاعتصام، إن شأن البدعة في الواقع الحرام على
أن لا تزال من موضعها، وأن تقوم على تاركها القيام، وتطلق عليه السنة املامة
ويرى بالتسفيه والتجهيل، ويعبر بالتدريج والتفصيل ضد ما كان عليه سلف هذه
الامة والمقتدى بهم من الأئمة

والدليل على ذلك الاعتبار والنقل، فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالكبر
عن أهل السنة إن كان لهم حصنة أو نصفا سلطان تجري أحكامهم في الناس ونعت
أوامره في الاضمار، ومن طالع سير المتقدمين وحد من ذلك ما لا يحصى وأما
النقل فاذكره السلف من أن البدعة إذا أحدثت لا تزيد إلا مصيبا (٢٠٧)

إن الولاية العامة التي صورناها ولاية مدية مركبة، يهي الله عن اتخاذها بمثل
قوله (ولا تبغوا من دونه أولياء)

قال الهوى: أي لا تتخذوا غيره أولياء لطبوعهم في معصية الله، وهو تصير
بما هو أحق في الشرك، بشير بالاولى إلى المنع من الاعتماد عليهم فيما هو خارج
عن الاسباب العادية، وقد سئل الجلال السيوطي عن قول الناس: مالي إلا الله
وأنت، هل يجوز عملا بقوله تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من

المؤمنين ، فأجاب بأن ذلك القول لا تعهد لصحته الآية ؛ لأن قوله ومن أتبعك
مطوف على الكاف لا على لفظ الجلالة ، فيكون المعنى أتبعك وحسب من
أتبعك ، واستدل لعدم الحرار بما ورد أن رجلاً قال لشيء ما شاء الله وشئت ،
فقال له (ص) بل ما شاء الله وحده . وجواب السيوطي ذكره في الحاوي (٣٣٧٠)
عم العلاء النحوي الفرق بين الزلازل والخرعة والخرقة - فأعلموا به ، وجهله
حضورهم المعرضون ، وأحماء من علمه منهم إثارة لدماء يصبها أو امرأة يسكبها
شوهوا ، موهوا ، ولبسوا ودلسوا ، وهدعوا وشعروا ، وأروا وودوا ، ولقن
ذلك من أعماء الفرص ، كل من في قلبه سرور ، ثم اعتروا ههنا بهوسهم بالمحافظة
على هفيدة أهل السنة والجماعة ، وما سئتم إلا سنة القبوريين والطريقين ، وما
جماعتهم إلا جماعة المعرورين والطاهين

ونصيحتنا لهؤلاء أن يرمعوا على أسمهم وسألوا أهل الذكر عن حقائق دهمهم
ويعلموا في طلب الحق عني أن يوفقوا لظفر به ولا يهدعوا في عنائهم المرشدين
فإنهم هم من الناصحين ، ومن عاقبة سكوتهم وصلال أبناء دهمهم مشفقون ، وأن
لا نستعمل أهراسهم ، فإن إذايتهم بحارة للدين

الكرامة

حكرم الشيء بضم اراء كرما بفتحين وكرامة إذا عصى وعبره كرم وله على
كرامة أي عزارة ، وكل شيء شرف في ما به فإنه يوصف بالكرم ، ولا يقال في
الإنسان كرم حتى يظهر منه أحلاق وأعمال محمودة
فإذا عرفنا الكرامة في الله سهل علينا أحد معنى للنسبة منها ، فيكون في
الشرح عبارة عما يصل من اسم إلى الولي ويظهر عليه من صكك نافع عزيز بنفس
شريف وقد اختلف علماء الكلام في تحديد هذا الوصل من الله إلى الولي ،
والمرروف من الأشاعرة في ذلك ثلاثة أقوال على طرفين وواسطة ، والطرفان
لأن إسحاق الأسفراييني وأبي بكر الباقلاني ، والواسطة لأن القاسم القشيري .
فأما أبو إسحاق فيقول . إن الكرامة لا تبلغ مبلغ حرق العادة ، وإنما هي إجابة

دعوة أو موافاة ماء في غير موقع الماء أو نحو ذلك وأما الثلاثي ومن معه
فهم أولون كل ما حا أن يكون معجزة لهم جاز أن يكون كرامة لوى من غير
استثناء ، ومعنى لالباس بالاهروقة ن إلى سطة

وأما غشيري فيصد إصلاق الثلاثي وموافقة ، قال في باب كرامات الأولياء
من رسالته ، ثم هذه الكرامات قد تكون بجاه دعوة ، وقد تكون بإظهار طعام
في أوان دونه من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء في زمان عطش أو سبيل قطع
مسافة في مدة قريبة أو تخليص من ضرر ، أو سماع أصوات من هاهنا أو غير ذلك
من فنون الأعمال النافعة للعامة

وقد السوي في فستان العارفين للكرامة بأن لا تؤدى إلى رفع أصل من
أصول الدين ، من هلال في شرح رياض الصالحين (٣٦٢) وهو كقول
أن إسحاق في موافقات ، لا يصح أن تراعى وعنه ، لا شرط أن لا نخرم
حكما شرعيا ولا قاعدة دينة ، فإن ما نخرم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ليس بحق
في نفسه ، من هو ما حال أو هو ، وإما من إلقاء الشيطان ، (٢ : ٢٦٦) ولا
ذلك أن هذا العهد مراد لأصحاب الأقال الثلاثة

وبعد فمن شدة كرامات الأولياء ولا يفيد من رغبة العمل فطرة الله بوع منها
والكفا بقيدها من طريق الشرح بعد ما أعلنا الله أنه من خواص الألوهية حتى لا يعلو
فيها علواً يسمى إلى تشريك والعباد بالله ، وإيست الكرامة هي دليل الولاية
للباشا على كثير من الناس بكرامة ، بل الولاية هي دليل الكرامة وليس
للكرامة تأثير في الأحكام الشرعية ، ولكنها كما قال أبو إسحاق في موافقات
ويعيد لأصحابها فمساويع بالله تعالى وهو فيها م عليه ، (١ : ٨٥)

التصرف في الكون

التصرف في الكون حص لله سبحانه ، قال تعالى (ليس لك من الأمر شيء -
قل لا أقول لكم عدى حران الله ولا أعد العيب ولا أقول لكم إن ملك
قل لا أمك لبعضي صفة ولا ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أهم العيب لاستكثر

من الخير وما من السوء - إلك لا نهدي من أحدث - وقد خزان
السموات والأرض

ومن وقف على مقاصد الكثير من عواما في نسبة الأفعال إلى الأوليا وتصرفهم
في الكون يشك في أهم معتد، أن الأولياء أعزاء على الله ، وقد فوس إليهم
النصرف وأبائهم عنه فيه ، فما قصوره للناس وانقم الله عليه ، بل منهم من ينتهي
به الأمر إلى أن يعتقد في الولي أنه يفعل ما يعمل بهوة لا بقوة الله ، ونجد من
المخذولين من يدعي ذلك نفسه

علم الغيب لله وحده

في ممرات الزمان ان ما غاب عن الحاسة وعلم الإنسان هو غيب ، وفي متق
الباحي ، الغيب هو الممدود وما غاب عن الناس ، (١ . ٢٣٤) وفي أحكام ابن العربي
، حقيقة الغيب ما غاب عن الحواس بما لا يرسل إليه إلا بالخبر دون الطر ، (٥١)
وقد جاءت آيات وأحاديث في إيراد الله وحده بعد الغيب ، وهي كثيرة ومقتصر
هنا من الآيات على ما في الإمام وعمل والجن ، قال تعالى (وحده مدح الغيب
لا يعلمها إلا هو - قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله - عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه أحدا ، لا من ارتضى من رسول) ومن الأحاديث على حديث
ابن عمر عبد البعاري وعائشة عند مسلم ، فاسى في البحارى قوله صلى الله عليه وسلم
، وما تبع الغيب حسن لا يعلم إلا الله ، إن الله عده عر الساعة ويرى الغيب ويعلم
ما في الأرحام وما تدرى من ماذا تكسب عبدا وما تدرى نفس ماى أرض تموت
إن الله عليم خبير - ورواه أحمد ، وأنها معابح كل شيء إلا الحسن ، وذكر
الآية - والذى في مسلم هو قول عائشة ثلاث من تكلم بواحدة ممن فقد أعظم على
الله الفرية ، أو أن قالت في ما ان الثالثة ، ومن زعم أنه يحجر بما يكون في عده فقد
أعظم على الله الفرية ، والله يقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)
وحكى ابن الحاج في حاشيته الاتفاق على كفر من يقول إن الأسماء يعلمون
ما كان وما يكون إلى يوم القيامة - وبعل بن حجر الهيثمي في رسالته الاعلام بقواطع
الاسلام عن الراهمي وغيره كفر من ادعى علم الغيب

الكهانة والطيرة

الكهانة مما فيه معنى العيب ، ومنها في ذلك العرافة والنبافة والطيرة والعارف والتنجيد . قال في القاموس ، كهن له كبح وصر وكرم كهانة ، الفصح وسكنه نسكها قصى .
هو بالعيب فهو كاهن وجمع كهنة وكهان وعرفته الكهانة ، كسر ،

وفي المصباح ، العراف منقلب عامو المعجم والكاهن . وفي العراف ينحصر عن الماضي ، والكاهن ينحصر عن الماضي والمستقبل ، وفي معررات اراعب ، لكاهن هو اندي ينحصر بالأخبار الماضية الحفوية مصرب من لطن ، والعراف الذي ينحصر بالأخبار المستقبلية على نحو ذلك ،

وفي معالم السن للخطاط ، الكاهن هو الذي يدعى مطالعة عم العيب ، وينحصر الناس عن الكوائن ، وكان في العرب كهنه يدعون أنهم يعرفون كثير من الأمور منهم من كان يعرف أن له رؤيا من الجن ، وبه تنبأ إلى الأخبار ، ومنهم من كان يدعى أنه يستدرك الأمور بهم أعطيه ، وكان منهم من يسمى عرافا ، وهو الذي يعرف أنه يعرف الأمور بمفسمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة وتتهم امرأة بارتكاب فمرف من صاحبها ونحو ذلك من الأمور ومنهم من يسمى المعجم كاهنا ، (٢٢٠ : ٤)

والعبادة الرجاء قال في القاموس ، وعدت لطير أعانها عبادة رجرتها وهو أن تعتبر باسمائها ومنعها وأوتائها فتشع أو تشاء ، والعائف اسكنه بالطير أو غيرها ، ونحوه في الصحاح لكنه قال وأصواتها مكان أباؤها

والطيرة التشؤم يقال بطيرت من الشيء وبالشئ إذا تشاءمت به كما في المصباح . وقال الفر في تروقه لتطير هو الظن الشيء اسكن في القاب والطيرة الفعل المرتب على هذا الظن من فرار أو غيره (١٣٨ : ٤) وقال الخطاط في الفصح أصل التطير أنهم كانوا في الجماعية يعتمدون على طير فإذا حرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طارحه نيمس به واستمر وإن رأى طار يسرة تشاءم به ورجع ورما كان أحدهم يبيع الطير بطير فيحتملها وليس في شيء من ذلك ما يقتضيه ما اعتدوه

وإنما هو تكلف بما طغى ما لا أصل له إذ لا مطلق للطير ولا تميز فيستدل بفعله على مصدور معنى فيه وطلب العلم من غير مصاه جهل من فاعله وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينسب الطير وينسج بتركه وكان أكثرهم يتطايرون ويعتمدون على ذلك ويصحح معهم عاباً لئلا ينسب لشيطان ذلك وتثبت من ذلك مقاييس كثيرة من المسلمين والعلما عكس الطائفة وقد يلتبس بها فليحقق بها فاصل الحال المستحسن شرعاً أن تسمع كلمة موافق ما أتت بهده وتعتك على أمضى فيه قال في المروق : وأما الحال الحرام فقال الطاطلوشي في تعليقه أن أحد العال من المصحف وحرب الرمل والفرعة والحرب بالشمير وجميع هذا النوع حرام لأنه من باب الاستقسام بالأرلام والأرلام أعماد كانت في الجاهلية مكتوب على أحدها أعمل وعلى الآخر لا تفعل وعلى الآخر عفل ، فخرج أحدهما قال : حد عليه أعمل أقدم على حاجته التي يقصدها ، أو لا تفعل أعرس بها ، اعتقد أنها ذميمة أو خرج المكتوب عليه عمل أعاد الحرب فهو يطلب قسمه من الممتنك الأعوان فهو استقسام أى طلب القسم الجيد يسمى والرديء يترك . وكذلك من أحد العال من المصحف أو غيره ، بما يقصد هذا المقصد إن خرج جيداً أمه أو ردياً اجتنبه فهو عين الاستقسام بالأرلام الذي ورد القرآن بتحريمه بحرم وما رأيت حكي في ذلك خلافاً

عن أبي هريرة (رض) أنه (ص) قال من أتى كافراً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد . أخرجه أحمد ومسلم ورواه الترمذي عن جابر بن عبد الله مرفوعاً

وعن عائشة قالت سألت رسول الله (ص) ناس عن الكهان فقال ليس بشيء ، فقالوا يا رسول الله أهم يحدثون أم لا ، شيء ، فكانوا حقاً فقال رسول الله (ص) تلك أنكبة من الحنن يحطمها الجحش فبئس ما في أدن وليه فيحطون معها مائة كدبة أخرجه الشيخان وقوله يقرها يورن يردها من المر وهو تديد الكلام في أدن انحاط حتى يهيم .

وعن ابن مسعود (رض) أنه (ص) قال الطيرة شرك وماما إلا تطير ولكن الله يذهب بالنوكل أخرجه أبو داود وأبو داود وأبو داود ومحمد هو وابن حبان وابن الحافظ

في المتع أن قوله (وما هنا) من كلام ابن مسعود

وعن ربيعة بن ثابت (رض) أنه (ص) قال من ردت عليه الطيرة عن شيء فقد
قارن الشرك رواء البراء عن شيخه إبراهيم بن مسعود وفيه سعيد بن أسد بن موسى
روى عنه أبو زرعة الرازي ولم يسمعه أحد وبهذه رجالة ثقافت قاله في مجمع الرواة

وعن أبي هريرة (رض) أنه (ص) قال لا طيرة وحيرها المال فلو أوما المال
قال الكلبة الصالحة يسمم أحدكم أخرجته الشيخان وفي فتح العبد عن الحلبي
وإماما كان (ص) يحب المال لأن الشاؤم سوء طي ماله فعلى بعض سبب محقق

والشاؤل حسن طي به والمؤمن مأمور بحسن الطي بالله تعالى على كل حال
وعن عمران بن حصين أنه (ص) قال ليس من نصير أو نصير له أو تسكن
أو تسكن له أو سحر أو سحر له رواء الطرافي وفيه اسحق بن الربيع العطار
وثقه أبو حاتم

وعن ابن عباس (رض) أنه (ص) قال من أفسد علم من النجوم أفسد شعبه
من السحر راد ما راد رواء أحمد وأبو دود وان ما جده بإسناد رجالة ثقافت وصحة
السوى في رياض الصالحين قال ابن رسلان في شرح لسنن والمصنف هه ما يدعيه
أهل التنجيم من هذه الحوادث والكلمات التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان
وبرحمون أهم يذكرون معرفتها بسر الكواكب في محاربهها واجتماعها وافتراقها وهذا
تعاط لهم استأثر الله به وأما علم النجوم الذي يعرف به الرول وجهة السلة
وكم مصى وكم بي فغير داخل فيها سوى عنه ومن المصنف عنه التحدث بمصنفه المصنف
ووقوع الثلج وهبوب الرياح وتغير الأسفار والله الشوكاني في بيل الاوطار

وقال (ص) العياضة والطيرة والطرق من الجلبت رواء أبو داود والسناني وابن
حنان في صحيحه وحسنه في رياض الصالحين، والجلبت كل ما عد من دون الله ويطلق
على الساهر والكاهن قاله الراغب في مفرداته والجوهري في صحاحه

وبما قاله الشعراء في هذا الباب قول لبيد

لعمرك ما تدرى الطوارق بالخصى ولا راجرات اصير ما الله صانع

التيميم

هي ما يعلق على الإنسان سدع الآفات عنه ، وأكثر ما تعلق على الرضع .
ويقال فيها عودة بالصم ومعادة بالصم ومويدة ، تقول تعلق عوذ ومعادة ومويدة
كما تقول تعلق تيممة وفي القاموس ، التيممة حررة رقطاء نظام في العنق ،

وتعلق الثائم من من الجاهلة يعتقدون أنه سدع عنه آفات قال أبو ذؤيب الحذلي
ولدا المية أظمت أظفارها أظمت كل تيممة لا تنفع

ولما في هذا التعتيق من الجاهل إلى غير الله في حلب الحبر ودفع الصرع عما يحمله
الله سبباً لذلك جمعه الإجماع من الشرك . فيه حديث أن حريرة من تعلق شيتا
وكل إليه ، وذلك كاف للؤمن في العور من هذه الخاتم ، ووردت في الموضوع
أحاديث يقصر على بعض ما جاء منها في صحيح الرواة

عن حفصة بن غامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .
من يعلق تيممة فلا أثم الله له ، ومن يعلق ودعة فلا ودع الله له . رواه أحمد
وأبو يمين والطبراني ، وحالهم ثقات ، وذكر في فتح المحدث أن الحاكم رواه أيضاً
ومحضره وأقره الذهبي (ص ٨٦)

وردد عن بعض من يمين ترك ، والكثير في استنماه أن يحمي . مصارعاً وأمرأ .
والودعة خررة بيضاء يلقطها البحر

وعنه أيضاً أن رجلاً أقبل إلى رسول الله (ص) فباع نسمة وأمسك عن
واحد فقص بإرسول الله ما بهت اسمه وأمسك عن هذا ؟ قال إن عليه تيممة
فأدخل به ففعلهم ، فأيده وقال من علق تيممة فقد أشرك . رواه أحمد والطبراني
ورجال أحمد ثقات .

وهو عيسى قال : دخلنا على أبي معبد بمويدة ، فعفا ألا تعلق شيتا ؟ فقال الموت
أقرب من ذلك ، إني سمعت رسول الله (ص) يقول : من علق شيتا وكل إليه ،
رواه الطبراني ، وفي إسناده محمد بن أبي لبي وهو سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات ،
قلت . يقويه حديث أبي هريرة عند النسائي ، وقد مر في قريباً .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله (ص) أبصر على عهد رجل حلقة - أراه قال من صغر - قال ويحك ما هذه ؟ قال من الواهة ، قال أما أنها لا تزيدك إلا وهنا ، أسدها عليك فإنك لو مت وهي عليك ما أفاحت أبداً ، رواه أحمد والطبراني وفيه مارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف

والصغر نعم مسكون النعاس الأصفر ، والواهة الضعف أو ريح تأخذ في المنكير أو في العصد وفي فتح المجد أن حديث عمران أخرجه أيضا بسنده ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد وأمره الهدي

وما زال الناس بعد هذا التدهيد عن هو بالمؤمنين موقف رحيم يظلمون الودعات لأصبيان تعاق بأعناقهم إلى هو ذلك من التائم الجمالية ، ومهم من يكتب بعض آيات قرآنية ويطلقها ، وهذا العمل فيه خلاف

وقال القاضي أبو بكر في شرح الترمذي : تعلق القرآن ليس من طريق السنة ، وإنما السنة فيه التلاوة دون التعليق ،

وهذا هو المعروف من فعله صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه ، فقد ورد في صحيح السنة أفعال الرقية

الحجبة

حجة الله من أسباب انزعاج الصدر ، وحجة سواء بما يعتد القلب وينسكد العيش قال في زاد المعاد ، هما محتان ، حجة هي حجة الدنيا ومرور النفس ولذة القلب وفهم الروح وهداؤها ودواؤها بل حياتها وقرة عيها ، وهي حجة الله وحده بكل القلب ، واجبات قوى ائبل والإرادة والمحة كلها إليه ، وحجة هي عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب وصيق الصدر ، وهي سلب الآلم والسكد والعماء ، وهي حجة ما سواء سبحانه

وقال في الفتوح ، حجة الله على قسمين : فرض ونذب ، فالعرض الحجبة التي تبحث على امتثال أوامره والانتها عن معاصيه والرصى بما يقدره ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في حجة الله حيث قدم هو نفسه ،

والنفير نارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها ، فيورث العفة
المقتضية للتوسع في الرضاء فيقدم على المعصية أو تستمر العفة فيقع ، وهذا الثاني
يسرع إلى الإفلاق مع الدم ، وإلى الثاني يظهر حديث لا يرى إرائي وهو مؤمن ،
والثدب أن يواطى هي الوافل ويتمحب أوفوق في الشهات ، واستصف عموما
بدلك نادر .

وكذلك حبة الرسول على قسمين كما تقدم ، ويراد أن لا يتلقى شيئا من المأمورات
والمهيات إلا من مشكاه ، ولا يسلك إلا طريقته ويرضى بما شرعه ، حتى لا يجد
في نفسه حرجا بما قصاء ، ويتعلق بأحلاقه في الجود والإيثار ، والحلم
والتواضع وغيرها .

وقال أيضا في الباعث على هذه المحبة وعلامة تحققها ، من استكمل الإيمان هو أن
حق الله ورسوله ~~أحس~~ عليه من حق أبيه وأمه ، ولده ووجهه وجميع الناس ،
لأن الهدى من الضلال ، والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله ، ومن
علامات محبته بصره بالمول والعمل ، والذب عن شرمته والتعلق بأحلاقه .

ولا نافي بين تخصيص أن القم المحبة المحموده لله وتعمير الحافظ لها وحديثها
إلى النبي (ص) ببن محبة غير الله إما أن تكون في الله أو مع الله ، والله في الله
أن تحب من يحبه الله ، والله يحب المحسنين والمنفقين والتواابين والمستغفرين وإذا
تكون محبة غير الله من معنى محبة الله مقوية لها غير متمايزة معها ، ومحبة مع الله
أن يتعلق قلبك بسواه فتعمل عن الله وتوجه إلى غيره بأمره وبرهته فتكون
محبتك هذه معنية عن محبة الله مربية لها ، فالحبة في الله محمودة متعديها إلى كل داع
إلى الله من الأنبياء المرسلين والأولياء الصالحين والعلماء العاملين ، وهذه الحالة هي
التي في كلام الحافظ ، والمحبة مع الله دميعة حاملة لكل ما في الشرك من
مساوي وأضرار

وقد جاء في الكتاب والسنة عطف الرسول على الله في المحبة قال تعالى (قل
إن كان آؤكم وأهناؤكم وإخوانكم وأرواحكم وعشيرتكم وأموال اقترنتموها
وتجاره تحشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في

صديقه فترهبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعرود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ، ومعنى محبة المرء لله أو في الله أن لا تحبه لطمع في الدارين ، كما ذكره في طبقات الحنابلة من أحمد ، بل تحبه لمحبته من الهدى والاستقامة ، وفي الدر المنثور من رواية ابن أبي حاتم وأبى نعيم في الحلية والحاكم عن عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الشريك أخو من دهب الدر هل الصفا في ليلة الطلب ، وأدناه أن يحب على شيء من الجور ويمنع على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والقبض في الله ، قال الله تعالى (قل من كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله)

قال الخياط في الفتح ، وقد اختلف في سب نزول الآية ، فأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال : كان قوم يرمون أنهم يحبون الله ، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل .

وقد أرشدنا هذه الآية إلى آية الصدق في دعوى حب العذرية ، وأثبت آية المسائدة لهؤلاء المحبين أربع صفات ، فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)

فقوله أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين ، معناه الإخبار عنهم بالسهولة والتواضع في رحمة وعطف مع إخوانهم في الدين ، وبهزة النفس وشرف القوة مع خصومهم في الدين . وعن هاتين الصفتين هر في سورة الفتح بقوله (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله يجاهدون في سبيل الله إخبار عنهم ببذل نفوسهم وأموالهم في فصرة الدين في مواطن المارب بالسيف وفي مواضع السيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقوله ولا يخافون لومة لائم إخبار عن عدم مخالفتهم بمن يعضون من كلمة فيها رضى الرب .

ومحرم ما أفادته آيتا آل عمران والمائدة خمس صفات هي الدلائل على صدق المحبة لله ، وهي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والتزام مع الإخوان في الدين والشفقة على الأعداء فيه والقيام بكل ما يؤيد الدين وعدم التقصير في الصدق بالحق مراعاة للناس .

فذلك لوارم المحبة الشرعية وحلاها المحبة الشريكة ، وهي كل محبة تعبر في الدين وتعت على لا اكتفاء بها دون الجهد في الصالحات وتحريم المشرع منها ، ولا تشر ربط القلوب وصلتها بعضها ببعض إذا انحدرت على القهاتين ، ولا توجب التعمد من كل من يحاول هدم تعاليم الاسلام ، ولا تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تعمود صاحبها على استمداد العذاب في خدمة المبدأ الحق المحمل في الشهادتين . وهذه المحبة الشريكة هي التي ردها الله على مشركي قريش وضلال اليهود والنصارى بآية آل عمران المنتدمة ، ومقوله في المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل ولا يهدىكم بهديكم يدنواكم)

ومن كلام الحسن البصري ، ان آدم لا يترك أن تقول المرء مع من أحب ، بلك لن تلتقي الأبرار إلا بأعمالهم ، وأن اليهود والنصارى يحبون أبناءهم ولا والله ما يحشرون معهم ولا يدخلون في مرتبتهم ، وإنهم لحصب جهنم هم لها واردون ، نقله ابن الجوزي .

وقد أشارت هذه الآية إلى فائدة محبة المشروعة وأنها الجواز من العذاب ، وأفاد حديث الصحيحين من أس أس صلى الله عليه وسلم قال . المرء مع من أحب فائدة أخرى ، وهي أن من أحبته محبته ألحفته محبة في الدرجة وإن كان دونه في العمل حكى في كشف الخفاء عن السيوطي أن رجلاً من أهل بغداد سأل أبا عثمان الواعظ متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه ، فقال : إذا حلا من حلاله كان صادقاً في حبه ، ووضع الرجل التراب على رأسه وصاح وقال ، كيف أدعى حبه ولم أخل طرفه عين من حلاله ، حكى أبو عثمان وأهل المجلس ، وصار أبو عثمان يقول في مكانه : صادق في حبه مقصر في حقه ،

وليس معنى هاته الحكاية أن الرجل كان مشكلاً على محبة مريضاً عن العمل ،

ولما معاها أنه كان مستقلاً لعمله مسكناً أبدياً . ونما أوردته في مدارج السالكين
من عبارات العباد عن الله قولهم ، استكن . العمل من حديث واستقلال الكثير
من صديقت . فلا نص من هذه الحكاية إلا ما هو لعل اكتفاء بالحقبة ، فقد عمل في
كشف الحياء عن بعض العلماء بعد ما أورد حديث المرء مع من أحب ، وروايته
أه ، مشروط بشرط وعى صلى الله عليه وسلم أنه دأبهم عمل بل أعمالهم ،
ولقد صدق القائل :

نعصى إلهه وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن أحب لمن يحب مطيع

الدعاء

صروا الدعاء بالسؤال والطلب والرغبة ، في المصاح ، دعوت الله ادعوه دعاء
انتهت إليه بالسؤال ورعت فيما عده من الخير ، ودعوت ربداً ناديته وطلبت
إفله . وفي امردات ، دعوته إذا سأله وإذا استعنته ، وفي الفتح من الطبق الدعاء
هو إصهار غاية الدليل والاعتراف إلى الله والاستكانة له ، وما شرعت العبادات إلا
للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه (٧٩ ، ١١)

وللدعاء أحوال في مصادف ومما في الاستعمال مرجعها إلى السؤال في صراحة
والرغبة في استكانة ، ومن هذا المعنى في تفسير المار بقوله ، وحقيقة الدعاء
هي شعور القلب بالحاجة إلى عناية الله تعالى فيما يطلب وصدق لتوجه إليه فيما
يرغب ، (٤٠٢) فإن ذلك الشعور الناصي يوجب الصراحة ويشعر صدق
التوجه بالسؤال .

والدعاء بهذا المعنى يصدق بالاستعادة والاستعانة والاستغاثة وغيرهن مما فيه معنى
الطلب ، لأن طلب العزة والعون والعت ، ويتضمن الدعاء وجود المدعو وغناه
وسمعه وجوده ، ورحمته وقدرته ، إذ لا يدعى المدعوم ولا الفقير ولا الأصم ولا
البهيل ولا القاسي ولا العاجز .

هَذَا طَلِبَ الْعُودَ أَوْ الْعَوْنَ أَوْ أَمْرًا آخَرَ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْقَادِرِ عَلَيْهِ عَادَةً لَمْ يَكُنْ
 طَلِبُكَ عِبَادَةً فَمِنْ يَحْتَصِرُ بِاللَّهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ مُشْرِكًا وَكَذَلِكَ إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ
 لِعَبِيدِ اللَّهِ لِكُفْرِهِمْ سَبًّا عَادِيًّا ، فَعَمَلٌ اسْتَعَدَّتْ بِأَحَاكِمِ الْعِلَامِ ، وَاسْتَعِثَتْ بِالْجَهَنَّمَ أَنْ
 عَلَى الْأَصْوَصِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَاسْتَعِينُوا بِكَ وَبِإِهْلَائِكَ) ، تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
 وَتَقْوَى - فَاسْتَعَاثَهُ إِيَّاهُ مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى إِيَّاهُ مِنْ عَدُوِّهِ - وَإِنْ اسْتَعَصَرُواكُمْ فِي
 الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ)

وَإِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ لَهْ قُوَّةٍ غَيْبِيَّةٍ ، وَهُوَ هُوَ الْأَسْبَابُ
 الْعَادِيَّةُ ، كَانَ لَطَلِبُ عِبَادَةٍ تَحْتَصِرُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَكَوْنُ طَلِبِ غَيْرِهِ حَشْدًا مُشْرِكًا بِاللَّهِ ،
 قَالَ تَعَالَى (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَمْ مَا يَدْعُوا بِلَهُ الْأَسْمَاءِ الْخَاسِيَةِ) قَالَ
 أَمْرُهُ بِاللَّهِ أَنْ أَسْكُرُونَ مِنْ لُحَاظِيهِ - يَدْعُونَكُمْ رُبَّمَا - وَرَبُّ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَعَانُ
 عَلَى مَا تَصِفُونَ)

وَحَادِثَاتُ أَحَادِيثٍ فِي الْحَثِّ عَلَى الدَّعَاءِ وَأَمْرِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ :

فَمِنْ أَيْ هَرِيرَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَكْرَمٍ عَلَى
 اللَّهِ مِنَ الدَّعَاءِ ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ إِنْ كَانَ
 وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ سَأَلَ اللَّهَ عَصَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَخْرَجَهُ
 فِي الْأَدَبِ الْمَعْرُودِ هَذَا تَعْلِيقًا ، وَبِهِ فِي تَحْقِيقِهِ لِدَاكِرِ بْنِ تِرْمِذِي وَاحِدًا كَمْ رَادٍ فِي
 الْمَتْنِ أَحْمَدُ وَإِنْ مَاتَ وَإِنَّمَا رَوَاهُ وَاحِدًا كَمْ

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الدَّعَاءُ مَجْعُودُ الْعِبَادَةِ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ
 وَعَنْ الْعَمَّادِ بْنِ شَيْخٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ
 وَقَالَ رُبَّمَا أَدْعُوهُ اسْتَعِثَ لَكُمْ إِنَّ الدِّينَ يَسْتَكْرَهُ عَنْ عِبَادَتِي مَبْدُوحُونَ
 جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ .

وَإِذَا كَانَ الدَّعَاءُ عِبَادَةً وَجِبَ أَنْ يَحْتَصِرَ بِاللَّهِ وَأَنْ يَحْجَرَ فِيهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي
 الشَّرْكِ أَوْ فِيهَا هُوَ دَرِيْعُهُ إِيَّاهُ ، وَلَمْ يَدْعُ الْعَبْدَ لِدَاعِيٍّ أَنْ يَدْعُو بِأَنْوَارٍ ، هِيَ
 شَرْحُ ابْنِ عَلَانَ لِلْأَدْعَاءِ الْوُجُوهِ

عن جابر أنه قال : أذن الله في دعائه وعم الدعاء في كتابه الخليفة ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء لأئمة واجتمع فيها ثلاثة أشياء : العلم بالتوحيد والعلم بالامة والنصيحة للامة ، فلا يفتي لأحد أن يبدل من دعائه (ص) وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقص لهم سوء بصرهون لهم أدهية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي (ص) وأشد ما في الحال أنهم يسبونها إلى الانبياء والصالحين ، فيقولون دعاء نوح دعاء إبراهيم دعاء أبي بكر الصديق ، فانقوا الله في أنفسكم لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح .

والدعاء له ثلاثة أحوال : إما أن تذهب الله لك ، وإما أن تذهب لغيرك ، وإما أن يذهب غيرك لك ، من أمته الأول قوله تعالى (وما آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

وقال أيضا (ربما هب لنا من أرواحنا ودرينا فرة أيها واجعلنا للمتقين إماما)

وقال أيضا (رب هب لي من هديك فدية طيبة لك سميع الدعاء)

وفي مسر وعبره أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى

وفي مسر أي داود وعبره أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعي عن ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وفي مسر أنه (ص) قال . اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر

وأما دعاء غيرك لك فهو جائز إذا سأل لك الله ، سواء طلعت منه الدعاء أم لم تطلبه ، فأما دعاؤه لك من غير طلب فقد وردت به الآيات والاحاديث

قال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)

وقال أيضا (واستغفر لغيرك وللمؤمنات والمؤمنات)

وحكى عن إبراهيم (رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)
وحكى عن نوح (رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات)
وفى صحيح مسلم عن أنى الدرداء أنه سمع رسول الله (ص) يقول : ما من عبد مسلم
يذهب لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ذلك مثل .

وأما الدعاء لأخر طلب منه فقد كان الصحابة يسألون الدعاء من النبي (ص)
ويأتونه بأسمائهم يحنوهم ويدعو لهم . ومن عمر بن الخطاب أنه استأذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له وقال . لا تنسأ يا أبا حمزة دعائك أخرجته
الزمضى وقال حسن صحيح ، وفيه دلالة على أن سائل الدعاء قد يكون أفضل من
استئول منه ، ويدعى طلباً للسلامة أن لا ينصب المطلوب منه نفسه للدعاء وأن
لا يعتقد أنه الأفضل من الطالب .

وقد وجد في عصرنا من الطريقين من ينتصب الدعاء ويصرح بكونه واسطة بين
الله وحلقته في جلب المحبوب ودفع المكروه ، فإذا رضى عن أحد ضمن له ما يشتهى
من حاجات من الدنيا ونعيم الآخرة ، وإذا غضب عن آخر توهمه بحلول النقمه ،
ورضاء وغضه فامعان لمطامعه فيما في أيدي الناس . ورأينا من الجهال المتعدين في
أصوص الدين . هؤلاء من يبدل فوق طائفه طلباً لضمائم عنه وموره بدعوة
منهم له ويشتري ما ينصب إليه من شمع وهنور مزادة أرفع الأيمان ليقوم ذلك
الشيء المشتري مقام دعوة صاحبه ، في الانتصاب للدعاء وسؤاله ذريعة إلى
الشرك والعبادة بالله

أما دعاء غير الله فهو شرك ، مع وكفر قبيح ، وله نوعان : أحدهما دعاء غير
الله مع الله ، كالذى يقول ياربى وشيخى ، ياربى وجدى يا الله وناسه
وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح ، لأن الداعي عطف غير الله على الله
بالواو ثامته أو محذوفة ، وهى تسمى مفارقة ما بعدها لما قبلها في الحكم ، والحكم
المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء

النوع الثانى دعاء غير الله من دون الله كالذى يقول يا رجال الله ، يا دهران

الصالحين وإطلاق الشرك على هذا النوع . باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم يذكر الله ولم يرأ منه في العقد ، فكان الله في كلامه مقصراً ويصح في النوع الأول إطلاق أنه دعاء غير الله من دون الله أيضاً لأن الداعي لما أشرك بالله في دعائه لم يكن داعياً على الوجه المشروع فكأنه لم يذكر الله لمعطلاً لأن الممدوم شرعاً كالممدوم حساً والممدوم هنا هو ذكر الله مشركاً بسواه

كان هذا النوع ممدوداً عند العرب في جاهليتهم فعالجهم الكتاب العزيز لصرفهم عنه تارة ، ووجههم إلى سؤال الله ، وأخرى بتعجيل المسؤولين من دون الله ، وأحياناً بتذكيرهم بما كن في نفوسهم من توحيد الله ، وطهور ذلك في أنفسهم عند اشتداد الخطأ ، وعلّة اليأس ، وثمرات الأجر من تعاديبهم عند البعث مع أوليائهم الذين يدعونهم اليوم . أنتم الكتاب من هذه الجهات الأربع ليقطع من نفوسهم جذور الشرك

في الآيات في الجهة الأولى (وإذا سألك عبادي عنى فإن قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعانى - وفيه الأسماء الخمسة فادعوه بها -) ولكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير إن تدعوهم لا يسموا دعاءكم ووسموا ما استنجوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينفعكم مثل حين

ومها في الجهة الثانية (ولا تدع من دون الله ما لا ينفك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إدا من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بحير فلا رد لمصله - والذين تدعون من دون الله لا يخلفون شيئاً وهم يحلفون أموات هم أحياء وما يشعرون إيمان يمشون قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أيها الناس هرب من عبادة الصوام إلى الدين تدعون من دون الله لن يحلفوا ديانة ولو اجتمعوا له وإن يسلمهم الله لصيب شئ لا ينفعهم منه ، ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لهوى عرير)

• منها في الجهة الثالثة (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل يزعمون تدعون من دونه فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتسبون

ما نشركون - هو الذي يسوكم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرينهم
 وريح طيبة ومرحوا بها جاءتها ربح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا
 أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أبيقنا من هذه لسكور من الشاكرين -
 وإذا عدكم الصر في البحر صل من تدعون إلا إياه - فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله
 لمخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)

ومنها في الجهة الرابعة (إذا قرأ القرآن انموا من الدين اقتنعوا ورواوا إلى الذناب
 ونقطعت بهم الأسباب - وقال إنما اتخذه من دون الله أو نانا مودة بينكم في الحياة
 الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بمعصيكم بعصم ويخلص بعضكم بمعصا ومأواكم النار وما لكم
 من ناصرين - الاحلاء بوند معصم لبعض عدو الا امتقين)

أما الأحاديث فتمتص منها على حديث ابن عباس (رضى) قال كنت خلف
 النبي ﷺ يوما فقال بإعلام إلى أهيك كذات . (احفظ الله يحفظك احفظ الله
 نجده يحملك إذا سألت فاسأل الله . إذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة
 لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا
 على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام
 وجفت الصحف ، أخرجه الترمذى وقال - حديث حسن صحيح ورواه غيره بروايات
 فيها زيادات

وتأمل تعجب النبي ﷺ لحميم الأمة على اجتماعها عن إسداء الخير أو الإيذاء
 بالنشر من غير أن يستشي ملكا مفرأ أو نبي مرسلأ أو وليا صالحا أو شجرة عتيقة
 أو صخرة صحيحة ، وهذا التعجب في التعجب هو ما زاد به الآيات السابقة وغى ما ،
 وصرح بأن حيار خلقه الذين يسمعون التفرب منه ويرجعونه ويحافونه لا يمكن أن يكون
 كشف الضر عن أحد ولا تحوله .

ولقد مشا في المسلين دعاء غير الله على شدة إيمانهم له وتحذير منهم منه
 حتى صار الجهلة ومن قرب منهم يؤثرونه على دعاء الله وحده ، والاستشهاد لذلك
 بالحكايات عنهم ، واستيعابها بل معجز

وهذه الحكايات تدل على أن معتقدا أحمط فكراً وأفصح جهلاً وأبعد كفراً
من مشركي العرب الذين يخلصون الدعاء في حال الشدة واضطراب الموج ،
كما حكى الله عنهم في كتابه

الوسيلة

في العاموس الوسيلة هي المرة عند الملك والدرجة والقرية ، وفي الصحاح
والمصاح هي ما يقرب به إلى الشيء ، وفي المفردات هي التوصل إلى الشيء برعة
واستئناس من شأن العويبي للوسيلة أنها تتضمن ثلاثة أشياء القرية والرجة
والنوصل ، فهي على هذا قرية موصلة لأمر مرغوب به ، وعلى هذا ينشئ المعنى
الشرعي في استعمال الكتاب والصلة ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا إليه الوسيلة) وقال أيضاً (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى وجه الوسيلة
أيمهم أقرب ؟)

وفي البخاري من جابر بن عبد الله أنه رضي الله عنه قال . من قال حين يسمع النداء :
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وأغنني مقاماً
محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة

أما الوسيلة في الآية الأولى فقد حكى في الدر المنثور عن مفسري الصحاح
والتأبيين فيها أربع عبارات ، عبارة حديقة وخبر واحد أنها القرية ، وعبارة فتادة
أنها الطاعة لله والعمل بما يرضيه ، وعبارة أن وائل أنها الإيمان ، وعبارة ابن عباس
أنها الحاجة

والعبارات متواردة على معنى واحد ، فطاعة الله وعمل ما يرضيه قرية والإيمان
عند السلف عقد وقول وعمل قائل إلى الطاعة ، والحاجة من الاحتياج والافتقار ،
إذن كان قد هو من الإيمان المشر للطاعة . وقال الرابع بعد هذه الآية ، وحقيقة
الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وبحرى مكارم الشريعة وهي
كالقرية ، فرجعت الوسيلة إلى أنها القرية والطاعة ، وحكى أن كثير اتفاق المفسرين
على هذا المعنى

٢ - وأما الوسيلة في الآية الثانية فمصرها البغوى بالقرية وبالدرجة العليا وليس بين اللطيف تضارب ، لأن الدرجة العليا ثمرة الطاعة والقرية ، ومصرها رسول الله ﷺ بالمغرب ، وهو معنى الدرجة العليا ، فقد روى الترمذى وابن مردويه عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه (من) قال : سلوا الله على الوسيلة ، قالوا وما الوسيلة ؟ قال : القرب من الله ، ثم قرأ : يتمون إلى رحمتهم الوسيلة بهم أقرب ، ذكره في الدر المنثور

٣ - وأما الوسيلة في حديث جابر فقد فسرتها الأحاديث بأنها أعلى درجة في الجنة ، وذلك معنى القرب في حديث أنس بن مالك روى عنه عبد الله بن عمر و أن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا على الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا نبي إلا بعد من عباده ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل على الوسيلة حلت عليه الشفاعة

وإذا تأملت معنى الوسيلة في الآيتين والحديث وجدته متقارباً متلازماً ، أصله القرية والطاعة التي يتفأ عنها القرب من الله في مداركاته ، وإذا استعما بالمعنى اللغوي لتعديد المعنى الشرعي كان معناه في الشرع قرية مفروضة توصل إلى مرعوب به ، وتوصل هو التقرب إلى الله بتلك القرية ، وتوصل الداعي هو طلبه المعنى على تلك القرية ، وليس في الشرع مطلوب ومدعو إلا الله ، وليس به من قرينة إلا ما شرعه في الكتاب والسنة .

قال أنس بن مالك في رسالته ، ولا يمكن قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول وحمل إلا غاية ، ولا قول وحمل وبية إلا بموافقة السنة ، والية القصد والاحلاص ،

والتوصل إما بما يناسب المطلوب عقلاً وأذن به شرعاً وإما بمعبر ذلك . وتفصيله أن يتوصل إما أن يتوصل بما لله من صفات وأسماء ، وإما بما له من اعتقاد صحيح ، وإما بما له من عمل صالح ، وإما بما له من دعاء أو جاء ، وإما بطاعة نعمه وغيره ، فذلك ستة أنواع :

النوع الأول : التوصل بصفات الله ، وهو مشروع لقوله تعالى : وفيه الأسماء

الحسن فادعوه بها ، وما رواه الترمذى وحسنه عن معاذ بن جبل رضى الله
عنه أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب
لك فسل ، وله أمثلة :

منها ما أخرجه أحمد ، أصحاب السنن الأربع أبو داود و الترمذى والنسائى
وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس أنه ﷺ سمع رجلا يدعو ، اللهم
إني أسألك بأنك لا إله الا أنت المان بدع السموات والأرض وذا الجلال
والاكرام يا حي يا قيوم ، فقال ﷺ ، لقد سألت الله باسمه الأعظم ،

ومنها ما رواه مسد عن عائشة عه النبي (ص) ، اللهم رب جبريل وميكائيل
وإسراييل ، إن إضافة عظم الرب إلى تلك المخلوقات العظيمة مشعر بمعظم قدرته
وكمال حكمته

ومنها الآيات المشهورة المسبوبة لاس القاسم السهي ومطامها .

يا من يرى ما في الصمير وسمع أنت العد لكل ما يتوقع
النوع إلى التوسل بالابدين الصحيح الصادق ، وهو مهروع لما فيه من تقوية
التوحيد ، وله أمثلة :

منها ما حكاه الله عن أول الأتباع (ر ما إنا سمعنا صاعداً ينادى للإيمان أن
آمنوا بربكم فأما رننا فاعصوا لادبوا وكفر عما سبنا وتوابع الأتباع)
وما رواه الترمذى وحسنه بل صححه كنافي مدارج السالكين (١ : ١٣) وبقيته
أصحاب السنن الأربع ، وصححه ابن حبان والحاكم عن يزيد أن أنس صلى الله عليه
وسلم سمع رجلا يدعو ويقول ، اللهم إني أسألك بأن أشهد أنك أنت الله الذي
لا إله الا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال
والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل
به أعطى

ومها قول نعيم بن الحضر بن أبيس الأمير الصهاجي لما رآه

فكرت في نار الجحيم وحرها يا ويلك ولات حين مناص

فدعوت ربي إن حر وسيطى يوم انعاد شهادة الاخلاص
النوع الثالث توسل لداعي بطاعته وصالح عمله ، وهو مشروع لما فيه من
نية الخشوع المناسب للتوضوع ، وله أمانة .

منها حديث الصخرة في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال اطلق ثلاثة نفر من كان
دعوتكم حتى آوأم الميت إلى غار فدخلوه ، فاستدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم
بار ، فقالوا به لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله ، صالح أعمالكم ، ثم
ذكر ورود الأول مأثوره وانفراج الصخرة قليلا لدعائه ، وعمدة الثاني عن أمكنته
من نفسها بعد شوق طويل وانفراج الصخرة له أيضا ، ومبالغة الثالث في حفظ
الامانة وتتمام انفراج الصخرة ، وأنهم كلهم قالوا في أدعيتهم اللهم إن كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فأفرح عما عاصيت فيه

ومنها تقديم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء لما رواه أبو داود الترمذى
، صححه أن النبي (ص) رأى رجلا يصل ويدعوا ولم يحمد ربه ولم يصل على نبيه
فقال تعجل هذا ثم دعاه ، فقال هذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل
على النبي وليدع بعد بما شاء

ومنها قول محمد بن عبد الله العبدي المالكي

توسلت بآرني بأي مؤمن وما قلت إني سامع ومطيع

أبصلي بحمر البارعاص موحد وأمت كريم والإسول شفيع

وهذه الأنواع الثلاثة أئمة ربها قد تجمع أو بعضها في الصيغة الواحدة .

النوع الرابع توسل المرء بدعاء غيره وهو على وجهي أحدهما أن تكتب في
دعائك دعاء من سألته الدعاء وهذا يقدم في فصل الدعاء وأنه مأذون به ما لم يكن
درؤمة إلى منهي عنه كمؤال الدعاء من الميت والعائب لما فيه من مظنة الاعتقاد
بعدم العيب

الوجه الثاني أن تسأل الدعاء من الحي الحاضر فيدعوك

وتوجه أنت إلى الله داعياً متوسلاً بدعائه وهو مفروع لحديث الأعمى عند أحمد، والشافعي، وإسحاق، وصححه وهو أن رجلاً صريراً جاء إلى النبي ﷺ يسأله الدعاء ليرد الله عليه بصره فخير به الصبر ودعائه له فأصر على اختيار دعاء الرسول (ص) فأمره بالوضوء، وصلاة ركعتين ثم الدعاء بهذا اللفظ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد بن الرحمة محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتفصلي لي اللهم شفيعي في

والتوجه بالنبي معناه التوجه بدعائه، دل على هذا المنعطف إختيار الأعمى لدعاء الرسول بعد تحيره له بيده وبين الصبر، وأمره للأعمى بالدعاء بعد دعائه (ص) بظير ما أحرجه مسلم وغيره من قوله (ص) لمن سأله مراعاته في الجنة أعي على نفسك تكره السجود فنصح له بمبادئ الصلاة والدعاء بما بينهما المطلوب

وظير حديث الأعمى ما رواه البخاري في صحيحه من استسقاء عمر بالعماس وقوله اللهم إنا كنا نتوسل إليك شياً فسقياً وإنا نتوسل إليك بعمى بها فاسقنا فضبه إنأت التوسل بالرسول في حياته وأهل الفصل ولا سيما ذوق قرائته بعد موته، والمقصود التوسل بدعائهم إذا كانوا أعمى عالمين، أما من كان في العالم العي وكل شيء منه غائب عليه فلا هم هل دعاءه ولا يريد الشروع بدعائهم لنا والعماس حاصر وقع منه الدعاء وأنه قال كما في المنح، اللهم إنه لم يرزل ينادي إلا نادب ولم تكفف إلا بتوبة، وقد توجه القوم في إليك لمكان من يدك وهذه أيدينا إليك بالدروب ونواصينا إليك بالوبة فاسقاً الميت (٢٩٨٠٢)

النوع الخامس التوسل بطاعة نعم المتوسل وغيره، ومن أمثلته ما في كبر الطوائف من طريق فضالة بن جبير المجمع على صحفه من أبي أمامة مرفوعاً أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض وكل حق هو لك وبحق السائلين عليك أن تقبلني في هذه العدة وفي هذه المشية وأن تحمليني من النار بقدرتك.

ومنها ما رواه أحمد وابن ماجه عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه هم الخارج إلى الصلاة أن يقول في دعائه وأسألك بحق السائلين

عليك وبحق بمشاي هذا ، فإني لم أحرص أشراً ولا نظراً ولا رياء ولا سمعة ، ولكن
خرجت أفتاء سخطك وابتغاء مر صانتك . أسألك أن تقدرني من النار وأن تعمرني
فإنه لا يضر الذنوب إلا أنت

ومها ما رواه محمد بن عون عن جابر في دعاء الأذان مرفوعاً اللهم إني أسألك
بحق هذه الدعوة الثامنة ، وخطبة العوفي منعموه ، وأعمال السجسوي في صيانة
الإنسان القول في تعديل حديثه هذا . ومحمد بن هون في مقال ، ثم نعلم الأحاديث
الثلاثة من الطعن

وتأول التي اس تبيعة حديث خطبة على مرفوع من حديثه مأثور حق السانين لله
الإجابة ، وحق العائدين له الإثابة ، مسؤاله بهذا الحق له بأفعاله بالاستعاذة بمعاذاته
في حديث . اللهم إني أعود برضاك من سخطك وبمعاذك من عقوقك ، وأعود
بك منك لا أحصى ذنوبي عليك ، أمت كما أثبت على نفسك أحرصه مسد عن عائشة
وهذا الحق أوجه من نفسه تفصلاً منه وروحه فقال (كتب ربكم على الله الرحمة)
(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

النوع السادس : توسل المرء بحق المخلوق وجاهه . وقد وردت فيه آثار
وقلباء في الكلام على أمثال هذه الآثار جهتان . جهة السند والرواية ، وجهة
المعنى والدراية . فأما الرواية فإنه لم يصرح هذه الآثار من يلتزمون الصحة فيها
برودن . وأما الدراية فإن معنى هذه الآثار أن للعد حق على الله وهو من سوء
الأدب مع الله ، والدعاء من أمحل العبادات ، والعبادات مبناه على السنة والانواع
لا على الهوى والابتداع

والذي نقوله إن هذا الصرب من التوسل إن لم يكن شركاً فهو دربعة إليه ،
ويبغى أن يجدر منه الحامل المتعرض لزالق الشرك الخفيف إلى دواعي الوثنية
خشية أن يعتقد أن لأحد حقاً على الله في جلب النعم ودمع الضر ، وأن الصالحين
مع الله تعالى كالوراء مع الملوك يحملونهم على فعل ما لم يكونوا سريدين لفعله ، ومن
اعتقد هذا فقد وقع في صريح الشرك وجعل إرادة الله سادّة تتأثر بإرادة غيره
وعليه حادثاً بتغير لطم المخلوق

وقد غلب الجهل بالدين وضعفت الثقة برب العالمين ، واعتمد الناس من مسموم أولياء صالحين ، وعولوا على التوسل بهم في قضاء مطالبهم ، وطالوا في اعتباره وتقديره في التمسك به ، ونادروا إلى الإنكار على من أراد بيان المشروع منه لهم ، ولم تزل مسألة الوسيلة حديت المجالس مدة أربعة طويلة ، تصطبها صيطا يفرها من متناول العامة ، حتى أن يمحضوا من علوانهم ويرجعوا إلى السس المشروع في توسلهم وينتدوا إلى الحق في دعائهم ، فبعدوا رهم بما شرع لهم ، ويتبعوا الرسول فيما سن لهم (ومن يطع الله وارسوله ولئنك مع الدين أكرم الله عليهم من الدين والصدقين والعلماء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

الشفاعة

الشفع ازوج خلاف الوتر ، تقول كان الشيء وترأ شفعته إذا صحت إليه آخر . وشفعته الركة جعلتها اثنتين .

وقال الراعي : الشفع مع الشيء أن منه والشفاعة الانصام إلى آخر باصرأ له وسائلا عنه وأكثر ما يستعمل في انصام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى .

فالشفاعة تحمل معنى انصم والاعانة المشفوع له ، ومعنى الجاء والحرمة للشفيع عند المشفوع إليه ، فسميك لأخر في حاجة له عند عظيم شدة وأنت شفيع وذلك الآخر مشفوع له ، وذلك العظم مشفوع إليه ، وقضاء تلك الحاجة تشيع والشفاعة لا تعدو ثلاثة أحوال ، إما أن تكون من المخلوق إلى مثله أو من المخلوق إلى المخلوق ، أو من المخلوق إلى الخالق .

فأما شفاعة المخلوق إلى مثله فهي مظهر من مظاهر التعاون إذا كان المشفوع إليه بذلك التصرف فيما طلب منه على مقضى الأسباب العادية ، والتعاون إذا كان على الخير مطلوب بالكتاب والسنة ، والشفاعة منه ثابتة بهما ، في سورة النساء : من يشفع شفاعة حسنة يكر له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ كان إذا أُنْهِيَ السائل أو صاحب الحاجة قال اشتموا فتؤجروا ، وليفص الله على لسان رسوله ما شاء .

فمر الراهب في معرداته الآية بقوله ، أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفعاً في من الخير والشر ، معاون وقواء : شاركه في نفعه وضره ،

ومع الحديث ترغيبه ﷺ لأصحابه في إعانة الناس عهده ، سواء استطاع قضاء حاجتهم أم لم يجد بها سبيلاً قال الحافظ في المتع وفي الحديث الحظ على الخير بالعمل وبالنسب ، به بكل وجه ، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعوثة ضعيف

وأما شفاعة الخلق إلى المخلوق فشعبة محظورة عليها لما في سنن أبي داود وغيرها والله عز وجل عن جبر بن مطعم أن أعراباً أتوا النبي ﷺ فقال : حدثنا الأعرابي وصاح المال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستنق الله لنا ربنا فنشفع بالله عليك يومئذ على الله ، فقال النبي (ص) ويحك أئدرى ما تقول ؟ وسبح رسول الله فإزال يسبح حتى عرف ذلك في وجهه أصحابه ثم قال : ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك الحديث

وإنما امتنع الاستشفاع بالله لأن الشفيع سائل والله مستول لا سائل ثم التمسيع في أصل اللغة ليس على المشعوع إنه أن يطعمه رسول شفاعته ، في حديث بريرة أنها لما عتقت وحررها إلى (ص) في فراق زوجها معيت احتارت فراقه ، فجعلت مغيبت يميني من حبه إياها حتى روى له إلى (ص) فقال لبريرة ، لو راجعته ، فقالت تأسرف ؟ فقال (ص) ، إنما أنا شافع ، قالت فلا حاجة لي فيه أخرجته البخاري عن ابن عباس ، فلو قال لها (ص) أمرك لراجعت زوجها معيتاً

ولما كانت الشفاعة لا تحمل معنى الأمر ، بل تترك الاختيار للشعوع إليه أصرحت على احتيازها الفراق ، فلا جرم كانت الشفاعة إلى أحد مما يحسن عنه مقام الألوهية .

وأما شفاعة المخلوق إلى الخالق فإما في الدنيا وإما في الآخرة ، فالشفاعة إلى الله في الدنيا تكون بالدعاء للشعوع له كما تقدم في حديث الأعمى أنه سأل الدعاء من

التي صلى الله عليه وسلم وأنه لما دعا لنفسه قال . اللهم هبمه في ، مطلبها من الحى
الحاضر جاز كما تقدم

رسوء دعا الشفيع للشموع له بأمر دنيوى أم تمنع أخرى ، كان المشعوع له
حياً أم ميتاً لما في مسلم أنه عليه السلام قال . ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازة
أربعين رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعم الله فيه . ولما في الأدب المرد
للبخارى من دعائه (ص) لأمر بقوله . اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته
واغفر له . قال أفس : فدعا لى ثلاث ، فدفنت مائة وثلاثة ورس ثمرنى لتعلم في
الشفعة مراتين ، وطالت حياتى حتى استحييت من الناس ، وأرجو المغفرة

والشفاعة إلى الله في الأخرى تكون دعائه وسؤاله التجاوز عن سيئات
المشعوع له أو التجاوز له إلى درجة أعلى . وهي ثالثة للى (ص) بأحاديث كثيرة
منها حديث البخارى ومسلم السابقان في فصل الوسيلة ، ومما ما فى الصحيحين من
أن هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال . لكل من دعوة يدعو بها
وأريد أن أحتج . دعوى شفاعة لأمى في الآخرة .

ومنها ما فى البخارى عنه أيضاً أنه (ص) قال . أسعد الناس شفاعتى يوم القيامة
من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه . ومما عن أفس أنه (ص) قال : شفاعتى
لأهل الكبائر من أمى ، أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح عريب ، والبيهقى
وقال إسناده صحيح وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، قاله فى كشف
الحمام (٢ : ١٠)

وهذه الشفاعة ثالثة أيضاً لبقية الأنبياء والعلماء والشهداء وسائر المؤمنين ،
والقرآن والجنة

روى ابن ماجه عن عثمان رضى الله عنه مرفوعاً . يجمع يوم القيامة ثلاثة :
الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء .

وأخرج الترمذى عن ابن عباس رفعه إلى الله (ص) قال . إن الله يرفع درجة
المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لقر بهم عينه ، ثم قرأ (والذين

آمنوا واتبعتهم ذريتهم) الآية ثم قال . وما نقصنا الآباء بما أعطينا البيه قال
في مجمع الزوائد ، وفيه فمس بن اربيع وثقه شعبة والثوري . وفيه صف ،
وروى مسلم عن أن أمانة الباهي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ، اقرأوا
القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شعباً لأصحابه ، الحديث

وإن من الصفات الاخرية ما يختص بالنبي (ص) ومنها ما لا يختص به ،
في الفتح عن النووي وعياض ، الصفحة خمس ، في الإراحة من هول الموقف ،
وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وفي إدخال قوم حوسوا فاستحقوا المذاب
أن لا يعذبوا ، وفي إحراق من أدخل النار من العصاة ، وفي رفع الدرجات ،
ولا يتقدم الشيع بوم القيامة للشفاعة إلا أن يستجمع أربعة شروط ، أحدها
أن يكون من المرتضين عند الله بإيمانه الصحيح وعمله الصالح ، ثانياً أن يكون
المشروع فيه من المؤمنين الموحدين الصادقين ، ثالثاً أن يأذن الله للشفيع
رابعاً أن يجد له من يشفع فيهم .

في حديث الشفاعة الطويل عند البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه ، عنه
ﷺ أنه قال . ثم أشفع ويحدي حداً ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ،
ثم أهود فأقع ساجداً منه في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبق في النار إلا من حبسه
القرآن ، فهذا دليل الشرط الرابع ودلت الآيات على صحة الشروط

قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا ياذنه) قال ابن كثير : وهذا من عظمت
وجلاله وكبريائه عز وجل أن لا يتجاوز أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا ياذنه
له في الصفحة

وقال أيضاً (يدر الأمر ما من شافع إلا من بعد إذنه) وهذا رد على النضر
ابن الحارث فإنه كان يقول إذا كان يوم القيامة تصفع لي اللات والعوى . قاله
اليعوى وقال الراغب في تفسير الآية من مفرداته ، أي يدر الأمر وحده لا ثاني
له في أصل الأمر إلا أن يآذن للدرات والمقسيات من الملائكة فيعملون ما يملونه
بعد إذنه ،

وقال تعالى (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال ابن كثير
عن ابن عباس المهد شهادة أن لا إله إلا الله ويرأى إلى الله من الحول والقوة ولا
يرجو إلا الله عز وجل

وقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) قال
البعوى عن ابن عباس يرضى قوله قول لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه
لا يشفع غير المؤمن

وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) قال البعوى
عن مجاهد : أي لمن رضى عنه

وقال : (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا
يعقلون قل لله الشفاعة جميعا) قال البعوى عن مجاهد : لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه
وقال (وكم من مدك في السموات لا تسمى شفاعتهم شيئا إلا من أذن الله لمن يشاء
ويرضى) قال البعوى عن ابن عباس : يريد لا تسمع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه
وبكلام ابن كثير على آية البقرة ثم سر هذه الشفاعة المقيدة بذلك تقيدوا
بحكمها إظهار حلال الله وعظمته وإعلان كرامه وتشجيع ووجهه وريثاس المسرورين
على أنفسهم من كل مخلوق إلا من رضى الله عنه .

وطلب الشفاعة الأخرى على أربعة أسماء (أحدها) صلها من الله ، كأن تقول :
اللهم شفع فينا خاتم النبيين وإمام المرسلين ، فهذا طلب صحيح ودعاء مشروع ، لأن
الشفاعة لله جميعا

ثانيها : طلبها في هاه الحياة عن عمر أنه من أهلها وهو حي حاضر . كان يقول
الصحابي . يا رسول الله أسألك شفاعتك عدا وهذا أيضا صحيح لحديث أنس
رضي الله عنه أنه سأله عن رسول الله (ص) فقال : أو فاعل ، رواه الترمذي
وحسنه . ولقول علام نسى (ص) أسألك أن جعلني من تسمع له يوم القيامة
فقال له : ذلك من أشفع له يوم القيامة ، رواه الطبراني بأسانيد تضعها رجاله رجال
الصحيح وبعضها رجاله ثقات ، قاله في مجمع الرواة ، ولا يجوز هذا الطلب من غير

الرسول كما لا يجوز نشر الرسول الوهم بها ، لأن ذلك يتوقف على العلم بإبذنه
 للطلوب وكونه هو الطالب من أهل الجنة . ولا يجوز بشيء من ذلك إلا بوحى .
 أنها : طالبا من جميع يوم القيامة . وهو ثابت بحديث الشفاعة المروى في
 الصحيحين وغيرهما عن أنس وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله الناس
 يوم القيامة فيقولون : لو أنه تفهمنا إلى رنا حتى يرينا من مكة فأتان آدم الحديث
 رادها : طالبا اليوم بمرح . انقل إلى عالم النيب ، فإن كان المطلوب نبي الرحمة
 فالطلب ردة لم ينقل من أحد من أئمة المسلمين . لا بأئمة ذرية ولا غيرهم ، كما
 نقله في حياة الإمام من الصارم المنسكي لأن عدد الهادى ، وإن كان المعنوية ،
 من صلحاء الأمة ففيه من المقامه اعتقاد علم المدعو بالنيب والجزم له بالجنة ويأذن
 الله له في الشفاعة وإدخال الطالب في المأذون بالشفاعة فيهم ، ومن عزم هذه القوارم
 فقد أشرك أو كان منه قاب قوسين

أيها الراعى ، لنيل الشفاعة - . عن الله رجاء - لا تفعل الرجاء وحده
 طريقك إليها ولا محاذيك لا متعاقبا ، فتكون من الممترين ، وطال المتركين من
 المعصيين ، وسكن محمد . إلى فناءك . سره بالإيمان الخالص من رغبات الوثنية ورغبات
 إبليس عدو أبوك آدم وحواء ، حتى يكون لجمالك الحسن على أرائك ، وأحب
 لبيك محبة اقتداء واستئذان ، ولا تقس الصلاة : به ومزال الوسيلة له بعد الإذعان ،
 فإذا دخلت دلتك كان رجاءك ، فإمامة . بياض حديث . أسعد الناس بشعاعى
 وحديث سؤال الوسيلة بعد الإذعان ، ومن لم يفعل ذلك وقع تحت الأضرار سوء
 معية الاختيار بمراتب الآلاء ، مع التهان بصلاح الأعمال .

وفي جميع مسلم وغيره من أئمة قالت : لما مات (وأبدر عشرتك الأقربين)
 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا أبا طالب ابنه محمد ، بأصفيه أبا عبد المطلب
 يا أبا عبد المطلب لا أم لك من الله شيئا ، سوى من مائة سنة

فن تعان بالخلة في وتقرب إليه ليدفع له عند الله ، وعلى تعلمه ذلك تعظيما لذلك
 المحلوق برحمته أنه ، فقد أذبه الله ورسوله بخطأ ظنه وساء تقربه ، وأن في ذلك

التعلق تمصا لله بغيره عنه . ذلك أن الجاهل بالله من أهل الكتاب والمشركون
يقسرون أحوال الأحرار على أحوال العبيد ، وأحكام الله على أحكام الملوك فإذا
كان محرم في الدنيا قد يسحر من سطوة العيون وقضاء الحاكم عليه بشفاعته وجهه
عنده كان محرم في الآخرة قد يسحر من عذاب الله بشفاعة من أو ملك أو ولي ،
وهو عباس فاسد غفلا وغفلا أما العقل فما يقدم من بني الشفاعة لمن رجوها من
غير الله ولا سبها المشرع . وأما العقل عين كل مؤمن بالله يعتقد أنه يحيط بكل
شيء عدا . وأنه ما شاء كان . وهذا شأن لم يكن ، وأنه يفعل ما يريد حكمه ورحمة
لأرعه ولا رمة ، وملوك لما يتخللون كنوا من أحوال مصورم ، فضلا عما
بأنهم ، يريدون الشيء . ثم يرجعون عنه ، ويرجعون في إرضاء أعيان دولتهم
ويرجعون لسخاظهم

والشفاعة إلى الله دعاء يفعل الله عقبه ما سبق في حله وإرادته أن يسمع
وقبولها من الشفيع بكرمة له ورحمة بالشفيع ، وأما الشفاعة إلى ملوك الدنيا فهي
إعلام لهم بما يكرهوا يفعلون من رادة عنهم أو علاقته بالشفيع ، وتبعية لإرادتهم
المقبولة بإرادة المعبود والباعث لهم على التشفيع الرغبة في موافقة الشفيع أو الرعدة
من مخالفته . وكل ذلك يبادى بمصور عليهم وصعب لإرادتهم ومحرم عن
الاستقلال بتدبير ملائكتهم ، وهذه علامة الحدوث الشاهدة بانفراد الله بالكمال المطلق
والشفاعة إلى الملوك هي عندنا من الصائب مشاركة لهم من الشفاعة في الملك ،
من قاس الشفاعة إلى أنه عليها فقد أشرك بالله ووصفه بما ينزه عنه كما طقت بذلك
آية (قل أدعوني فلا أستجب في السماوات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما
يشركون) ودبت عليه الآية الجامعة لنفي أقسام الشرك إذ قال أثرها (ولا تنفع الشفاعة
عنده إلا لمن أذن له)

وهذا وجه الجمع بين ما جاء في إثبات الشفاعة ونفيها وأن المثلث منها هي الشرعية
والمثلث هي الشركية ، وبه نعلم مراد لدعاة المرشدين في تحذير العامة من الانكسار
على الشفاعة والتغريب إلى من تراهم من أهلها ، هم يتكبروا عليك أصل اعتقاد

الشفاعة ، وإما حدوثك من الاعتقاد العائد الذي صحبها ، قال في صيانة الإنسان خلاص الشوكاني :

« إن الرزية كل الرزية والبلة كل البلة أمر عبي ما ذكرنا من الوسائل المنجدة والشفاع عن له الشفاعة ، ذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخوارج في أهل القصور وفي المروءة ، لصالح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، يفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل ، حتى بلغت ألسنتهم بما انطلوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونه ثابة مع الله وباراة استملا لا ، ويصرحون بأسمائهم ويعطونهم تعظيم من ينك الصبر والتمسك ويحسون لهم حصونا رائدا على حصونهم عند وقوعهم بين يدي ربه في الصلاة والدعاء ، وهذا إذا لم يكن شركا فلا بدري ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كاهرا طيس في الدنيا كاهرا

أيها المسير اتبع القرآن فيما أرشدك إليه بشمخ لك عند الله ، ولا تحذر من سنة رسول الله شملت إن شاء الله - شفاعة ، ولا تقص من رحمه الله ، ترحو رحمه سواء فإنه أرحم الراحمين ، يا أيها من جد تلمح موعظه من ربكم وشعاع لم في الصدور وهدى ورحمة المؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

الزيارة والمزارات

قال في المصباح ، والزيارة في المعروف قصد المرور ، كراماته واستشافيته ، وفي شرح الشفاء للحفاجي : الزيارة تختص بمحبي بعض الأحياء لبعض مودة ورحمة ، هذا أصل معناها لغة ، واستعمالها في المور الأموات لإعطائهم حكم الأحياء ، وصار حقيقة هرفية لشيوعه فيها .

والمزارات عندما هي مواضع قررت العادة زيارتها للتبرك عن جلس فيها من الصلحاء أو دين عدما أو سميت به وإن لم يرها أو أشار معتقد فيه بظهور روحاني بها .

والكلام على الزيارة وما ينصلحها في سعة ما حث على زيارته الأحياء ،
وزيارة الأموات ، وحياة الأرواح ، وعطاء الأرواح ، واتخاذ المزارات ، والسفر
إليها ، والعرض من الزيارة

فأما زيارة الأحياء فقد أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فعلا ورغب فيها قولا
إذا كانت لغرض صحيح

في مسم عن أنس أن أبا بكر قال لعمر : ائت للزبارة إلى أم أيمن تزورها كما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، وإياها كتبه عند رؤيتهما من فقد النبي
صلى الله عليه وسلم فأبكتهما .

وفيه وفي الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا
زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصداه : فلما هو عنده جثته ملكا ، فلما أتى عليه
قال : أين تريد ؟ قال أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : لك من فمة تربها عليه ؟
قال لا غير أني أحبته في الله تعالى ، قال : يا رسول الله إليك بأن الله قد أحبك
كما أحبته فيه . وأرصدته بالشئ . وكله بمهبط ، والمغربة ففتح فسكون الطريق ،
وتربها تقوم بها وتسعى في صلاحها .

وعنه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناديا
طست وصاب بمشاك وتبوات من الجنة عزلا . رواه الترمذي ، وقال حديث حسن .
وأما زيارة الأموات ، فقد منعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أذن بها ، وذلك الأحاديث على
زيارة قور الوالد ، وعمرهم من المؤمنين والكافرين لعرفهم مشروع ، ولص العلماء
هي استجابتها للرجال ، أما النساء فنهى عن ما بين وبينهم من كرها لمن ، ومنهم من
أذن لمن مع الفتنة .

ومن ابن عباس . لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخدين عليها المصاحف
والمرج . أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ، والسرحد بن شبيب جمع سراج
وعن جريرة أنه (من) قال : كنت وبنتك من زيارة لقور فزورها . أخرجه
مسلم وراد فيه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح : فإن فيها جورة .

وعنه أيضا كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم :
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا - إن شاء الله - بكم لاحقون
أسأل الله لنا ولكم العافية أخرجه مسلم وغيره

وعن أبي هريرة أنه (ص) قال : من زار قبر أوبه أو أحدهما كل جمعة
عمره وكتب رأياه للطرائف في الأوسط

وهو أيضا أنه (ص) زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال : استأذنت
ربي عز وجل في أن أتعمر لها ، يؤذن لي واستأذنت في أن أروى قبرها فأذن لي
فروى القبور فإياها تذكركم الموت أخرجه مسلم ورواه المسائي تحت عنوان
: زيارة قبر المشرك

وأما حياة الأرواح فهي ثالثة ، سواء أرواح المؤمنين أم الكافرين
قال تعالى في شهداء بدر : ولا تقولوا لم يمل في سبيل الله أموات بل أحياء
ولكن لا تشعرون ،

وقال في شهداء أحد : ولا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء
عند ربهم يروون ،

وعن أسامة أنه (ص) قال : إن العبد إذا وضع في قبره ونوى عنه أصحابه إنه
ليرى قرع معالم ، أتاه ملكان فتمداه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا
الرجل محمد (ص) ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له
انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً خيراً منه قال رسول الله (ص)
فراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟
فيقول : لا أدري ، كنت أقول كما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا ظنيت ،
ثم يصرب صربة بين أذنيه فصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين أخرجه
البخاري والمسائي ،

وهناك بعض ندل على حياة الأرواح حياة لا تشعرونها وعلى أنها زيارة
الآحياء لمقابرها وعلى عليها أحوال من يتبع بعد أصحابها من محالطتهم وعلى سماعها

كلامهم وقوله تعالى : « نك لا تسمع الموتى » أريد فيه من الإسماع معنى الهداية ومن متفاوتة في هذه الحياة . أعلاها أرواح الأنبياء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ثم الكافرين . وعلى كل حال هي حياة عيبية لا تقبى حبات الدنيا فلا معاملة بيننا وبينها بالسمع والإجارة والنكاح ، ولا تكلف مثلنا بالمعاهدات

وأما اتحاد المزارات فمتنوع ولو للصلاة فيها ، سواء بالبناء على القبور أم تعليق الحوطة على أشجار أم بوضع المبحر والمصاييح عندها

في الموطن والصحيح من عائشة وعمرها أن أحرم ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : قابل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وروى الحسن ، مكان ، قائل ،

ومعنى أي المباح أن عليا قال له : ألا أبعثك في ما بعث رسول الله (ص) ولا تدعن قبراً مشرقاً إلا سويته ولا صورة في بيت إلا طمسها ، رواه مسلم وأبو داود والترمذي والسنائي وهذا لفظه

وأما السمر إلى المزارات في الموطن عن أي هريرة أنه قال : لقيت بصرة بن أبي بصرة الغناري فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت من الطور ، فقال : لو أدركتك قل أن تخرج إليه ما خرجت ، سمعت رسول الله (ص) يقول : لا تعمل المظلي إلا إل ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام وإلى مسجدى هذا وإلى مسجد إيليا أو بيت المقدس - يهك ، وإيليا وبيت المقدس واحد ، وإنما ألحق فيها لفظ به الرسول منها .

وحدث لا تشد الرحال إلا إل ثلاثة مساجد في الصحيحين .

قال البيضاوي ، لما كان ما هذا الثلاثة من المساجد متساوية الأقدار في الشرف والفضل ، وكان النفل والارتحال لأجلها عبثاً صانعاً نهي عنه ، لأنه يشغى للإنسان أن لا يشتمل إلا بما فيه صلاح دميوي أو ملاح أخروي . قال : والمقتضى لشرف ثلاثة أنها أئمة الأنبياء ومنعماتهم .

وقال الزرقاني في شرح الموطن : وإنما حطر البناء على القبور خوفاً أن يعبد المقبور .

ويظهر من هذا مشروعة زيارة الأسكنة التي اشتملت على معنى بشرها لسكن
بحسبة قيود : الأول أن لا يتحد عليها اسم ولا شيء يميزها الثاني أن لا يطلق بها
حيود ويحورها الثالث أن لا يكون لها سدة يستشفون لها في أبدي الزايرين
الرابع أن لا يرجى منها النفع والخير رجاء المهر كبر ذلك من أصنامهم لأنه من
معنى العبادة الخامس أن لا يسافر إليها السير الطويل في غير المساجد الثلاثة ،
وفي غير زيارة المتحايين من الأحياء .

وأما العرض من أربارة فلس الناس متعدين فيه ، وقد يكون للزائر عرض
واحد ، وقد يجمع له أعراس ، ولدان ما هو من الأعراس مسون أو مبتدع
نفسه لها إلى سبعة أنواع

الأول . عمة المزور . وإحصائيه ورء ، وهذا عرض صحيح في زيارة الأحياء
والأموات إذا كانت الزائر علاقة بزور من قرابة أو صداقة قال المسيكي
في شعاع السقام ، ويشه أن تكون زيارة للمي صلى الله عليه وسلم قد أمه
من هذا القليل ،

الثاني الطمعة في إعاءه المزور بماله أو جاهه أو ربه ، وهذا م يذكروه من وقفنا
على كلامهم في أقسام الزيارة ، لكنه مقابل لسوء الذي قلناه ، وهو غير صحيح في
الأموات لعدم صحته الاستماعة به ، وصحيح في زيارة الأحياء متى كانت للزائر
حاجة حاملة على الاستماعة وكان المزور استطاعه معاندة لتلك الإجابة

الثالث . استطلاع العيب ، كما روي العوام من يطوفون بهمم الصلاح عن يسميهم
الشرع كما ما يدلونهم على ما صاع منهم سره أو غيرها . ويكشفوا لهم عن عاقبة
ما أرادوه من نكاح أو شركة أو سر أو فلاح أو غير ذلك ، وهذا القصد
قاسد مهي عنه لما تقدم في فصل الكهانة من التشديد في إنكار الكهان . وذكرناه
في أنواع الزيارة وإن لم يذكره عروا فيها ، لأن عواما يسمون هذا زيارة

الرابع الانتمط بتذكر الموت والاعتبار بحال الميت ومصير الحي ، وهذا
عرض صحيح في زيارة أنصار لا فرق بين من فيها من مسلم وكافر ، ولا بين القريب
ملك والأجنبي منك .

الخامس . الدعاء للوفى والسلام عليهم . وهذا مشروع في مقابر المسلمين ، سواء كانت مقابر الأولياء الصالحين أم العصاة المذنبين .

السادس : تأهيس اثرات الضرور إذا كانت بهما مودة صادقة . وذلك صحيح في زيارة الاحياء والاموات .

السابع : التبرك إن أراد به الانتفاع بالزور أو المزار في قضاء الحاجات من غير أسباها المنة وطرقها الطاهرة ، فهو من سوء التصرف في السكون للخلق . وذلك شرك بواح . قل في راد المباد ، وكان هديه صلى الله عليه وسلم أن يقول ويكمل عند زيارتها مرتين . جس ما يقوله عند الصلاة عليه من الدعاء والتزحم والاستغفار . بأنى المشتركين إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به وسؤاله الخواتم والاستعانة به وتوجه إليه ، فعكس هديه عليه السلام فإنه هدى . توحيد وإحسان إلى الميت ، وهدى هؤلاء شرك وإساءة إلى جوسهم وإلى الميت ،

وقد يعمرون عن هذا الصرب من التبرك بالاستعانة من أرواح الصالحين ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم يتصرفون في العباد . ويحسون حاجات قاصديهم ويستدل مستدلهم بما ورد في حجة الأرواح بما قدمنا أصحه وأصرحه ، ويتخذون المزارات يسون عليها الباءات ويرون أن روح الصالح علان هناك ، إما لأنه دهن هناك أو جس به .

وكل هذا جهل وعلال بأن توحيد الله تناول لتوحيد التوجه إليه والاستعانة به . ولما لم يصب له سببا ماديا . وإن آدم لمع فصله ما بلغ لاس له إلا التصرف المتعاد ما دامت روحه محسوسة في عالم نفهاده ، ولا تأتير للأرواح التي في عالم الملكوت في شيء من عالم الملك . ومن عاند في ذلك شربه بأن نفترى منه أوصا مثلا بالدين ، فإذا تقاضك فعل له : إن جددك الولي الصالح الذي كان يملك هذه الأرض وورثتها قد جاءني روحه وأخذت مني الثمن ، فما يكون جوابه ؟ وكيف يحكم الناس على هذه الدعوى ؟

وقد علمت الحكم في الباء على القبور وحكمته ، وأصح الصحابة على العمل به .

فهم يسوا على الامانة التي جلس فيها الرسول في أسفاره إلى الحج والعمرة والفزوة ،
 وهم عالمون بها وشديدو الحفاة . ولم يوطوا بشجرة الرضوان ولا غيرها خيوطا
 وحرقة ، ولا وضعوا تحتها ماحر ومصابيح ، ولا فبوا غير الحجر الأسود أو
 تمسحوا بشيء من غير أركان البيت ، بل هو أمير المؤمنين ومحدث هذه الأمة عمر
 ابن الخطاب ص تعدد العدول إلى مواضع سجوده عليه السلام في طريق المدينة إلى مكة
 وقطع شجرة الرضوان ، وبين وجه تقبله للحجر الأسود كما تقدم .

ها قد أوضحنا لكم ما في الريرة من رشد وغى ، فكونوا من هاداة الدين
 يستمعون العول فينبعون أحسنه ، ولا تنكروا من حفت عليهم كلمة الله (سأصرف
 عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها
 وإن يروا سبيل الرش لا ينحدوه سبيلا وإن يروا سبيل العى يتحدوه سبيلا)

الذبايح

الذبايح جمع ذبيحة ، وهي ما يدبح من الحيوان ، وأصل الدبح الشق ، وذبح
 الحيوان شق حلقه ، والذبيحة إن قصد بها إلى القرية هي من العادات وإلا هي
 من العادة ، والذبح العادى ما يكرم به الداخ نفسه ويوسع به على عباله أو يقدمه
 لصيحه . وهذا كالدى تراه في أسواق الجزارين ، وهو من الصيم المباح إذا استوفيت
 شروط الذكاة المبهنة في كتب المروع

والدبح الدينى يسمى نسكا . وكانت العرب تنسك في جاهليتها للنسائك حول
 أصنامها وأصنامها تقربا إليها وتحتفل لذلك على نحو ما تراه اليوم في الموالد ، ومن
 فسائكنهم الفرح والفتيرة

وقد جاء الاسلام وجوب توحيد الله والاحلاص له في جميع الأعمال ، ما كان
 منها عادة وما كان منها عادة . وقد قرر أو إسحاق الشاطى في كتاب المقاصد من
 الموافقات كليات لها نطق بهذا الموصوع ، وشرحها وبسط القول فيها ، ومن
 فقيها للاستدلال بها لا لشرحها وتقريرها .

الكتابة الأولى . إن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن
داهية هوأ حتى يكون عدأته اختياراً كما هو هدفه اصطلاحاً

ثانية أن المقاصد الشرعية ضربان ، مقاصد أصلية ومقاصد تابعة ، فالأولى هي
المفروض التي لا حظ فيها للمفسر . والآخرى هي المباحث العادية التي روعي فيها
حظ المكلف

ثالثه أن العمل إذا وقع على وفق المقاصد التابعة فلا بد أن تصاحبه المقاصد
الأصلية ، ومعنى ذلك أن تكون الأعمال العادية المباحة ممدولة على مقتضى
المشروع لا يفصلها عمل حاي ولا حجة اع شطآن ولا تشبه بغير أهل الملة
الرافعة أن كل من انتهى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض
الشريعة ، وكل من ناقضها عمداً في المناقضة وصل

والسالك في الإسلام ثلاثة الأصحح والعقيمة والهدى للكفر خاصة
لا للأهرج والمماراة ، وأدام مكر الديعة مكرهة بنية وجب أن يكون
على الوجه المأذون فيه .

قال تعالى (قل إن ملاقى ربكى ومحباى وحى الله رب العالمين لا شريك له
وبذلك أمرت) فطفت النيك على الصلاة

وقال . فصل لربك وانحر . يريد بحر النيك كما فسره جمهور ، وعنده على
الصلاة كما في الآية وبها ينادى بأن الدخ عبر الله الصلاة لغير الله ، لو رأى الناس
مسلماً يصلى لغير الله لبادروا إلى تكفيره من غير استعفاء علماء الدين وهم مصيبون
ولو رأوا . ولم رأوا . من يدع لغير الله لرسوا هذا الصنيع وتناول هم هذه الأغراض
بما يحسن هذا العمل الشيع . وما هذه تصرفه إلا أنهم ألغوا الدخ بغير الله ولم
يألفوا الصلاة لغير الله

حدثني الشيخ أبو سعيد بن النضر عن من شيوخ الطريقة الرحمانية قرب
المبيلة حدثه عن مريد فلان أنه توجه إليه وصلى له فجعل هو يتنمل من ناحيته إلى
أخرى ومريده يتبعه مستقبلاً إياه : حدثه هذا الحديث وهو معتبط بتعظيم مريده له

وقال تعالى : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به .
وفي صحيح مسلم ونحوه في الأدب المفرد عن علي بن أبي طالب أنه أتاه رجل
فقال : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليك؟ فمصب وقال : ما كان النبي (ص)
يسر إلى شيئاً يكتسه الناس غير أنه حدثني بكلمات أربع . فقال الرجل ما هن
يا أمير المؤمنين؟ قال : قال ﷺ : لعن الله من لمس والده ، ولعن الله من دبح
لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غيّر مسار الأرض . والمحدث
هو المصعد في الأرض ، ومسار الأرض تحومها وعلامات حدودها

وروى أحمد عن طارق بن شهاب الجيلي عن النبي ﷺ : دخل الجنة رجل في
ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال : مرأ
رجلان على قوم لهم صم لا يخالصونه أحد حتى يقرب له شئاً ، قالوا لأحدهما قرب ،
قال ليس عدى شيء أقرب ، قالوا قرب ولو دماً ، ففرب ذباباً ففحوا سيئه ، فدخل
النار ، وقالوا للآخر قرب ، قال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ،
فضربوا عنقه فدخل الجنة ، واكتفاء هؤلاء المشركين بتقريب الذباب اعتداد
بأصعف مظاهر الطاعة ، إذ المصود الأصم ، اعتقاد القلب

وفي الصحيحين وغيرهم عن أبي هريرة أنه ﷺ قال لا فرح ولا عترة
وفي تفسير الشوكاني أن أهل به لغير الله ما يقع من المعتدين في الأموات
من الذبح على قبورهم . ولا فرق بين وبين الذبح الوثني

وطال التنوي في شرح مص عند الكلام على حديث . لمن من ذبح لغير الله
وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يدبح بعد اسم الله تعالى . كمن ذبح لصنم أو
الصليب أو لموسى أو ليعيسى من الله عليهما أو للكهنة ونحو ذلك . فكل هذا
حرام ولا تحل الذبيحة ، سواء كان الذاب مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً ، نص عليه
الشافعي واتفق عليه أصحابنا .

فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً ،
فإن كان الذاب مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً

وتفسير السور . المدح لعير الله بالمدح مع اسمته تعالى متى على المعقول من
أن ما يراد به عير الله يذكر عليه اسم ذلك العير . وذكر امر الله في هذه الحالة لعير
لأن الية هي علة التحريم لحديث الشيخين . إنا الأعمال بالنيات ، وحديث صدر عن
أبي هريرة عنه **يرتفع** . إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر
إلى قلوبكم

وقد يقول الجاهلون والمعرضون : إنا نحكم بالطواهر والله يتولى السرائر ،
وقد ظهر من حال الداع أنه ذكر اسم الله فلا سمعت عن الله الباطنة ، فنقول لهم
أولاً إن الحق لا يقتصر دائماً على الظواهر ، في الإيمان والطلاق مسائل تنهى على
النية والقصد ويختلف حكمها باختلاف الية مع اتحاد اللفظ

وثانياً أن من السرائر ما تحجب به قرائن تجعل الحكم للنية ولا تفضل معه الطواهر .
ودبائح الموالد من هذا القبيل ، فإن كل من غلط العامة يحرم بأن قصدتم بها التقرب
من صاحب المزار ، ويكشف عن ذلك أشياء

أحدها . أنهم يصيغون الدبيحة إلى صاحب المزار ، ويقولون : عجن السيد
وقول السيدة

ثانيها . أنهم يفعلونها عند قبره ، وفي جواره ، ولا يحرصون لها مكاناً آخر
ثالثها . أنهم إن جوا عن فعلها في المكان الخاص فصبوا ورموا الناحي تصعب
الدين أو الإلحاد ، وقد يجاورون الجبر بالسوء من القول إلى مد الأيدي بالاداية
وبعد فإن نظر الناس اليوم إلى هذه الذنابع على ثلاث درجات الأولى أنها من
الشرك ، فيجب على العلماء تحذير الأمة منها والنصح ما جاسها . ويجب على الأمة
الاتباع والمبادرة إلى الإقلاع . ودليل ذلك مشابهاً التي تعمل الجاهلية وقرابنها
واجتماعاتها على المصالح وأصنامها

الدرجة الثانية أنها معصية لا تنهى إلى الشرك وقرباً عند الطواهر التي تفعل
ذنابح الموالد عليها من إسراف واستدانة وشهود ماكر من تطيل وتزمر ورقص
وصياح وتحبب كالذي يتحبط الشيطان من المس إلى موبقات آخر من حر واحتلاء

والاجتناب واحتلاطهن . وقد . هذا العريق نظره على حكم العروج فأصاب
وأغفل جهات الأصول فأحبا .

الدرجة اثنتان . استحب . على ما يقع فيها من التراور وهو اساءة الفقراء ،
ثم هي داحية في لدر وإهداء الثواب للبهت

أما ما فيها من التراور والمواساة فالجواب عنه أولا أن أغلب اعتميين يصيغون
الصلوات يوم المولد ، ولا يشهد كثير منهم الجمع ، الأعياد ، ولا يصلون الأرحام
وكثير من الفقراء ولا يتام مفهرون عن الصماء مفهرون ، وثاناً أن المقصود
بالحق هو التقرب من صاحب الصريح ، وثالث أن ما في المولد من مفاسد أظلم من
ذلك الطمطم من المحاسن لو قصد بالذات . وعنة مقصدة الشيء على مصلحته دليل
الخطر منه كما قاله العلماء أحداً من قوله تعالى في آخر والموسر (ولئنهما أكرم
من نفعمسا)

ثم لو كانت ذمات الموالد حبراً . وهي كثيرة عندها . لظهر حبرها أو لقلت كما
قل كل حبر ولكان السلف أولى بها كما هم أولى ما بكل حبر . هل فعلها الذي ^{يذكر}
هي قبر سيد الشهداء عنه حزة ؟ أم صاحبها الصحابة على القبر الشريف ؟ أم اتخذها
انتاعون على قبور الخلفاء أو الشهداء أو غيرهم من كل واحد منهم حبر من ألف
من يدعون لهم اليوم ؟ كلام يمكن شيء من ذلك

وإذا قيل للناس إن هؤلاء الصرائح والمزارات من الأوثان ، قالوا إنكم تسبوا
الصالحين ، يا إخوتانا اقموا لغة العرب والدين تحدا ، أن ذلك ليس من الطعن على
الأولياء ، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم ، وكل من عبده
فهو هالك ، وليس كل مبيود من دون الله هالكا ، قال تعالى (إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل
فيها خالدون ، لهم فيها روي وهم فيها لا يسمعون ، إن الذين سبقت لهم ما الحسنى
أولئك عنها مبعدون) فذلك المزارات والصرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة
إلى ولي صالح

وتلك الاجتماعات عليها والموايد هي من أعياد الجاهلية ، فلو فرصنا أحدا نذر
لها شيئا فهو عاص بوقوفه به . فإن أضاف إليه التعرب من صاحبا فهو مشرك .

وفي فتح مجيد ، قال : اعني في شرح المهاج وأما النذر للضاهد الى على قبر
ولي أو شيخ أو عن اسم من حلها من الأولياء أو تدعى تلك الدفعة من الأولياء
والصلح ، فإن قصد النذر ، وهو الدل أو الوازع من فصول الامامة تعظيم
للحجة والشهد أو اراوية أو تعظيم من ربه ، أو يستر به أو نيت على اسمه ؛
فهذا النذر يصل غير معمد ، فإن معتقدهم أن هذه الأماكن حصوصات وبرون
أما ما يدعيها السلاء ومسجلها الصمد ، ويستثنى النذر لها من الأدوية ، حتى
أنهم يندرون لبعض الأحجار لم يقل لهم إنه استند اليها عند صالح ويسدرون
لبعض القصور اسرح والمذموم واريت ويقولون العز الغلاني أو امكان الغلاني
يصل النذر ، يسمون بذلك أنه يخص به الم من الأموال من شدة مريض أو قدوم
عائ أو سلامة مال ربح ذلك من أنواع نذر بخارة ، هذا النذر على هذا الوجه
ماحل لا شك فيه . إن نذر الزيت والشمع وخومر للقدور ماحل مطلقا . ومن ذلك
نذر الشمع الكثيرة مضممة وغيره ما يقع الخبر عليه السلاء واقتر غيره من الأشياء
والأولياء . فإن النذر لا قصد بذلك الإيقاد على غير إلا تركا ومعيها طاما أن
ذلك حرة ، فهو مما لا يرب في صلاحه . . الإيقاد المذكور محرم . سواء انتفع به
هناك مسجع أم لا

النذر

النذر مصدر نذر الشيء نذره كصره يصير به رفقه يفتنه ومعناه إيجاب الشيء
على النفس مطلقا وقيل بشرط . وجوزوا أن يعنى النذر فقال : أن توجب على
نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر ، ومثله قول تعبد : النذر وعد بشرط .
حكمه الخطائي

وعن ابن عمر أنه قال : أو بهوا عن النذر . إن النبي ﷺ قال . إن النذر
لا يقدم شيئا ولا يؤخر ، وإنما يستخرج النذر من التحيل ، أخرجته الشيطان وجبرها

وإن كان لا يحلو ، بما أن معد السائر أن له دخلا في تحقيق ما علقه عليه
أو لا ، وهي الحالة الأولى من الخطأ في معاد لمن حديث ابن عمر قال : وجه
الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يحل لهم في العاجل فعلا ولا يصرف هم
ضرا ولا يرد شيئا فصد الله ، يقول : فلا تذكروا أهل أبيكم بذكر كون بالدور شيئا لم
يقدره الله سكم أو تصرفون من أنفسكم شيئا جري انقضاء به عليكم .

وهي الحالة الثانية حجة الناجي في المتن . فقال : إنما معنى ذلك أن تذكر لمعنى
من أمر الدنيا مثل أن تقول : إن شئ به سريضي أو قدم عاني أو نجاني من أمر
كذا أو رزقي كذا ، فإن أصد يومين أو أصي صلاة أو أتصدق بكذا ، فهذا
المكروه المهي عنه

وذكر القرطبي في المعجم الحال . فحق عنه الحفظ في الفتح أنه قال : هذا
النهي محله أن يقول مثلا : إن شئ الله مريضى فعلى صدقه كذا ، ووجه الكراهة أنه
لما وقف على القرية المذكورة على حصول المذمور ظهر أنه يتمحصر له
بنة التقرب إلى الله تعالى لما صدر منه ، بل سلك فيها مسلك المعاوضة . وبوضعه
أنه لو لم يشف مريضه لم يتصدق بما صدقه على شفائه ، وهذه حجة الجدل فيه
لا يخرج من ماله شيئا ، لا يعرض عاجل به على ما أخرج مالك ، وهذا المعنى هو
المشار إليه في الحديث بقوله : وإنما يستخرج به من الجدل ما لم يكن الجدل يخرج به
و الخلاصة أن السر المستخرج لا يكون إلا الله وإن احمود منه ما لم يكن مطلقا

على حصول غرض ديون وأن المعلق منهي عن الإقدام عليه

فإن كان السر لمخلوق من مولى ، إلى فهو شرك بالله في هذه العبادة يحرم الإقدام
عليه ولو فاه به مع الحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أنس (ص) قال
: لا ير إلا فيما متقى به وجه الله تعالى ، رواه أحمد وأبو دود وابن أبي شيبة . والحديث
عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : من بدر أن يطيع الله فليطعه ، ومن بدر أن
يعصيه فلا يعصه ، رواه البخاري وأصحاب السنن

وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة يذكرون لم يرتعدون به من الأحياء

والأموات والمزرات الأموال . الثياب والحيوانات والجموع والنخور والأطعمة
وصائر سمولات ، يعتقدون أن يدبرهم يقرهم من رضى الدور له . وأن بذلك
المدبر له دخلا في حصول عرصه ، فإن حصل مصلوهم إدادوا نفعاً عن يدرو
له وشتت حشيتهم به ، بدلوا أقصى عاقبتهم في الاحتفال بالوفاء له ، ولم يستسيغوا
لأنهم التمسير أو التناهي ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أولئها منها
من لا ينال مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة أو بما معها ، ومن صلى وكي لا يسكر على
ناركها ما يسكره عنى من تراخى في زيارة شيخ طريقه أو إقامة مولد أو أداء وعده
قال الصمداني في سبل السلام ، أما الدور المعروفة في هذه الأمانة على القبور
ولمشاهد والأموات فلا كلام في تحريمها ، لأن النادر يعتقد في صاحب القبر أنه
يسمع ويبر ، ويحب أخير وبدى الشر ، ويعاقب الآل ويشتي السقيم ، وهذا هو
الذى كان بعمله عباد الآوان بعينه ، فيحرم كما يحرم الذر على الوثن ، ويحرم قبضه
لأنه تقرير على الشرك ، ويحب الهى عنه وإماتة أنه من أعظم المحرمات وأنه الذى
كان بعمله عباد الأصنام لكن حال الأمد حتى صار المعروف منكراً والمسكر
معروفاً ، وصارت تعقد اللواتى لقياس الدور على الأموات ، ويحمل القاديين
إلى عمل الميت الصافات ويبر في باب المحتر من الأيمان ، وهذا هو بعينه الذى
كان عليه عباد الأصنام ، بإمانته وإنا إله راجعون

اليمين

اليمين واليمين والخلف المقاط مترادفة في الاستعمال ، وأصل اليمين اليد المقابلة
للشمال من الإنسان وهيه . استعملت بمعنى الخلف لأنهم كانوا - كما فى الصحاح
وغره - إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه قال ابن العربى
في أحكامه . وحقيقة اليمين ربط العقد بالامساع والشرك أو ، بالإقدام على فعل ،
بمعى معظم حقيقة أو اعتقاد

فالخلف بالشئ يقتضى تعصمه ، ومنع النفس من الفعل أو عزها عليه لمجرد
عطية المحلوف به ، والعطية نوعان . أحدهما يختص بالله ، وهو الذى يشعر بها المرء

ولا يعرف منشأها ويرى لصاحبها عليه سلطة غير محدودة . وهي العظمة العبيية
وثانيهما ما يتصف به المخلوق وهي التي تنشأ عن أسباب معروفة وتقتضي سلطة
خاصة . وأسبابها لمعروفة إما الحكام الديني بالعادة . فالولي عظيم لوقوعها منه .
والمسجد العظيم لوقوعها فيه . وإما السكالك الديوي بالمال والاتباع كالتي يعرفها
أهل الدنيا للبلوك والأسراء والأعيان . وما الشرف الأصلي وهو ما للأمام هل
أسانهم والعظمة العبيية تقتضي عادة من وصفها . والتي تحدث عن أسباب
لا تقتضي عادة انتصفها . ولما كانت العادة لا تكون إلا لله كانت العظمة
العبيية لا تكون إلا له من اعتقدها في سواء فهو مشرك

وقد عرفوا الذين الشرعيه على أنها خاصة بالخالف . فقال الحافظ في الفتح
هي توكيد لشيء يذكر اسم أو صفته . ونحوه قول حليل . النبي تحقيق ما لم
يجب . ذكر اسم الله أو صفته . وجاءت أحاديث في اخلف بالله وغيره

(١) فمن أن عمر أنه (ص) أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب
يحلف بآبيه فقال : ألا إن الله بهاكم أن تعلموا . أنكم من كان حاله فليحلف
بأنه أو ليصمه . أخرجه الشيخان

(٢) وعنه أيضاً أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من حلف بغير الله فقد كفر
أو أشرك رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه

وعن قتيلة (بالتصغير) (رضى) أن يهودياً أتى إلى (ص) فقال . إنكم
تندسون وإنكم تشركون : تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة . فأمرهم
الذي (ص) إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ، ويقولون ما شاء
الله ثم شئت . أخرجه أحمد والبيهقي وابن ماجه والطبراني وابن منده . وصححه
الحافظ في الإصانة وفي نيل الأوطار أن السامى صححه

وعن ابن مسعود (ص) لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف
بغيره وأما صادق . أخرجه الطبراني في الكبير موقوفة عليه . ورخاله رجال الصحيح
هي الرسول ﷺ عن الحلف بالمخلوق بأي أكثر الناس إلا الحلف به .

وأعطى في الهوى حتى بلغ به شىء أشرك والكفر فأجروا هذه الآية على السقيم
أكثر من المؤمنين بالله ، وأمر من حلف بالله أن يصدق ، فلا عيبوا بالمؤمنين الشرع به
واحترموا المؤمنين الشرعة . وأمر من حلف بالله أن يرضى ويكل أمر الخائف إلى
الله ، لا يطمئنون إلا للحلف بأوليائهم

وهكذا زامهم بمطعون الإيمان بأوليائهم ومحشون الحث فيها أكثر من تعظيم
المؤمن بالله وحشية الحث فيها ، فيحلفون بالله كاذبين في استحقاق وعدم مبالاة ،
ولا يقسمون بيمين من حلف لهم بالله ولا يكسبون بها ، ولا يقدمون على الحلف
فشيوعهم عن اعطاهم وشيوع صرفهم كذباً ، ولا يكذبون من حلف بهم ، بل يجمع
بون الواحد منهم إذا حاول الحلف بهم أو سمع من أمرع إلى ذلك الحلف ، ثم يلجأ
أهم يستحلفون بالله على شئ ، فيسرعون إلى الحلف على خلاف الواقع ، ثم
يستعاضون بشيوعهم أو آثامهم على ذلك الشئ . بهمه يحرس ألسنتهم ويخف أربابهم
ويعترفون بكذبهم في الدين بالله ولا يستحلفون بالله المسلمين (الذين صل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) واست هذه الحالة المذكورة خاصة
بعضنا أو مصرنا

قال الشوكاني في تلخيصه : ذكر معاصد البناء على الأمور ، وقد نورد
إلى من الأحبار ما لا يملك منه أن كثيراً من هؤلاء القصور بين أو أكثرهم إذا
توجهت عليه يمين من جهة حصه حلف بالله فأحراً ، فإذا دل عليه ذلك حلف
بشحك ومعتقدك أو بالملل قلتم وسكاً وأى واعزوا ، الحق وهذا من آيين
الأدلة المدالة هل أن شركهم قد بلغ فوق شرك المشركين

فياعلمه الذين وبما ملوك المصداق أو ر . للإسلام أشد من الكفر ؟ وأى ملاء
هذا الدين أصرعله من عبادة غير الله ؟ وأى مصبه يصاب بها المسلمون تعدل هذه
المصبة ؟ وأى مكر يمح إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك بين واحبا

وقد نبى عيسى أن تعرف وجه ما جاء في الكتاب ولسمه من القسم بغير الله ،
في الكتاب الإقسام بالطور والجم والشمس والقمر ، الشمس والها . وغيرهن . وثبت
أنه ^{عليه السلام} قال : أولح وأبه إن صدق ، أخرجه أبو داود وغيره

فأما ما ورد في الكتاب فقال الأمير في حاشيته على جمعه ، وإقسام الله تعالى
بالتجيم ومحوه لا ... له أن يقسم بما شاء وبأمره التي فعلها في أفعاله نبيها على
عطاءها : ليريان سر الحق فيها من غير حلول ولا انحداد ، فإنها مطهره مع تهره
كما يدور ،

وفصل محمد عبده هذا المعنى أول سورة المائدة من تفسير جزم عم فقال
: جاء في الكتاب العزيز ضرب من القسم بالآلوه والامكة والأشياء ، والمقسم
بما يكون شيء يحشى نفسه إذا حدث في حقيقته أن يقع تحت المؤاخدة ، يعود
بأنه أن يتوهم شيء من هذا في جانب الله ، لأن الله حين شاء يحتاج في تأكيد
أخباره إلى قسم بما هو صعب قدره ، وليس شيء في وجود قدر إذا لم يصب إلى
قدره الذي لا يقدره القادرون ، بل لا وجود لكائن إلا فليس في وجوده إلا أنه
السطح عليه شعاع من أشعة ظهوره جل شأه

، ولهذا قد يسأل السائل عن هذا النوع من تأكيد الخبر الذي احتضن به القرآن
وكيف يوجد في كلام الله ، فيجيب بأنك إذا رجعت إلى جميع ما أقسم الله به
وحده ، إما شيئاً أذكره بعض الناس ، أو أحمره لعنته عن فائدته أو دمل عن
موضع المرة فيه ، وعنى عن حكمة الله في حلقه أو انعكس عليه الرأي في أمره
فأعقد منه غير الحق الذي قرأ الله شأه عليه

يقسم الله ، بما لتبريره وجوده في عمل من يذكره ، أو يعطيه شأنه في نفس
من يحقره ، أو تسيه الثمور إلى ما فيه عدد من لا يذكره أو لقلب الاعتقاد في
قلب من أصله الوهم أو غناه الفهم

قال الخطابي . قوله أطيع وأمه ، هذه كلمة حاربه على ألس العرب تستعمل كثير
في خطبها يريد بها التوكيد . وقد هي رسول الله ﷺ أن يحلف الرجل بأبيه ،
فيحتمل أن يكون هذا القول منه قبل الهوى ، ويحتمل أن يكون جرى ذلك منه على
عادة الكلام الجاري على الألس وهو لا يعصده القسم ، كدعوى اليمين المعروفة
قال الله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . ولكن يؤاخذكم بما كنتم تقولونكم)
الآية . فانت عاتقة : هو قول الرجل في كلامه . لا واقع وبين واقع ومحو ذلك

الى الدين الخالص

للأخ في الله داعية الإصلاح الشيخ الطيب الضي الجزائري

ماتت السنة في هدى البلاد
وهشا داء اعتقاد، اصل
عدو الكل هراء شبحه
حكوا عاداتهم في دينهم
لست منهم لا، ولا مني هموم
يوم يأتي الخلق في الحشر وقد
يوم لا نعمهم معدة
بصير الساكن في أعضائها
وكل الله من حل بها
أكلهم فيها صريع، شرهم
كنا فكرت في أمرهم

قبر العم وفساد الجهل ساد
في سهول المطر حرا والجماد
حده، صلوا وصل الاعتقاد
دون شرح الله إذ عم الفساد
ويهلل يا ويلهم يوم المصاد
نشروا نهر وراش وجراد
ولطى مأواهم شمس المهاد
كنا، حرق منه الجلد عاد
جمع أملاك علاط وشداد
من حميم لهم فيها سواد
طال حرق وعشائ السباد

أبها الأقوام إن تبعوا الهدى
أنى أصبحكم نصح امرى
كنا ينصر يوما عمره
ما رزقهم، في عدد تلفونه

ما لكم واهه غير العلم هاد
ما له غير التقى والخوف راد
حرفه من هول يوم الحشر رد
ليس يحدى بدم يوم الحصاد

أيها السائل من معتدى
لمى لست بدعى ولا
يحدث اندعة في أقوامه
ليس برضى الله من ذى بدهة
لست من يرضى في ديه
بل أما متعج بهج الألف

يمنى متى ما يحوى القواد
خارجى دأبه طول العباد
تدم الأوصى بمدا ووهاد
عملا إلا إذا تاب وعاد
ما يقول الناس ريد أو رباد
صدعوا بالحق في طرق الرشاد

حجتى القرآن فيما قلته
 وكذا . منه خير الورى
 وبدا ادعو الى الله ولى
 مكبو لا اسأل الاخر ولا
 مدعى شرع لى المصطفى
 حطى . ومكر وطر
 وصريق الحق عدى واحد

لا أرى الاشاح فى قبضتهم
 وهى من يدعى غير انى
 قال قوم سم الامر لم
 قل انقصود تعطى يلى
 قلت انى مسر يا ويحكم
 قوليكم هذا هراء أصله
 ايا لا أسير نفسى لهمو
 لست ادعوم كما قلتم وقد
 لست من قوم على أصدهم
 كلما أنشد شاد فيهمو
 كم نوا قبرا وشادوا هيكلا
 عزم من داهوا فى دهم

لى أنهم بها ندا
 وأنا حصم لم أنكرهم
 علوما طرق المعجز وما
 طالما جد الورى فى سهم

حاصر فى إنك منهم وبدا
 كما كانوا جميعا أو مراد
 منهم من لسوى الشر أفاد
 وهو كم عدم طول الرقاد

إن سادات الوردى قانتهم
وهو ردى وعوفى نصرفى
تلك السادة ما صدم
عن هدى دينهم فى الحق صاد

لست أدعو خير ربي أحدا
وله احمد فقد صبرا
فاعدوا ما شئتموا من دونه
لست ممددا إلى طاعونكم
م اطفئ صبرا لا ولا
لست أكو محرر حدنا
لا أشد ارحم أمي حبه
حاليا كل يوم أنه
لا أسوق الهدى قربانا له

ومرارى كل أنصمى
الذى أطفئ ردى دائما
وإذا ردت أرى صبرا
داهيا ردى لم مسمرا
والذى مات هو المحتاج إلى

لا أنادى صاحب القبر أغث
فأنا أو قاعدا أدعو به
لا أماده ولا أدعو سوى
من له أسماؤه الحسنى وهل
علما ديني له مثلا

أنت قلب أنت غوث وسنا
إن ذا عندي شرك وارتداد
خالق الخلق رموف بالعباد
أحد يدفع ما الله أراد ؟
أمره لا أمر من زاغ وحاد

خاتمة

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المعروف ما عرف الله به ، فأمر به إيجاباً أو استحباباً ، ودعا إليه دعاء طاعة وسه . والمنكر ما أنكره الله ، يحكم بفساده ، وهي عنه تحرماً أو تنزيهاً ، وحذر عنه تحذير معصية أو بدعة .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ملاك أمر الدين وصيانة حرمة بين المسلمين ، وإلزامهم بما يحفظ عليهم ، حرمة الله ، والتمسك بدينهم المواقف المحمية للقلوب ، ومن حرمهم ما حرم ، فله بالحق حد حرم نفسه وحسن الدنيا والآخرة (ذلك هو الحشران المين)

وهذه جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة في الحديث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فله صبرها على آية من آل عمران وحديث من صحح مسلم وثان من صحيح البخاري .

قال الله تعالى (ونسكنكم منكم آمنين بدهون ، في الخير وبأمر من الأمر وبهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من بيعة الله في أمته حتى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب بأحدون بسنة ويمتدون بأمره ، ثم أباها تحرف من بعدهم حلفاء يقولون ما لا يملكون ويحكمون ما لا يملكون ، في جهادهم ، وهو مؤمن . ومن جهادهم أساءة فهو مؤمن . ومن جهادهم بقلبه فهو مؤمن . وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . رواه مسلم .

وعن الدخان بن بشير أنه (ص) قال مثل الثقات في حدود الله والوقوف بها كش قوم أسلموا ، على سبيلهم أعتلوا ، وبصفتهم أسقطوا . وكان الذين في أسقطوا إذا استقروا من الماء مروا على من قومهم فقتلوا . لو أبا حرقاً في نصيبنا حرقاً ولم يؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً . رواه البخاري .

وقد أجمع المسلمون على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية
إذا قام به بعض الناس سقط الخرج عن باقيهم ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن
منه بلا عذر . وقد يتعين على واحد إذا لم يستطعه غيره .

وأما قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عذب أنفسكم) لا يصحركم من صل إذا اعتديتم)
فقال النووي في شرح مسنده المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية : (إنكم إذا
صلتم ما كفتم به فلا يصحركم بنفسهم غيركم ، مثل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر
أخرى) وإذا كان كذلك فما كف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا
فعله ولم يمثل المخاطب فلا يعتب به ذلك على المعلن لكونه أدو ما عليه ، وإنما
عليه الأمر والنهي لا القول والله أعلم

ويشترط للقيام بأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط (أحدها) العلم بحكم الشرع
في العمل المنعور به أو المنهي عنه (ثانيها) أن يكون ذلك العلم بما أجمع العلماء على
حكمه أو أحفظوا فيه ، وإلكن فاعله يقتضيه القول بأنه أحدها ويرتكبه مخالفة للشرع
(ثالثها) أن لا يندب القيام بهذا الأمر إلى محذور أشد ، واختلفوا في شرط رابع
وهو طين الإفادة فاعتبره بعضهم ولم يعتبره جمع من العلماء منهم النووي . قال في
شرح مسنده قال العلماء رضى الله عنهم . ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر لكونه لا يجد في طه بل يجب عليه فعله ، فإن الذكوى تنفع
المؤمنين وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول ، وكذا قال الله عز وجل
(ما على الرسول إلا البلاغ)

ولم يشترطوا للقيام بهذه المهمة أشياء (أحدها) الاستقامة . فمن انحرف بالشبهة
أن يأمر غيره به . قال النووي : فإنه يجب عليه شتان أن يأمر نفسه ونهاها ،
ويأمر غيره وينهاه . وإذا أحسن ما أحسن كيف يباح له الإحلال لا الأحرار

(ثانيها) تولية من الأمير . فعلى غير المتوفى القيام بهذا الشأن . قال النووي
عن إمام الحرمين والدليل عليه إجماع المسلمين ، فإن عمه أو لولاه في الصدر الأول
والعصر الذي يليه كانوا بأمرهم تولية بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقرير

السلس لإياهم وترك أو يجهن على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية واه أعلم

قال النووي في هذا المقام . وأمر أن الأجر على قدر النصب وساق من الآيات (وليبصرون الله من يبصره - ومن يعص الله فله أجر كبير) وساق من مستقيم - والذين جاءوا من بعدهم قبلنا - أحببناهم أن ينزلوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

(رانها) احتفظ على . ابطه من صداقة أو حظوة ، على المرء أن يأمر صديقه ويذكر عليه ولو حتى يغير قلبه عنه وسقوط حظوته لديه . قل لنزوي . فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا ، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها ، وصديق الإنسان ونحوه هو من سمي في هارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه . وعدوه من يسمى في دهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه ، وإنما كان الإنسان عدواً ناله داء . وكانت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أو بنياء للذين آمنوا في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها

وقد مر في كلام النووي عليه على نهاية السلف بهذا الواجب الديني الاحتياجي وعدم مخالفتهم في تنفيذه بالأمر . وموافقهم في هذا الباب لا يتسع لها كتاب ولكني أقصر منها على قصتين . إحداهما عن المطلب بن السائب قال : كنت جالسا مع سعيد بن المسيب في السوق فرأيت ريد بن رومان ، فقال له سعيد : من ريد بن رومان أمي ؟ قال نعم ، قال كيف تركت بني مروان ؟ قال بحير ، قال تركتهم يجمعون الناس ويجمعون الكلاب ، فأشارت برسول . فسمعت إليه ، فلم أرل أرجيه حتى أطلق ، فقلت لسعيد : يعمره الله . تشيط بدمك ؟ فقال أصكت يا أحمد فوافقه لا سألني الله ما أحدث بحقوقه . ذكرها الدهى في تذكرة الحفاظ ثانيتهما عن أنس بن مالك قال : اجتمع سفيان والأوراعي وعاصم بن كثير بمكة ، فقال سفيان . يا أبا عمرو حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي عم السفاح ، فقال : لما قدم

الغمام وقل في أمية حارس يوم على سريره وعى أحمده أربعة أصناف وصف
 بالسيوف المسللة، وصنف معهم الجزية، وصنف معهم الأعمدة، وصنف معهم
 الكافور كوت ثم بعثت في هذا حرب في الدار أربوب عن داني وأحد ثمان
 بعضي وأدخلوني من صديقي حتى أظهروني عثت بجمع ثلاثي، فقال لي أنت
 عندنا نحن من عمر الأول اعني قد نعم أصلي الله الأمير قال ما يقول في دماء
 في أمية، قلت قد كان منك ومنهم عمو دوان يسمى أن يمواسها قال ويحك
 احملي وربي لا عهد سنا فأجبتت نفسي وكنت القتل قد كرت مقامي في
 يدى الله، فأنظمت دانت دماؤك علك حرام فغضب واستمعت أوداجه وامررت
 عسده، فها في وقتك وألم، قلت ول سوبه هو يثا لا يبع دم امرئ مسلم
 إلا بأحدى ثلاث نسب إن، من نفس وبارك لديه، قال ويحك أو ليس
 إلا ما ديه، قلت كف ذاك، قال أسس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضي لعل؟
 قلت، و أوصى الله، ما حكم الحكمين فسكت وما أجده عصب شجعت أنوقع
 رأسي بسيفي من يدى من بعد هكذا أوري أن أخرجوه، فخرجت فأأعدت
 حتى لحقتي فارس، فها اب، قلت وما بعث ليأخذ رأسي أصل ركنين مكبرت
 تجاه وأنا أصلي بعد وقال إن لا ميرت إليك هذه الدناير، قال ففرقتها قل
 أن أدخل بي، عن يدرة الحماط

ذلك موقف عليه الأمان بما لا يحرمه يوم

ولحن أن لا المعروف والهي عن المسكر قد قل رحله مدفون فها
 الإمام البوورد في قدر سبع، من أنه تعلوه وحفاظ الحديث يشكو ضياع
 هذا الروح يقول وع أن هذا الب، أعني باب الآ المعروف والهي عن
 اسنر، قد صبح أنه من الما مطاولة يومه في هذه الأزمان إلا
 رسوم قليلة جداً، رحم الله هذا أحاده نريضة.

الفهرس

- ٤ خطبات مفتوح في آفة المساجد ، خاص المساجد في الله ، ثم قرأ
٥ عشرة سور مفصلة و قام بها و قد بلغ عدد السور ثلثين سجدة
٩ كذا لا بد من وصفها و وصفها في السور لادان و بين السور يوم
١٠ أذهب الله بفسادها ، و قد مر في سورة التوبة و السور في الاسلام
١ حالة عرسه في الاسلام ، حده
١٢ حوادث و قد ليقتضيه وصفها ، انما في
١٧ الإيمان ، أثره في الحب القلبي
٢٠ الإيمان في قلبه ، مر به ، و قد مر في السور ، و قد مر
٢١ الإيمان بقلب صاحبه من رجل ، و قد مر في السور ، و قد مر
٢٢ المعركة الفاصلة بين الحق و الباطل
٢٤ فحصل ما في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٢٨ المدة الكافية في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٢٩ السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٣٣ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٣٤ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٣٥ عمر السور ، كيف و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٣٦ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٣٨ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٣٩ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٤٠ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٤٢ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٤٣ المؤمن ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٤٦ الإيمان ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٤٧ المؤمن ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٥٠ المؤمن ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٥١ المؤمن ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور
٥٤ المؤمن ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور ، و قد مر في السور

- ٥٥ آيات منسوخة عند جمهور العلماء
 ٥٧ حدث سوى فيه قوة ، ان لصحابة وقبولهم خبر الواحد والعمل به
 ٥٨ الإيمان وأثاره عند ربيعة عمر بن عبد العزيز والخلفاء وأما
 ٦٥ الشرك ومظاهره ، ومن جن لعلاء ليأباه للعامة ونتيجة ذلك
 ٦٦ شده اخذحه إلى بين لشرك ومظاهره
 ٧٠ ، رجع في بيان الشرك إلى كذب ولسه
 ٧١ تطبيق آيات تارله في السنين على من أشبه حاكم اليوم
 ٧٣ أثار الشرك في المجتمع وكثرة الآيات والاحداث فيه
 ٧٩ الشرك في قوم يوح - الشرك في قوم اراعيه - شرك في العرب
 ٨٨ سبب الشرك العن في المصادرة
 ٩٢ التبرك وسد المذنب ، ومعنى الآثر التي بعيد حوار
 ٩٩ ولاية وكرمه ، وبان الحق فيهما وما أذحه شيطان
 ١٠٦ تصرف في الكون - علم بيب لله وحده
 ١٠٨ الكفاية والطيرة والفن
 ١١١ ، تقيمه وأن تعيق القرآن ليس من الله
 ١١٢ كلام نفيس في المحبة المشروعة والمنسوخة
 ١١٦ النماء عمادة : والاستعانة - والاستعانة
 ١٢٢ تفصيل واسع في التوسل والوسيلة المشروعة والمنسوخة
 ١٢٨ الشعاع المنفية والمثبتة
 ١٣٥ الرأفة والمراتب الشرعية ولشركة
 ١٤١ الذمانع بحب فصره على الله وحده
 ١٤٦ النذر المكروه والمباح
 ١٤٨ الخلف بالله وتعبيره ، ومعنى إسماء الله بعض خلف
 ١٥٢ إلى الدين الخالص - قصيدة لآح جزائري
 ١٥٥ خاتمة في وحوث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ١٥٨ مواقف مشرفة لبعض علماء سلف مع أمراء عصرهم



Date Due

[illegible]

Ulysses 18:297



NYU - BC857



31142 02772 0187

BP165.Y8

al-finan wa